المختار

من عرائس الافكار

الجزء الاول

لجامعيه

نعوم فريحه * وحنا خير الله

بسم الله الهادي

المقدمة

حمداً لمن لا يحمد سواه سبحانهُ وريحانهُ . وشكراً للنصراء الكرام الذين ازرونا بالرضى . ومدوا لنا يد المعونة في مختاراتنا هذه لتكون على ما يريد لها اولو العلم والعرفان

و بعد فهذا كتابنا ﴿ المختار من عرائس الافكار ﴾ والمقتطف من جنان الادب . جمعنا مادتهُ من افواه اطيب الازهار نشرا . وازكاها عطرا . واحلاها جنى . وابلغها معنى . وانتخبنا فرائده من كريم جواهر العقول اصلا . واجملها صقلا . فجاء مثالاً كتابياً لثلاثة وثلاثين كاتباً من نوابغ القرنين التاسع عشر والعشرين . وكفى به فضلاً ان يكون نتيجة خيرة القرائن وابلغ الاقلام . جامعاً لمتانة المباني . وسمو المعاني . وحسن الغاية ونبيل القصد . من خدمة الامة والوطن بعقول ادباء الامة ونوابغ البلاد المعروفين بشرف النيات وعلو النفس

وقد توخينا في انتخابه الوجهة العمرانية مع مراعاة وجهتيه الكتابية واللغوية فلم ننظم في سلكه غير ما كان له مغزى ادبي او علاقة بالعلم والاخلاق لتكون فائدتهُ اوسع ونفعهُ اعم فيتخذه الكتاب سميرا والمتادبون

مثالاً والطلبة معلماً رشيداً . بحيث لا تستغني عنهُ طبقة من محبي الادب ومريدي الحكمة والعلم.

وقد سبق لكثيرين جمع مثل هذا الكتاب فاقتصروا فيه على وجهة واحدة كان يكون مثالاً انشائياً محضاً او سرداً لشواهد موضوع مخصوص ولم يراعوا في ما جمعوا شروط الافادة والوجه الاخلاقي اما نحن فلم نغفل واحداً من هذه الشروط ولذا جاء كتابنا هذا مختاراً جامعاً لشتات المواضيع المفيدة مما يجدر باولياء المدارس ان يتخذوه مهذباً للطلبة في مدارسهم ورفيقاً مفيداً لهم في اوقات فراغهم وكتاباً مدرسياً يعين الاساتذة على بث روح الفضيلة في نفوس الطلاب وتمكينهم من ملكة الانشاء العربي المصري مع تلقينهم اشرف المبادي واسمى الغايات وهدايتهم بفضل من اخترنا من كتاباتهم سبيل الرشاد والنشاط بالاحداث الى مراقي الشهرة والاجتهاد تمثلاً بمن كانوا مثلهم فاصبحت كتاباتهم واراؤهم قلائد تحلى بها اجياد الكتب وتتلى في كل صقع وناد

وقد جرت العادة ان يقدم المؤلفون والجامعون مؤلفاتهم ومجموعاتهم الى ذي مكانة زلفى اليه وتوسلاً به الى رواج كتبهم او الى ذي مال بغية الاستفادة من ماله اما نحن فقد رأينا من الواجب ان نرفع كتابنا هذا الى اولئك الفضلاء الذين قلدنا جيده باطواق فضلهم وارسلناه ينشر الى الملأ ايات ادبهم ويتلو لمطالعي العربية ثناء طيباً على علمهم ونحن نرجو ان تكون منهُ فائدة لمطالعيه ومنفعة للبلاد مما يكون لنا عزاء عن عظيم العناء في جمعه وزلفى من كرام الوطن الراغبين في نفعه الى غير ذلك مما ينشط بنا الى اتمام مشروعنا باصدار الاجزاء التالية بين منثور ومنظوم بظل رب العرش الاسمى والملك

الاسنى والهلال الانور مولانا ذي الشوكة والعظمة والاقتدار السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني الذي خفق في ايام خلافته السعيدة لواء العرفان على هام ممالكه المحروسة وفقنا الله الى ما به الخير انهُ الهادي سواء السبيل

﴿ تنبيه ﴾ نسقنا مواضيع الكتاب على اسماء المؤلفين بالنظر الى الحروف الابجدية ولم ننظر في التقديم والتأخير الى درجات الكتاب والكتاب غير اننا قدمنا اسماء المتوفين في كل باب

الزهرة

للشيخ ابراهيم اليازجي

هي ملك جند الدجى بل قائد معسكر الانوار · بل الاهة الجمال قد استوت على عرش من النضار · اذا برزت في ثوب بهائها اكفهرت لها الشمس من الحسد · بل غشيتها حمرة الخجل بعد ما علتها صفرة الكمد · فقبل الهلال وقد انحنى بين يديها وسجد · واطافت بها حور الكواكب · كانهن اتراب كواعب فوقفن لخدمتها متضائلات امام عظمة جلالها · وقد ارخين شعورهن من حولها فشبين من جمالها · فما كادت تنجلي لهن حيناً حتى توارت عنهن بالحجاب وسرن في اثرها متتابعات حتى برقعهن الصبح بابيض الجلباب ·

واذا رايتها بارزة في طليعة الكواكب · وقد تجلت في فلكها حين لا يبدو طالع ولا غارب · فاستلت من الهلال سيفاً استقبلت به نحر الظلماء · ثم نادت في جيشها فاذا به قد طبق نواحي السماء · فبرز الرامي فاوتر قوسه وانتصب للنضال · ووضع الجبار يده على سيفه ونادى بالنزال · واشرع السماك رمحهُ فخفق له فؤاد العذراء · واطلق المريخ سهمهُ فاذا هو مضرج بالدماء · وتتابع سائر الجيش بسلاحه فلا ترى الا وميضاً وبريقاً · واسنة قد غاصت في كبد الدجنة فمزقتها تمزيقاً · فما اقبل جيش الصباح الا والافق مخضوب بدم الدجى وقد بلغ سيله الزبى بل جاوز الربى

واذا شخصت اليها العيون من اطراف الارض · اتصلت اهدابها باشعتها حتى كان بعضاً معقود ببعض · واجتذبت اليها القلوب فطارت نحوها باجنحة الصبابة والهيام · وصبت اليها الارواح فامتزجت بروحانيتها امتزاج الماء بالمدام · فاوحت اليها من اسرار الحب ما شغلها عن معرفة نفسها · بعد ما تجلى لها من

معاني الجمال ما ارتفعت به عن مقام حسها. فاذا هي عاشقة لكل ما يبدو لها من محاسن الصور. وقد بثت فيها من عوامل الفتنة ما يستعبد القلب والنظر فهي التي كحلت الجفون بالفتور. وخلعت النحول على الخصور. وزينت السوالف بالجيد. ووشحت المعاطف بالملد. واودعت الاحداق سحر الدعج. وبلجت الثغور بضوء الفلج. بل هي التي امرت القلوب بطاعة النواظر. واغرت العقول بمعاطاة النصيح والزاجر. وجمعت بين الجفون والسهاد. وحببت السقم الى الاجساد وجعلت الحب وسيلة التآلف حتى بين دقائق الجماد.

تلك الالهة الجمال التي عبدها الاوائل. واقاموا لها المساجد والهيا كل ورفعوا اليها الابصار والقلوب. في أخريات الليل وقبيل الغروب. فكانت مناط الآمال. ومصعد الابتهال. ومستودع نجوى العاشق. واسرار الابكار العواتق اذا رقبن ظهورها تحت اذيال الديجور. فخلون اليها يكاشفنها بمكنونات الصدور و يستمحنها الخيرة في الالهام. والحظوة في عيني من شئن من الانام. اماني تخترق الفضاء. وتسافر بين الارض والسماء. فتنزل مكانها طمأنينة الاتكال. بين حرارة الرغبة وبرد الامال

لاجرم انهُ اذا كان بعد الشمس والقمر نجم حري بالعبادة فاحرى النجوم بذلك الزهرة لما انها اعظم الكواكب نوراً واصفاهن شعاعاً لا يدانيها في ذلك الا المشتري والشعرى اليمانية بيد انهما اذا قوبلا بها عن كثب كسفت بهائهما بتألق شعاعها ولا سيما عند معظم نورها فانها تظهر حينئذ والشمس في كبد السماء. وقد عبدها جميع امم الارض قديماً حتى لا تكاد تبحث في تاريخ امة الا تجد لتلك العبادة اثاراً في مسطوراتها ومخلفاتها من هياكل وتماثيل وغيرها وممن عبدها العرب وكان لها معبد بصنعاء اليمن وهو

قصر غمدان المشهور بناه على اسمها الضحاك ولبث بيت عبادة لها حتى هدمهُ عثمان ابن عفان

والزهرة ولا شك اول كوكب عرف من السيارة لسرعة حركتها في فلكها بحيث انها لا تثبت مدة اسبوعين في موضع واحد من السماء . وهي تكون تارة نجم مساء وتارة نجم صباح تبعاً لموضعها من الشمس لانها اذا كانت الى شرقي الشمس ظهرت بعد مغيبها في الافق الغربي فكانت نجم مساء وهي تظهر اولاً لمحة ثم ترتفع يوماً بعد يوم حتى يبلغ معظم ارتفاعها ٤٨ درجة وحينئذ تلبث فوق الافق ما يزيد على اربع ساعات وبعد ذلك تعود فتنزل كما ارتفعت حتى تمر من امام الشمس فتبرز من غربيها وتظهر قبلها في الافق الشرقي فتكون نجم صباح وتستمر في الشرق كذلك ثم تعود فتبرز من وراء الشمس في الافق الغربي وهلم جرًا .

وكانت الزهرة قديماً كبقية اخواتها من السيارات تعتبر مضيئة بذاتها لانهم لم يروا تغيراً في منظرها فكانت عندهم في سائر النجوم الثوابت . واول من خالفهم في ذلك كوبرنيكس الفلكي المشهور من رجال القرن السادس عشر فانهُ لما بدل هيئة النظام البطليموسي جزم بان السيارات ينبغي ان تكون كرات مظلمة كالارض وان ما ترسله الينا من النور انما هو منعكس عن اشعة الشمس . فاعترض عليه بانهُ لو كان الامر كذلك للزم ان يظهر كل من الزهرة وعطارد باوجه مختلفة كاوجه القمر ولما لم يسعهُ البرهان على ذلك من الطريق الحسي بقي قوله مهملاً حتى حققهُ غاليلاي في القرن التالي بعد اختراعه للمرقب سنة ١٦١٠ فانهُ اول ما وجههُ الى الزهرة فظهرت له فيها كل روءي القمر من الهلال الى البدر .

اما بعد الزهرة من الشمس فهو ٧٢٣٠ من بعد الارض وفلكها قريب من الاستدارة التامة لان اهليلجيته لا تزيد على ٠٠٦٨ ، وهي تتم دورتها حول الشمس في ٢٢٤ يوماً او سبعة اشهر ونصف تقطع في اليوم منها نحو ١٨٥٠٠٠٠ ميل او ٢١ ميلاً في الثانية فهي اسرع من الارض قليلاً . الا انهُ لما كانت الارض مشايعة للزهرة في مسيرها اذ كلتاهما تتجهان من الغرب الى الشرق لزم ان لا نراها اتمت دورتها الا بعد ٥٨٤ يوماً او تسعة عشر شهراً ونصف وهي مجموع سنتي الارض والزهرة معاً غير انها تخفى نحو خمسة اشهر من هذه المدة تكون فيها محتجبة باشعة الشمس لانها تقترن بها في كل دورة مرتين تخفى في كل منهما نحو سبعين يوماً نصفها قبل الاقتران والنصف الاخر بعده وتظهر لنا سبعة اشهر نجم مساء وسبعة اشهر نجم صباح

واما بعدها عن الارض فيختلف كثيراً فانها في الاقتران الادنى تبعد نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠ ميل وفي الاعلى تبعد نحو ١٦٠٠٠٠٠٠٠ ميل وذلك انها في الموضع الاول تكون بين الارض والشمس فلا يكون بين الارض و بينها الا عرض المنطقة الفاصلة بين الفلكين وفي الثاني تكون وراء الشمس فيكون بيننا و بينها مسافة قطر فلكها مع عرض المنطقة المذكورة . ويختلف قطرها المرئي بحسب ذلك فيكون بين ٦٥ و ١٠ الا انها في الحال الاولى تكون في المحاق اي يكون الموجه الينا منها نصفها المظلم فلا نراها وفي الحال الثانية تكون بدراً الا ان قطرها الظاهر حينئذٍ لو امكن ان نراها يكون اقل من سدس ما يكون عليه وهي في حال المحاق . ولذلك فان معظم نورها لا يكون في شيء مما جاور هاتين الحالتين ولكن انور ما تكون عليه اذا بلغ تباينها اي بعدها عن الشمس شرقاً او غرباً ٣٩،٥ وذلك قبل الاقتران الادنى او بعده بمدة ٦٩

يوم وحينئذٍ يكون منور منها ربع قرصها فتكون كهلال ربع . ومتى كان كذلك فقد ترى في اثناء النهار كما سبقت الاشارة اليه الا ان ذلك يختلف فيها بين سنة وسنة تبعاً لميل فلكها وهي تعود في كل ثماني سنين الى الاقتران بالشمس في الموضع نفسه من السماء لانها حينئذ تكون قد اتمت خمس دورات من دوراتها المرئية فتعود رؤيتها من الارض الى مثل ما كانت عليه في الموعد السابق .

اما دورات الزهرة على نفسها فما اشتغل العلماء واهل الرصد في تحقيقه زمناً مديداً واستخدموا لذلك اعظم المراقب فلم يحصلوا من معرفته على يقين وذلك ان ظاهر هذا السيار شديد البياض واللمعان لا يكاد يبدو عليه ظل ولا تظهر فيه سمة واضحة الحدود بخلاف غيره من الاجرام المتحركة حولنا فان كل واحد منها يرى على سطحه شيء من السواد كالمحو الذي نراه على وجه القمر فاذا تحرك الجرم على محوره انتقل ذلك السواد من موضعه حتى يخفى وراء الجرم ثم يعود من الناحية الاخرى حتى يرجع الى حيث كان فيكون قد اتم هناك دورة كاملة و بمثل هذا عينوا الدورة اليومية في السيارة وعرفوا ميل محاورها على سطوح افلاكها ومنه علم ان القمر لا يدور على نفسه دورة مستقلة وقد عني الراصدون بذلك فى الزهرة منذ اخترعت الآلات المقربة وممن عنى ذلك الفلكي كاسيني فانه بعد جهد المراقبة ظهر له شيء من المحو على سطحها فبقي يراقبه على ايام متعددة فوجده كل يوم يظهر في مثل الساعة من الامس في مكانه الاول على فرق زهيد تمثل له فحكم بانها تدور على نفسها في ٢٣ ساعة و ١٥ دقيقة وذلك سنة ١٦٦٦ ثم تتبع العلماء بعده تحقيق ذلك فنظر فيه بيانكيني سنة ١٧٢٦ فاحصى لها ٢٥ دورة في ٢٥ يوم و٨

ساعات تخرج لكل دورة ٢٣ ساعة و ٢٢ دقيقة . وتسابقت لرصود من غير هاذين فكان الخارج متقارباً على فرق ثوانٍ قليلة وحينئذ حكموا بان سنتها تكون مؤلفة من ٢٣١ يوماً من ايامها وهي السنة النجمية وان سنتها الشمسية تكون ٢٣٠ يوماً . ثم راقبوا محور دورانها وحددوا ميله على دائرة البروج فجعله بيانكيني ٧٥ وجعله غيره ممن جاء بعده ٥٥ وهو آخر ما جروا على اعتباره . وقد بنوا على ذلك مباحث وتفاصيل شتى في تعيين المناطق والفصول وطول الايام وقصرها وما يتبع ذلك من التفاوت في الحر والبرد وحالة الاحياء هناك من النبات والحيوان الى غير ذلك من الاحوال المترتبة على هذا الموضوع الى ان اعلن شيابادلي الفلكي الايطالياني سنة ١٨٩٠ نتيجة مراقباته الطويلة فزعم ان هذا السيار لا يدور على نفسه الدورة اليومية ولكنه في دورانه حول الشمس يوجه اليها احد صفحيه على حد حال القمر مع الارض وعليه فيكون احد نصفيه معرضاً ابداً لاشعة الشمس والنصف الآخر في ظلمة دائمة . فكان ذلك مدعاة للفلكيين الى معاودة الرصد والتحقيق فمنهم من وافق الفلكي المذكور ومنهم من نازعه والى الآن لم يقع الاجتماع على رأي في هذه المسئلة الغامضة ولا سيما وان السيار على ما ثبت لهم بالمشاهدة وتحليل الطيف يسبح في ضمن حجاب كثيف من جوّه المتلبد بالابخرة والغيوم بحيث ان اشعة الشمس تنعكس على هذا الجو لا على سطح السيار وحينئذٍ فان هذا الامر يبقى محجوباً بحجاب الريب الى ان يتلطف ما هناك من الابخرة المتكاثفة ويشف عما تحته ولعل ذلك لا يتم الا في الوف من السنين والله اعلم .

جمل ادبية

لاحمد افندي فارس

من عاشر الناس وقام فيهم مقاماً مشهوراً وحل منهم محلاً مذكوراً وجب عليه ان لا يقول لهم الا الحق وان كان في ذلك العب لاشق فان الحق ثقيل بالطبع على سامعه وقائله وراويه وناقله وما تكاد تجد واحداً من الف من الناس يرتاح اليه او يعوج عليه فقد الف الخلق منذ القديم الملهي بالاكاذيب فلم يبق لهم من دونها خلاق من الصدق ولا نصيب ومعلوم ان ما جاء مخالفاً للطبع تشمئز منه النفوس و يثبو عنه السمع ولست اعني باصحاب هذا المقام المشهور من قلد امور الجمهور من اصحاب السيادة والرئاسة والحكومة والسياسة فان براعة هؤلاء انما هي في كتم ما في ضميرهم واخفاء الظاهر من امورهم على ما يقتضيه منصبهم و يوجبه مأربهم وانما اعني الوعاظ والخطباء والمؤلفين و كتاب صحف الانباء فهؤلاء مكلفون من قبل الباري تعالى الذي افاض عليهم فضله وتوالى بما اتاهم من الحكمة وفصل الخطاب واهلهم للاطلاع على الحقائق من دون حجاب بان يبلغوا الناس اجمعين كلام الحق المبين فان سمعوه فقد نالوا اربهم الى قصواه وان تولوا عنه فاجرهم على الله و يبقى ما قالوه وما كتبوه شاهداً لهم فواهاً على انهم ادوا الامانة بحق موداها ولا غرابة في ان من اخلدوا الى اللذات وتشاغلوا بالترهات يعرضون عن سماع انذارهم و يظلون عاكفين على اوطارهم وانما الغرابة في ان ينكر كلامهم من قام مقامهم ورام مرامهم وهو كشف نقاب الغواية عن افهام الناس واطلاعهم على الحقائق من دون التباس وقد كان ينبغي لهم ان كونوا جميعاً كالمزودين بآلات الطرب فانهم يتواطؤن مع اختلاف آلاتهم على

ضرب واحد ونغمة واحدة وبذلك تمام الارب فاذا راى رئيسهم من احدهم خروجاً نبهه الى المتابعة وارشده الى المواضعة والاحكم عليه بالجهل والعصيان واخرجه من زمرة ذوي الالحان ولكن من عساه يكون رئيس هؤلاء الكتاب الذين يهدون الناس الى الصواب او زعيم اصحاب الخطب الذين يأمرون باتباع ما وجب وينهون عن مجاوزة حد الادب وكيف السبيل الى ابلاغ الحق وارضاء الخلق ام هل يجب السكوت في مثل هذه الحالة والاغضاء عن فشو الضلال وهل يظن من فعل هذا وانفرد عن الناس في قة جبل ان يسلم من العذّال (جمع عاذل) ولا يقيض له من عين الجماد ما يكون له ضدًّا من شر الاضداد وحينئذ فما احد يسمع شكواه ولا يرثي لما دهاه مع انه لا بد في المحنة من بث الدعوى ونث الشكوى ولو لم يعقب ذلك سوى اظهار التوجع واشعار التفجع لوفى وكفى فلا بد للانسان من صديق يشكو اليه وحميم يعتمد عليه ولهذا يحرص على ان يكون له اهل وذرية واخوان فانهم في المحنة خير سلوان ثم افكر واقول ان من كثرت اخوانه كثرت اشجانه وان مخالطة الناس توجب البؤس واليأس فان الماء الصافي المورد متى كثرت عليه الوراد تكدر والثمرة الناضجة متى لمستها الايدي الكثيرة قاناها المذر وقد قالوا ان السلامة في الوحدة والمخالطة مفسدة للصفاء اي مفسدة ولقد طالما فكرت في امر النساك والزهاد والرهبان واعتقدت انهم اغبط نوع الانسان لانهم قطعوا علائقهم من الدنيا وتركوا همومها لذي القينة والقنوة وعاشوا عيشة اهنأ وارضى فليس لهم هم في المكاثرة والمنافسة والمفاخرة فكل ما اتاهم من رزق شكروا عليه وما يأتيهم الاما تجنح النفس اليه ثم افكر واقول انه حيثما اجتمع بشران افترق شران وانه لا يمكن لاحد من هؤلاء ان يعيش منفردًا وحده او يلزم حالة

حرده فعيشتهم اذا نكدة وصفتهم صفة الطبوانات المتابدة وقد فاتهم الاجر العميم والثواب الصميم في ارشاد الناس الى الصراط المستقيم وفي تعريفهم لمعوج من القويم وتلك لذة لا يدريها الا من مارسها وغبطة لا يقدرها الا من لابسها ثم اعود وافكر ان الخلق اعداء للحق فلا يسمعون النصيحة ولا يقلعون عن الفضيحة فلا فرق عندهم بين من ضرهم ونفعهم ووضعهم ورفعهم وانهم يحبون التملق الكاذب والاطراء على المعايب وتحسين القبيح وتشويه المليح واذا قلت لهم يا قوم ما كان لكم ان تخوضوا في هذا الحديث وتبتدلوا الطيب بالخبيث فقد وردت به النواهي وقد خاض به اناس من قبلكم فمنوا بالدواهي ولا تأتوا ذلك الامر فان موارده وخيمة ومصادره غير سليمة قالوا اجئتنا اليوم لتجعلنا من العجاوات فما نراك الا ذا هنات فانت واحد ونحن جماعة فاي سلطة لك علينا واي استطاعة افانت وحدك على الهدى ونحن جميعاً سدى فان لم ترجع عن الفتن لنبلونك بالمحن ان هي الا بدعة وان انت الا مجمة فما ظنك بهذا الجواب لمن تحرى لقومه وجه الصواب وظن انهم يشكرون له صنيعه ويحسبون نصيحته صنيعه فيا ليت شعري اي الخطتين أولى واي العدالتين من العدل أولى ايعتزل الناس طراً ويعيش في البراري والجبال حراً ويتخذ له من اهل الشنفري اهلاً وينسى ما وجب عليه من وظيفة الارشاد فرعاً واصلا ام يظل بين قومه هدفاً للملام وطبيباً لاسقام الافهام فما احد منهم على سعي يشكره او على هفوة يعذره بيد اني اعلم امراً واحداً واياه اتحرى عامداً وهو ان الله لا يضيع اجر المحسنين وانه تعالى قال فاصدع بالحق والمراد في كل حين وانه قدماً مني المرشدون بالتكذيب ورموا بالمعيب لكن الباري تعالى قيض من برأهم ولو بعد مماتهم واظهر صدق كلامهم وصالح انامهم وناتهم فصبح

الساعون يستنيرون بهديهم وسنتهم و يسلكون على سنتهم وامتلأت الصحف من اقوالهم ولهجت بحميد افعالهم لا جرم ان من يغرس في ارض شجرة لا يترقب ان يجني منها في الحال ثمرة وما جدير بمن قرا ودرى وقدر الامور وبرى ان يكف عن البلاغ اذا علم ان ليس له عند سامعه مساغ فرب كلمة اثمرت نعمة ورب محنة انقلبت منحة وضنك عاد ندحة فما يغلب الايام الا من صبر وما يستوجب النعم الا من شكر وعلى هذا وطنت نفسي واسكنت حدسي عالماً ان رضى المتعنت صعب وان لزوم جانب الحق لا يضيره ثلب فاما من آثر رضى المخلوق على رضى الخالق وظن ان الشقاشق تغلب الحقائق فانه لا يلبث ان يرمى به من حالق فيقال له يومئذ لقد اوقعت نفسك وغيرك ايضاً في الغرور وعميت عن القول المأثور فها ان من حالفك على الضلال صار لك خصماً يرميك بالاضلال و يقول ان تظاهرك بالحاماة عن زيد وعمرو لم يكن الا عن غش وختر ومداهنة ومكر وان مدحك من لا يستحق المدح لم يكن في الحقيقة سوى عين الذم والقدح فابتدر لاصلاح ما افسدت واعتذر الى من اضللتهم الى ما اردت فما عساه ان يجيب به و يدفع عن حسبه الا ان يقول ان متاع الدنيا انساني حساب الآخرة وما هذه الحال من الاحوال النادرة فيا ويح من اضله هواه عن اتباع الرشد وظن ان لن يقدر عليه احد وقد رأى بعينه ما صارت اليه الغواة من قبله وما حاق بالضليل من سوء فعله وخطل قوله وخطأ رأيه وخطر جهله ولكن كيف يدعى لاتباع الهدى من طمس الله على قلبه وبصره فلم يبصر قصداً ولا يذكر امداً ولا حداً ومن زعم الموار بة اريباً والرياء طلباً فحسب قائل الحق ان يبقى كلامه لمن بعده حجة ودليلا ودستوراً يرجع اليه في ملمات الامور جيلاً فجيلاً فيذكرون اسمه بالرحمة

و يسمون ذكره كانه لهم للمكرمات سمة وحسب قائل الزور اذا كبا به جده وافل سعده ان يقال له فضح الله حاله وما قاله وكفى الناس اضلاله فهوذا قد جزي بعمله وخاب من امله ومهما يكن عند امريء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

بعض البلاء ينتهي الى بعض

لاديب بك اسحق

في مجاعة حلب سنة ١٨٨٠

هو الظلم حتى تمطر السماء بلاء فتنبت الارض عناء فلا تجد على سطحها الا جسوماً ضاوية في ديار خاوية وقلوباً تحترق في بلاد تحت رقّ

وهو الجهل حتى تضيع الاخطار وتفنى الاقدار وتبطل الهمم وتزول القيم ويعفو العلم و يدرس الفهم و يستعلي الخامل و يستولي الجاهل وتخفض الارؤس وتنقبض الانفس وحتى ترى

بكل ارض فى شرقنا امماً ترعى بعبد كانها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه وكاد يبرى بظفره القلم

قف بالربوع الدارسة المعاهد العافية الآثار وانشد هنالك عزماً اضاعه الاهمال ومجداً اخفاه الخمول الا بقية آثار في المعالم كبقايا الوشم في المعاصم وابك العز وبنيه والفضل وذويه حتى ينبت الآس على القبور وحتى تسمع اصواتهم من وراء حجب العصور بل دع النشد والبكاء في هاته الخطوب الفادحة فلا نفع للثكلى بنوح النائحة واقصد بنا مرابع النعمة ومصانع الرحمة

نسأل فيها الاعانة والاحسان لأسدٍ عضها كلب الجوع وزام وقعت في حبائل الفاقة واطفال يتلقون دموع المراضع يحسبونها البانا فقد الف الغرب الاحسان وتعود اعانة الانسان

وادلُّ على كرامه ما جاءنا من خبر المجاعة في حلب وما بين النهرين فقد بلغت الحاجة من اهل الشهباء ان النساء هتكن الستور وخرجن من وراء الخدور وطفقن بالقلعة صائحات معولات مولولات يلتمسن القوت لرجال اضواهم الجوع فلزموا البيوت فخرج الوالي اليهن بوعود لا تغني عن الجائع ولا تدفع الآلامه فرجعن عنه آيسات وطفن بالاسواق يبعثن الرجال على الفتنة قنوطاً من زوال المحنة فانقض هؤلاء على الافران يلتهمون الخبز لا يلتهبونه

اما ديار بكر وماردين وسائر ما بين النهرين من المدن القديمة الشأن فلم تقف بها الشدة عند هذا الحد بل اتصل الموت باطرافها على مثل ما سمعناه منذ عامين من اخبار المجاعة في بعض الهند واميركا حتى اكلت اطراف الغصون واصول الاشجار

فعسى ان يكون لصوتنا الضعيف صدًى تردده الصحف الوضاء في هاته العاصمة الزاهرة فيقبل اهلها على مساعدة المصابين ولا يضيع الله اجر المحسنين

سفر الطبيعة

لابراهيم افندي الحوراني

الحمد لله على ما هدى بمعلنات الطبيعة وما ارشد بوحي الشريعة اما بعد فان من الناس من وهموا ان معرفة اسرار الخلق تؤدي الى الكفر بالخالق وذلك غير الحق عند علماء المغارب والمشارق . ولا يكفر بالله الا الجهول

وفاسدو الانظار والعقول · فان سفر الطبيعة مصدر كثير من بينات السادة الانبياء وادلة العلماء الاولياء فقام ايوب لدليل على الواجب دواري الشهب الثواقب وابان انها معلنات الله الاحد المحجوب كالنعش والثريا والجبار ومخادع الجنوب · واستدل داود عليه بان السموات تحدث بمجده والفلك يخبر بعمل يديه وابان المسيح رحمته الشاملة ونعمته الكاملة بانه يطلع شمسه على الاخيار والاشرار ويمطر على الصالحين والفجار · وامثال ذلك لا تحصى وبينات المبروءات لا تستقصى · فسفر الطبيعة كتاب الله الاول والشاهد بصحة الكتاب المنزل · تلته الملائكة قبل ان تلاه الانسان وعجبت لما فيه من آيات البيان وترنمت به الكواكب باطيب الالحان وهتفت جنود السماء بالتسبيح لمهندس الاكوان · وهو يشتمل على مجموع رقم بديعة ترتلها البرايا باصوات رفيعة · فتعلم الامي الجاهل وتزيد حكمة القاري العاقل · واليك عدة من تلك الرقم العجيبة واساليبها الغريبة ·

رقيم سفر الطبيعة

اليكم يا اولي الالباب سفراً عظيماً وطرساً قديماً يعلن الحق اليقين ابدعه قيوم البرايا وفير العطايا تبصرة وذكرى للعاقلين · كتاب محكم لا يحرّف دائم لا يمحى ولا يتلف فتقصر عن افساده ايدي الكافرين · بيان لا يفترى ويعجز عن مثل اقله بلغاء الورى فهو معجزة العالمين · رقمه الشديد القوي بقلم الازلية على صفحات الابدية · منهاجاً قويماً للعابرين والغابرين · خطه بمداد النور على رؤوس الاعلام وعظام الاجرام رشداً للناظرين يضيء ما توالى الليل والنهار وتألفت السنون والادهار · نبراس لا يطفأ الى ابد الآبدين · فيه جلي الجليات وخفايا الخفيات للمبصرين والمفتكرين

يا مدعي حب البديع ولم تزل في غفلة عن مبدعات يمينه
ما انت في دعوى المحبة صادقاً بل انت اول كاذب في دينه
اتلوت سفر الكون واستظهرته وعرفت بعد الظن حق يقينه
لم تتله ولقد تقضت حقبة والسفر مطوي على مضمونه
فكذبت في الدعوى فما من عاشق لم يتل سفر حبيبه في حينه

رقيم الحدوث والقدم

سماء ونجوم · وجوّ وغيوم وبروق ورعود وغيوث وعهود وعيون وانهار وانجاد واغوار · واعشاب وانجم واشجار وازهار واثمار · وما لا يحصى من الجمادات والاحياء · في التراب والماء والهواء · كلها صنع بديع قديم قدير حكيم · فيا هائمين في اودية الاوهام · متى توقنون انه لا بد من الازلي والا لزم الوجود من العدم · ولا بد من الابدي والا لزم انتهاء ذي القدم · ولا شيء من لا شيء · ولا نور من في · ولا حي من جماد · ولا حكمة في رماد · فنفي القديم ضلال وسقط من اجنة الخيال يفظع ان يقال بل ان يخال فانه اول صنوف المحال · وسنى الازلية لا يخفى على الضرير فلما عمي عنه البصير · فيا خابطين في مجاهل الظلام متى تهتدون · فلا تتخذوا الباطل من الحق المبين ولا تؤثروا الوهم على اليقين · وتأملوا في حقيقة الكيان · وما في البرية من البيان · تؤمنوا بذي الازل · وانه علة العلل · ومكان فضاء موهوم فما قول بعضكم انه مادة الارواح وطينة الجسوم · ويقال في الزمان ما قيل في المكان · فلا فعل للايام والشهور · ولا حكم للسنين والدهور · فانحوا صحيح الاحكام ان كنتم تدركون · اثبتوا صدور ذرة هباء من العدم ببرهان انكم لاعجز عن ذلك من قتيل الدخان · واذا عجزتم عن اثبات

انه مصدر ذرة من الهباء فكيف حكمتم بانه اصل الارض والسماء اتحتاجون الى الادلة في البديهيات والى المناظرة فى الاوليات · وتفتقرون في ذلك الى بسط الاقوال وايراد الاصول وضرب الامثال وتدعون انكم فلاسفة العصر الالباء وانكم الاساطين الحكماء وخير المختبرين واحسن المبصرين ان آيات ذوى الجلال على الاعلام فلما لا تبصرون · انه لو اطاعت البهائم الاقلام لاستحيت من تسطير ان مناشيء الموجودات الاعلام وان لا مسببات ولا اسباب واشباه ذلك من بدائع العجاب · تحذر النملة وطأة القدم وموجبات الالم وتتقي الرئال · رواة النبال · وتأبى العيس وطس نار الوطيس فما بال كثيرين من الناس اجهل من الهوام والنعام والانعام · فيا اسفي على كثير ممن ينطقون · قالوا اتفق فكان وبطنت المعاني وظهرت الاعيان ودبر العالم بلا مدبر وتجلت الصور بلا مصور أفتخزن الريح بلا خازن · فتتزن الكواكب بلا وازن · او تنسق اللآلىء بلا ناسق · فتخلق الدراري بلا خالق · هذا حديث خرافة · وهلج عرافة · وتخرصات او رجوم او هذيان محموم · ان القول بالرواء من الآل اقرب الى التصديق من ذلك المقال وادنى الى الافهام لو تفقهون · افان قيل لكم كانت السفن عن لا موجود · وصيغت من لا عود · ولا من عرض ولا جوهر ولا مما يعقل ولا مما ينظر · وانها تمخر على الماء بلا مجذاف ولا هواء · وبلا كهربائية ولا بخار · وبلا شيء من الاعيان والآثار · وانها على احسن اتقان ولم تعمل فيها يد آله ولا يد انسان · وانها برزت اليوم من الرمس · ولم تكن فيه بالامس · فهل تصدقون · انكم اول من بهذا كذب وعنف وانب وهزيء واستهان وحاج وابان · وجاء بالدليل واكثر من القال والقيل واقام النكير ونادى النفير ·

وسل · النصال وطلب النزال · فما لكم تثبتون للعالمين ما تنفونه عن السفين فانتبهوا من الاحلام فالى متى تغفلون

ما كان من عدم شيء ولا عدم شيئاً وما صار من شيء الى العدم
والمحدثات البرايا كلها صدرت عن حكمة القادر المختار ذي القدم

رقيم الذات والصفات

يا ايها الناس اطلبوا الهدى وتنبهوا واتقوا الردى واحرصوا على اليقين وصحيح الدين ولا تشركوا برب العالمين فليس من آله سواه بديع البرية والدليل وحدة السنة الطبيعية ولو ثبت الشريك انتفت الوحدة والوئام وفسد ما في العالمين من بديع النظام وانقطعت الروابط وامتنعت الضوابط وامتاز كل من الشريكين بصفة نقص او كمال فوجب نقص كليهما او احدهما في كل حال وما ذلك الا من مواليد الخيال واول صنوف المحال فالله واحد فلا تعددوه وغير متناه فلا تحددوه وروح فلا تجسموه وليس بمادة فلا تقسموه فهو لا يخيل فلا تعبدوا صور الخيال · ولا يصور ولا يمثل فلا تسجدوا لصورة ولا تمثال انه ذات حقة كل صفاتها كمالات فنزهوه عن الاشباه واحذروا مما يستلزم نفي الذات او الصفات انه في كل الازمنة والارجاء وكل درة من الهباء وكل قطرة بلا تعدد ولا تجزء ولا حصر في محيط من الغبراء والزرقاء · معتن بكل البرايا بالقدرة والحكمة والحب والجود والحكمة يقود المبروءات بازمة القضاء المبرم وهي مجموع شرائع الطبيعة المحكم ومما قضى به الاختيار والارادة فمن عدل عن سنن الخير المقدور ادركه الشقاء ومن جرى عليه ادركته السعادة فليتأمل العاقل وليتذكر فهم فالرحمان عادل والديان ليس بظالم وما من رزء تحت السماء الا للجهل او الخطاء او لشرك يعمي الابصار والشهوات

تهتك الاستار وتقصر الاعمار وتولي الدمار . اللهم انك مصدر الاحسان فالخير منك والشر من الانسان

الا يا ايها العبا د اهل الدين والنسك
الى التوحيد ان رمتم نجاة النفس من هلك
فبعض الخير في هذا وكل الشر في الشرك

اللهم ما اقل المؤمنين وما اكثر الملحدين وما اوفر المشركين وما انذر الموحدين ....

ما اكثر الاصنام في ارضنا غير التي من نبتها والجمد
فالبعض منا عابد عرسه والبعض منا عابد من ولد
وكم وكم من عابد شهوة منها رزايا نفسه والجسد
يأبى سوى الملهى مسجداً فلا يرى الحسناء الا سجد
فردوسه حان وتسنيمه دنّ وما في الدن ماء فسد
يا كل ارواح البرايا اعبدوا بالروح والحق القديم الصمد
ونزهوا الله ولا تشركوا بالله ان الله رب الاحد

رقيم التمثل بالله

التمثل بالله في الفضل المقدور كل السعادة ومزاولته كل الشرف والسيادة ان الله قدوس فتقدسوا واعتزلوا الاثم فلا تدنسوا والله عليم حكيم فعلموا واحكموا وحليم رحيم فاحلموا وارحموا ومحسن كريم فاحسنوا واكرموا وصبور فاصبروا وغفور فاغفروا وادفعوا بالنفع ضراً وادرأوا بالخير شراً .

وادركوا ما استطعتم من محاسن الكمال واحاسن الافكار والاقوال والافعال فذلك هو النهج القويم · وسنن دين ابراهيم والنجاة من الجحيم · والفوز بجنات النعيم

يا من يخاف الموت جهل ما آله فيظل يحزن والسوى يتهلل
ان رمت علم مصير نفسك بعدما تلقى الردى فانظر بما تتمثل

رقيم الجزاء وعلة الشقاء

الجهل مصدر الارزاء ومبعث الادواء ومدفن الاحياء فلا سعيد ممن يجهلون · واعلم الناس من درى انه جاهل وايقظهم من علم انه غافل · واكثرهم معالمهم مجاهل وهم كلهم يعذلون · لا اثم بلا عقاب ولا بر بلا ثواب وكل البلية في اخطاء الصواب ولكن الغافلين لا يعقلون · ان الرذيلة حبلى ولود معاً تلد هواناً وخسراناً ووجعاً ولا تفك النوازل اللأراذل تبعاً فالذين لا يقتلون الرذيلة يقتلون · اسرف مثرٍ فافتقر فهان فيئس فخدع ومان ونهب وسرق وخان فسجن ولعن وكان عبرة لمن يتأملون · ونشط معدم واجتهد وصبر واقتصد فاثرى ومجد وقصده المسرفون يتسولون · وكأي من سكير اضنى جسده واتلف كبده ويتم ولده وغادر اعزته يتذللون · وكم صح عف وعل فاسق وسر بر وسيء سارق وزل باغ وعز صادق فلينظر الناس في عواقب ما يفعلون ان المسبب يعرف ما هو من السبب فلا يبتغي البرد من اللهب وانك لاتجني من الشوك العنب فاعمل ما يحسن ان تعمل وعلم الذين لا يعلمون ما يعملون · ووحد الله ولا تشرك به سواه ولا تسجد لصورة ولا تمثال له ولا لشيء ما صنعته يداه ولا تحلف باسمه باطلاً وقدس ذكراه

وقف له سبع وقتك تستريح ولا تكن ممن يقلون · واكرم والديك وثق ولا تقتل ولا تسرق ولا تزن ولا تفسق ولا تكذب ولو على من بربهم يعدلون واهرب من مضلات الشهوات والافكار واهجر العقار وكل ما من شأنه الاسكار واعتزل ما استطعت القمار وانشط وادأب واسع ولا تتاكل من يكسلون · فيا ايها الناس ان سلكتم السواء امنتم البلاء وادركتم العلاء والا فانتم في الجحيم تسفلون · جهنم الشرير حيث حضر ثما له من نارها من وزر فلا مكان ليس فيه صقر ولا يفتأ السفهاء عن وادي لظى يسألون · وكم من اثيم ينفيها وهو يتقلب فيها فلا اغفل ممن يصطفيها ولا اجهل ممن يعطلون · ياعجبا لقد جن اكثر العقلاء وادعى اشدهم جنونا انهم اكابر الحكماء ولاموا على البلايا حكيم القضاء وغاصوا في لجج الآثام ونوفوا انهم يتبللون · يا اشقياء ما علة شقائكم الا عدم ولائكم وظلمكم لابنائكم وابائكم واصدقائكم واعدائكم وتعديكم شرع ربكم وانبيائكم فلم يبق لكم ما به تتعللون * خلقتم في النعماء اخوانا وعلى البأساء اعوانا فتعاديتم على تخرصات اتخذتموها اديانا فاصبحتم للارزاء ظهراء ودين الله واحد فعلى الباطل تقتتلون يا آدم ويا حواء لقد صبغت بدماء ابنائكما الغبراء فلو عدتما الى الارض والتفات امامكما الهيجاء لتمنيتما ان من نسلتما لا ينسلون فاختلاف ونزاع وهجوم ودفاع وصراع وقراع وطفاة يبسلون وفتيان تجدل وفتيات تهمل وكهول تقتل وشيوخ يستبسلون ونساء تسبى واموال تسلب وحصون تدك وصروح تخرب وامهات تنوح وابهات تنحب وعرائس تقيم وعرس يرحلون وجروح وصدوع ونجيع ودموع وبرد وعري وقحط وجوع ومراضع تضوي ورضع يهزلون فالعداء العداء والاخاء الاخاء واغنموا التحذير والاغراء فان قبلتموها اصبحتم تتهللون

وان رفضتم شقيتم وكأس سم سقيتم وكل خزي لقيتم وخاب ما تأملون فمن يخر يلق خيرًا ومن يضر يلق ضيرًا ومن يسر فقيرًا يسر واولاده يزجلون فيا معشر الاغنياء احسنوا الى الفقراء يحسن اليكم غني الغبراء والزرقاء ويضاعف لكم عوض ما تبذلون * ان بني غبراء عياله واموالكم ماله فجودوا على عياله ببعض ماله وان الرحماء رجاله وان المحسنين آله فارحموا واحسنوا تصيروا من رجاله وآله والبخل باد وباله وشر خبل خباله فاحذروا من وباله وخباله والله جل جلاله كاف وواف نواله فانيلوا بعض ما منه تنالون . اغنى الله اناسًا ليكونوا ممن عبدوه واحسنوا وشكروا فعبدوا المال دونه واساءوا وكفروا وظلموا البائسين وتجبروا عليهم وتكبروا وافتخروا واهانوهم بل كانوا يجبلونهم لاباءتهم الذل ويخبلون . فولت شهور الغنا والغناء وحلت دهور الأسى والبكا فشمت بهم المعدمون واستهان بهم اهل الثراء فلاقوا جزاء ما كانوا يكفرون ويظلمون ويبخلون . واول علل الشقاء الجهل والغفلة فانهما والدا الاثم والحرب والخصام واول علل السعادة العلم والانتباه فانهما والدا البر والسلم والوئام فاعلموا وانتبهوا تمسوا وتصبحوا خلافاء الامن والسلام ولقد كررنا لكم النصح لعلكم تفلحون بأنكم به تحفلون

اعلم هديت الحق واعمل به ... ولا تخف من ليس من حزبه
والحق ما ليس له غالب ... فلا تمل يومًا الى حربه
كم ظنه الاغرار مغلوبهم ... وهم اسارى الويل من غلبه
كذي خمار يدعي قوة ... من مسكر والضعف في شربه
والعيش دون الحق موت فلا ... يحيا الذي لم يقض في حبه
وما له في الارض من ناصرٍ ... الا الذي لا زيغ في لبه

وما له من عارف غير من ... ما ران من ريب على قلبه
كم مدع حقاً وما عنده ... من حجة الا على كذبه
ويدعي التوحيد مع انه ... قد آثر الدنيا على ربه
ويدعي براً كثيراً وما ... دعواه الا النذر من ذنبه
فاعلم ولا تأثم فتوقى الاسى ... والجاهل الآثم في كربه
هذا طريق الله في خلقه ... فاعلم هديت الحق واعمل به

الدنيا وما فيها

لابراهيم افندي منذر

محفل السيدات والسادات ... خير نادٍ رأيته في حياتي
جمعتهم يد على الدهر بادٍ ... فضلها باستدرارها الصدقات
تلك شمس للبراية شمس ... ضوءها رحمة لذي النكبات
ضمدت جرح كل من لفظ الد ... هر واخنى عليه بالحادثات
لا برحتم يا عمدة الخير ركناً ... للندى والآداب والمكرمات
في حمى سلطان الورى الفائض الا ... حسان عبد الحميد رب الهبات
وسلام يتلى على كل ندب ... ذكره العذب عاطر النفحات

ما هي الدنيا ؟

هي الارض التي يبرز اليها الانسان عارياً فقيراً وطفلاً صغيراً حقيراً فتكسوه لباساً وتنقده مالاً وتعطيه غذاء فينمو ويكبر وحينئذ يراها بمخيلته لابام عينيه كما تصورها له الحقيقة او كما يصورها الوهم فهي لديه حديقة غناء تجري

في وسطها الانهار وتغرد على اغصان اشجارها الاطيار ويفوح من ازهارها نشر العبير وينساب في جداولها الماء النمير مترقرقاً على حصباء كالدر بل انقى والاثمار على اختلافها متدلية على اطراف الاغصان مما يبتهج له الخاطر ويقر به الناظر

واريج الازهار ينعش قلباً من وجيب الحدثان بات حزينا
والندى فوق العشب يلمع من نو ر ذكاء بها فيجلي العيونا
ونسيم السحر يعبث بالاورا ق عند الضحى فينسي المنونا
وخرير المياه في الصبح ممزو ج بلحن الهزار يقضي الشجونا

بل هي ملعب للتمثيل يمثل عليها مضحكة « كومديا » تجمع بعضاً من ذوي الهزل والمزاح يسرحون ويمرحون ويفوهون بكلمات كل مافيها هزء وسخرية وحامض ومجون ولعل لهم من وراء ذلك رموزاً وهم لا يشعرون

هذا تراه ضاحكاً ورفيقه يشكو الطوى واخو الهوى يترنم
وكلامهم مزجت حروف هجائه من كل السنة الورى لا يفهم

بل هي موءساة يظهر بها الفقير بلباس الفقر والامير برداء السلطة والخائن بثوب الخيانة تمثل نتيجة الظلم والوشاية والحسد وتضع البريء على مذبح الاستشهاد ضحية الطمع والدعارة والاثرة وقد تنتصر الفضيلة فيجاهر نصراؤها بها ويرد كيد الباغي في نحره او ينقلب الامر فيخفق مسعى كل ندب كريم

يتنازع الاخوان امراً فيه اعلاء المقام
والحقد يعمل في الرؤو س كفعل صهباء المدام
حتى اذا ما فازوا ش نافثاً سم الكلام
تلقى البريء على الوها د مجرعاً كأس الحمام

بل هي حياة الآمال ومناط الاستقبال وحركة دائمة للاشغال هذا بيع

وذاك يشتري وذلك يحتال للربح وآخر يضرب اباط المسالك ويركب متون البحار في طلب الرزق وجميعهم :

مابين لص ليس يرعى ذمة ... في البيع بل لحمى الحرام يبادر
واخي حجى حر يسير بشغله ... والصدق ديدنه وهذا نادر

بل هي مرتمى الجيف ومجمع الاقذار ومنزع الاخطار ومهب العواصف ومصدر النوائب فهذا قتيل في حرب اثارها ارباب الطمع وهناك جريح لاتنشف له دمعة وهنالك ارملة وايتام يطوون الليالي المآ وتحرقاً

مثل لعينك ساحة الحرب ... وقد انجلت بالطعن والضرب
فترى بها هذا صريع قنا ... ونجيعه يجري على الترب
وفؤاد ذي اوتاره قطعت ... حزناً على زوج ندٍ ندب
وحبيبة تبكي فتى عشقت ... بهواه اردته ظبى القضب
تباً لدنيا كلها حزن ... يقضى عزيز العمر بالندب

بل هي ملتقى اشعة الكواكب الجوية والدراري البهية مابين كبيرة لقربها تحيينا بالنور وتكشف عنا غياهب الديجور وبين صغيرة لبعدها تتلألأ في القبة الزرقاء تدل جميعها على حكمة غريبة ونظام عجيب وتتسابق الى القاء الاشعة على بني البشريه فينظر اليها المتيمون نظرة تنعكس بها اشعتها الى قلوبهم فتزداد نيران هيامهم اشتعالاً

كلها ياقوم في افق الملا تتهادى ... و بريا نحوها مدوا الطلى بانذهال
عبدوها اذ رأوا هضب الملا والوهادا ... انما النور بها منها على كل حال
ولذا خير منظر في البريه ... ان تراعي الكواكب الجويه
ذاك يهوى البدر المنير وهذا ... هام من وجده بشمس مضيه

وترى آخر ازدرى بسناها يقسم الحب بينها بالسويه

بل هي مقر الصوامع ومجتمع النساك وملتقى ارباب التعبد مابين اصوات رخيمة تشق بالترتيل والتسبيح كبد الفضاء وتبعث في النفوس رهبة وخشوعاً وبين اجراس ونواقيس يرن صداها في ثنايا الاودية فتذكر الانسان بما كاد يطويه في زوايا النسيان

هذا اذا اعتبرنا حياتهم حياة نسكية مقصورة على تمجيد المبدع العظيم وارشاد النفوس المتعسفة لاحياة خمول وطمع واثرة

فهم على طرفي نقيض دأب بعضهم الحقيقه
والبعض ند عن الهدى فهوى ولم يعرف طريقه
بون عظيم بين ذاك وذا لعقال الخليقه
ذاك ارتدى ثوب الكما ل فبات كل ند صديقه
والآخر اتخذ الشنا رفبئس خطته الوبيقه

بل هي معترك الاحداق ومضمار تتسابق فيه جياد ارباب الصبابة والهيام ما بين حبيب براهُ الوجد وحبيبة اضناها البعد وبين واش استنفد الحيل انتقاماً وعاذل ملأ الفضاء كلاماً وبين سعيد ظفر بضالته المنشودة او عميد عزَّ عليه الدواء ففتك به الداء فذهب شهيد الغرام ولسان حاله يقول

منظر العاشقين اشأم منظرْ كل قلب يدري الهوى يتفطرْ
لست تلقى المحب الا ضئيلاً دامع الطرف ذاهلاً يتحسر
لايعي قول عاذل غير ان البدر امسى لديه خلاً اكبر
فهو يرعى النجوم طوراً وطوراً يتهادى بين الرياض محير
والنوى في الاحشاء تلذع لذعاً فيذوب الفؤاد منه ويصهر

آخر الوجد والصبابة رمسُ آه ليت الغرام لم يك يفطر
رحم الله كل صب معنى والخليُّ الفؤاد ان لام يعذر

بل هي مركز الآداب الاجتماعية ومطلع انوار الحكمة والعلم وناديء الجمعيات الخيرية الادبية فهنا محفل يضم ربات الحسن والاحسان وارباب الفضل والادب وهناك مكتب يتباحث ذووه بتقدم العمران ورفاهية السكان وما تسنى لهم من ذرائع الراحة والسلام

وهنالك جرائد ومجلات يتبارى كتابها في ميدان القلم وما ادراك ما القلم ؟

فهو اليراع به الفصاحة تنجلي وكذا البلاغة ضمن اقوال دُرَرْ
نجح البلاد يلوح بين ضلوعه ويقوم بالامر العظيم اذا استعر
وبه يدوّن كل امر خوف ان تودي به ايدي التهامل والغير
ان رام سلما بالانام يفز به او رام حرباً هاج اصناف البشر
ينهي ويأمر وهو ابكم انما روح التمدن بين شقيه استقر
فهو المجير لكل من طلب العلا وهو السمير لكل من الف السهر

بل هي الحياة وهي الممات وهي النور وهي الظلام وهي فصول تنقضي فتنقضي معها الآجال ما بين صيف يمثل مجد الغني وشتاء يمثل دمع الحزين وخريف يمثل ذبول الحياة وربيع يمثل زمن الشبيبة وزهرة العمر

فواهاً للربيع فقد اتانا يلوح ببرده الزاهي الظريف
به تكسى الحدائق ثوب زهرٍ وتبرز فيه ربات السجوف
وغادات يقفن بكل مرج فيا لله من ذاك الوقوف
يصوّبن السهام الى قلوب بالحاظ احد من السيوف
فاهلاً بالربيع بكل عام وتباً للشتاء وللخريف

هذا ماخطر لي ان اصف به الدنيا وما فيها فاذا شاء غيري انه يزيد وصفها فله ان يفعل ولكن ليس هنا بل في بيته لان الوقت قصير والخطبا كثيرون اما انا فماذا اخترت من كل ما فيها ؟ . . .

عند مارأيت نور الوجود وسمعت ضوضاء العالم وجلبة ابناء آدم تمثل لعيني ما يمر على الانسان في حياته الدنيا من يأس وامل و بؤس وجذل وما يتراوح بينهما من التمنيات الكثيرة مما يجعل الانسان غارقاً في بحار التأمل والحيرة وناظراً بعين الاعتبار الى حياة تتحول كتحول الظل وتنقضي كانقضاء الآجال وهناك فريق يراها مع كل ما يحيط بها وهماً زائلاً وفريق يراها مقدمة لغاية ليس بعدها غاية ينال بها كل امرئ جزاء ماقدمت يداه . وليس لي ان ابحث الآن فيما يرجح صحة احد الرأيين على الآخر والاخذ به دون سواه وانما اريد ان اقتصر على سير المرء في دنياه واتبعه بما ربما يستعين به في اخراه . . .

على انني بعد تلك الفترة التي جمعت بهـا العالم في لحظة تقلبت عليّ الادوار الاولى وقامت حولي فئة تقبلني عثرتي وتسترضيني عند بكوتي وتجلب مايجلب سروري وتقصي ما يسبب كدري ونفوري حتى آزف الوقت الذي به آن ان استقبل دواعي الشقاء فاذا باطلي قد القوني الى جانب طاولة رأيت عليها شيخاً رثاً احنت ظهره الايام واخلقت جدته الاعوام ولكنه لايزال يظهر بمظهر الفتاء فيبدي من الضعف قوة ومن قدم العهد همة فرأيت ثوبه قشيباً وعليه من انوار الصور اللطيفة مادفعني الى الميل اليه والتردد عليه والتعلق به والجلوس تجاهه معجباً بظرافته وحسن تفننه غير انني كنت ارى رغماً عن تلك التبرجات خطوطاً سوداء قائمة على صفحة وجهه تدل على شحوبه وضنكه الخفي فكان ينقبض صدري من تلك الخطوط السوداء وعلى الخصوص لاني وجدت حولي

من يكرهني على عهدها واسمائها المتنوعة واشكالها المختلفة التي يعجز ابليس عن ان يأتي بمثلها ولكن شدة بهجتي بما حولها من صور الحيوانات والطيور والازهار كانت تحول نظري وتثبت سروري فاغالط نفسي واقبل عليها لاتمتع بما فيها من دقة الصنعة والجمال

بيد انه لم يمض علي زمن يسير حتى تغيرت بي تلك الاطوار وعكست الآية معي وصرت اذا قابلت ذلك الشيخ اجرده من تلك النمارق المزركشة والصور المزخرفة وانصب بكليتي على خطوطه السوداء فادرسها درس باحث متفحص عما وراءها من الرموز والآداب العظيمة = ذلك الشيخ المهيب ايها السادة هو ... ولا اخالكم تجهلونه .. هو الكتاب

الكتاب هو الذي وجدته على الطاولة وكنت ازوره كل يوم فارى به غير ما ارى اليوم .. الكتاب هو الذي رأيته بقلب الشيخ وصورة الفتى وصولة الكمي ... تتقلب الايام ويقوم الابناء مقام الآباء وذلك الشيخ يبقى في الوجود ظاهراً بمظهر الشباب . تلك الخطوط السوداء بل الكلمات المتقطعة بل الحروف الهجائية التي كان يخاطبني بها ذلك الشيخ وهو معقول اللسان مالبثت ان جمعتها فكرتي فالفت منها حكماً وآداباً رايتها نبراساً يضيء حياتي ويمهد سبل السعادة الحقيقية امامي ... الحاكم والكاهن والكاتب والتاجر والصانع والزارع ... كل واحد من هؤلاء لاتستقيم غاياته ولا يحكم اعماله بدون الكتاب

ذلك الكتاب ايها السادة هو شيطان الصبي في صباه وحبيب الشاب في شبابه وسمير الكهل في كهوله وتعزية الشيخ في شيخوخته . يرى به المرء معزياً في المآتم ومونساً في الولائم يتعلم منه الصبر والتواضع والحلم والنشاط والشجاعة والكرم والمجد والشرف .. بل يعلم منه وهو في زاوية غرفته جميع ما في العالم

ويتتبع سير الامم فيقابل بين ماضيها وحاضرها ويحكم بالاستقراء على مستقبلها .. تولف الجمعيات وتعقد الجلسات وتقام الحفلات وتشاد المعاهد العلميه لنشر مضمون الكتاب وتعميم فوائده واطلاع السواد الاعظم عليه ولقد صدق من قال

اوفى صديق ان خلوت كتابي الهوبه ان خانني اصحابي
لا مفشياً سرًّا اذا اودعته وافوز منه بحكمة وصواب

ونحن انما اجتمعنا هنا لحفلة ادبية شائقة اعتادت هذه الشمس المضيئة ان تجمعنا كل عام لمثلها فتحثنا على مطالعة الكتب النفيسة والجرائد الادبيه . وقد خصصت لذلك منتدى « اعني به غرف القرأة » تؤمه الناس من كل طبقة فضلاً عن الحفلات الصغيرة التى نقيمها فيه متوخية بها بث الآداب الصحيحة بين ابناء الوطن العزيز

ولكنها تريد ان تسمعنا فوق كل ذلك صدى روح لطيفة تضم عواطفنا بها الى عواطف المسكين وتمثل امامنا اوجاع البائسين مما لا يشعر به الا من سار معي بمنطاد الفكر الي حديقة انيقة قام في وسطها قصر شاهق تجول فيه الخدم والخول ويركب سكانه الجياد المطهمة ويأكلون المآكل الفاخرة ويسرحون ويمرحون ثم يبيتون والانس اليفهم والمال بين ارجلهم يدوسونه ولا يشعرون ... في ذلك القصر العظيم يسكن الغنى ... ثم تنتقل من هناك الى برية مقفرة لاينبت فيها عشب ولا يجري بها ماء ولا يمر فيها هواء ولا تضيء عليها شمس ولا يزورها شخص ولا يجودها غيث ... هنا ياسادة في هذه البرية المقفرة يسكن الفقير .. هناك ذكرت لكم قصرًا وخدمًا وعيالاً وهنا لم اذكر شيئاً من ذلك وقد تعاميت حتى عن العيال ولا اقول ان ليس للفقير عيال وانما

عددتهم عدماً . وهل يصح ان يعد مع الاحياء اشخاص تبيت على الطوى وتصرف اوقاتها بالتحرق والانين . . . ؟ والله سبحانه وتعالى لكي يجعل شقاء الفقير عاماً لكثر اولاده ليزداد شقاءً على شقاء ويحرم كثيراً من الاغنياء اولاداً لو وجدوا لعاشوا من فضلات فضلات الاموال . . . ؟

الغني يا سادة غني بالمال والرجال والعقار والطبيعة تساعده بمواهبها فتهبه نوراً ساطعاً وماءً زلالاً وهواءً عليلاً والفقير فقير الى المال والطعام واللباس والماء والهواء والنور . . . ولرب قائل يقول : الشمس شمس واحدة للغني والفقير معاً والهواء واحد لكليهما والماء واحد للاثنين فكيف لا يرى الفقير النور ولا يستنشق الهواء ولا يروى بالماء . . ؟ ولكن عفواً ايها السادة فليس السر في العين والاذن والانف والفم وانما السر في القلب فمتى كان القلب مضيئاً كقلب الغني يرى كل ما في الدنيا من البهجة والسرور حتى انه يرى الليل نهاراً تضيء له به الانوار الكهربائية وتصفو له السماء وتروق له الارض وتفيض ينابيع العمور جوداً وخيراً — ومتى كان القلب مظلماً كقلب الفقير تظلم الدنيا في عينيه وتصم اذنيه وتسد انفه وتعقل لسانه ولكنها تطاق فيه شيئاً واحداً تجاه كل ذلك وهو دمعه . . . يبكي الفقير عند بزوغ الفجر وعند مغيب الشمس وعند انسدال سجف الظلام . . .

للغني يا سادة الدنيا وما فيها اما الفقير فليس له ما يسند اليه رأسه او يسد به رمقه

« ٣ »

هذه هي الجمعية الوحيدة التي جمعت بين التهذيب والاحسان وهي التي تبث روح الالفة وتكشف اسرار الاداب الصحيحة باذلة الوسع في هذا السبيل

ممهدة اياه للآخرين ليكثر النفع وتعم المحبة و يغدو عمل الخير والقراءة المفيدة وحضور الحفلات الادبية امراً عادياً وسبيلاً مطروقاً يسهل على كل السير فيه اقتداءً بغيره من ابناء جنسه . واعضاؤها ليسوا شيوخاً مرَّ عليهم سن النشاط وتولى عمر العمل بل هم شبان في ابان عمر العمل والنشاط مملوءون دماً حاراً لا يثني احدهم عن عزمه ولو وقفت الاهوال حاجزاً دون اتمام رغائبه

والخطيب الواقف امامكم الآن كان يحضر حفلات الجمعية السابقة بشوق وفرح ولقد سمع تناشد الاشعار في الليلة العكاظية ومباحثات الفضلاء في المواضيع الادبية وهو يعرف الجميع والجميع لا يعرفونه بل كان يجلس الى ناحية ويسمع بملء اذنيه كل عبارة وكل كلمة تدور على الالسنة في الحفلة ويخرج مع الخارجين وهو يردد في ذهنه كلام هذا ودفاع ذاك ولم يكن يدور في خلده انه يقف اليوم فيما بينكم فيخاطبكم عن « الدنيا وما فيها » و يصورها لكم صوراً شتى تبهج تارة وترعب اخرى

وهنا تبادر الى ذهني ذكر كتاب (آفات المدنية الحاضرة) فعظمت في عينيَّ الخدمة التي قامت بها هذه الجمعية نحو ابناء الوطن ولكني عدت فاسفت اسفاً شديداً لضياع الوقت سدى بتأليفه وطبعه ولو صرف المبلغ في ضمد جرح بائس او سد رمق جائع لكان اولى . لا لأن الكتاب لا يفيد بل لأن المجموع لا يفهم بعد نتيجة الحفلات الادبية والمقالات التهذيبية وما يرمي اليه اصحابها . . . ارى في الكتاب توبيخاً للسكير والمقامر والفاسق وغيرهم وهؤلاء لم يقرأوا الكتاب ولم يعرفوا ما فيه لينتصحوا بآدابه — لدى طبقتان من طبقات الدنيا وما فيها من جنس البشرية : طبقة مثرية اثراءً صرفها عن رؤية كل امر غير المال وطبقة منحطة لقتل وقتها بالدعارة وارتشاف

بنت الحان ، وهذه لا ترتفع رتبة عن طبقة بين الغبراء لان ارباجها سائرون اليها وهم لا يشعرون ، وكلتا الطبقتين بعيدة عن مطالعة الكتب النفيسة بعد السماء عن الارض

ولقد تنشر المجلات والجرائد مقالات ادبية وشذرات حكمية وخطرات افكار حية وكل هذه لا يقرأها الا المتأدبون وهم في غنى عنها . اما الموجهة اليهم فلا يعيرونها التفاتاً ولا يسمعون بوجودها في العالم

ومن ينصب نفسه لمثل هذه الامور ؟ هو الكاتب ... ومن هو الكاتب ؟ هو شمعة تضيء للجمهور وتذيب نفسها حرقاً = هو شخص بل خيال شخص يحيي لياليه في كتابة مقالة او نشر كتاب مفيد او نظم قصيدة ادبية وقد احدودب ظهره وشحب وجهه وضعف بصره وذبلت نضارته في عنفوان صباه وهو دائب في البحث والتنقيب عن كل نفيسة فيضمها الى سفره المحبوب ثم لا يكون حظه من ذلك كله الا كساد بضاعته واعراض الناس عن موء لفاته « فمسكين الكاتب كلما امتلأ دماغه فرغ جيبه » وربما خيل الى البعض ان ذاك البشلك من ثمن الكتاب او تلك الدريهمات القليلة من بدل المجلة او الجريدة هوّة عظيمة فاغرة فاها لابتلاع من يدنو منها او نار محرقة تلتهم من يمسها او يحاول القبض عليها تلك حالة تثبط الهمم وتقف حاجزاً دون تحقيق الامال باحياء النهضة الادبية وتنشيط القائمين بها

غرف القراءة موجودة في الثغر فمن يتردد اليها ؟ . من يحب معرفة الاخبار وهو غير مشترك بجريدة ما او لا تمكنه حالته المالية من الاشتراك بكثير منها وكلهم من الطبقة الادبية الوسطى اما الاغنياء والمنغمسون في الملاهي فلا يحضر منهم احد « مع ان مطالعة الجرائد والمقالات التهذيبية انما هي لارباب

هاتين الطبقتين فالاغنياء يقرأون قواعد الاقتصاد ويستعون من ورثها الين الجرحى والمعدمين فيجودون ببعض فضلات اموالهم » والآخرون اي الجهلة والسكيرون يقرأون القواعد الصحية ويمثلون نصب اعينهم مايورثهم انهماكهم في السكر والسهر وغيرهما مما نجلّ القلم عن ذكره فيرعوون ان كان قد بقي فيهم عاطفة او يخجلون من حالتهم فيقرعون سن الندم « وان فاتهم اصلاح ذواتهم فلا اقل من ان يصونوا عيالهم ضار بين لهم من نفوسهم مثالاً وتاركين لهم عبرة وذكرى

اما ماريدان ابينه للجمهور فهوانه اذا فاتنا اصلاح الكبار فلااقل من ان نغرس هذه الافكار السامية في نفوس الصغار فان السكير اذا ظل سكيرًا فهل يجوز ان يهمل ولده عائشاً في كنفه متبعاً خطاه ام نسعى لانتشاله من الهاوية وهديه سواء السبيل . . ؟ ولا يتم لنا ذلك الا بالمدارس فهي العامل الاكبر على تهذيب الامة وان تكن مدارسنا كثيرة بعددها قليلة بفوائدها . . .

والضربة القاضية على ابناء الناشئة الجديدة وان ارباب بعض مدارسنا السورية يحظرون على الطلبة مطالعة الجرائد والمجلات الا ما كان منها منتميًا الى مذهبهم او مطابقًا مشربهم ومبادئهم بدلاً من ان يطلقوا لهم حرية المطالعة والاشتراك باية جريدة كانت ويحثوهم على نقدها ومجاراة كتبتها لتصبح فيهم الكتابة ملكة راسخة لا تطمس آثارها فيهم بعدادراكهم سن الشيبة . ولم تخلُ بلادنا السورية من مدارس جرت هذا المجرى فعادت بنفع جزيل لا ينكره الا من اعمى التعصب باصرته وبصيرته

فالغاية من كل ذلك ان نوجد بالتربية الصحيحة الرجل الذي يحق ان يسمى رجلاً اعني به من يحب الناس ليحبه الناس ويبذل عرق القربة في سبيل الخير

لعام ويستنكف عن بذل ماء وجهه في سبيل الذل والعار ونضغط على من نكب عن جادة الصواب وتورط في ارتكاب المعاصي واستهدف للوم والتقريع ومن يريش جناح الفتنة بمكره ودهائه فلا تدار العين منه الا الى مطمع ولا تمد الراحة الا الى مغنم وانما مطمعه ومغنمه اغتياب الناس وانتهاب اموالهم . فمثل هذا يشوّه وجه الحقيقة ويقف عثرة في سبيل النهضة الادبية لملافاة كل خلل يحول دون تهذيب النفس

ومن يجهل قدر النفس ؟ . تلك الجوهرة الثمينة التي لا تكهل ولا تشيخ ولا تهرم نراها في الولد زهرة عاطرة وفي الشاب كوكباً لامعاً وفي الشيخ ثمرة يانعة . يهزل الجسم وتغور العينان ويتجعد الوجه ويبيض الشعر ويجف الدم والنفس لا تزداد بذلك الا قوّة وادراكاً فلا يلم بها ضعف ولا يشوبها فساد ولا ينتابها هرم بل كلما سار الجسم في سبيل الفناء والدمار سارت هي في سبيل العلاء وتاقت الى ما هو اسمى واجل من هذه الحياة الدنيا . وتهذيبها هو المعوّل عليه في تخفيف ويلات البشر وتقويم المآد من اخلاق بني الانسانية

يا معشر الاخوان يا من ادركوا انتيها
نفس الفتى مقدامه ولذاك اطريها
ان شاء فهو يميتها او شاء يحييها
فالمجد والاقدام عدّا من معانيها
والخسف والصفة البذيئة من مساويها
ويشينها ميل الى ما ليس يعنيها
اعمل بذاك روية يا من يباريها

واترك دواعي الجهل ان الجهل يغريها
والعقل عن آفاتها نزهه تنزيها
وانظر الى حسناتها لا شك تبغيها
من سار في الدنيا بها يدرك معاليها
هذي هي الدنيا وهذا كل ما فيها

خطاب

للشيخ احمد افندي عباس الازهري

احمد الله على ما الهم وهو وليّ الحمد . واشكره على ما يسر من السداد والرشد . واستمنحه الهدايه في النهج والمعونة في القصد . واصلي واسلم على سيدنا محمد خلاصة الكرم ولباب المجد . وعلى آله واصحابه اولي الهمم العلية والشرف العد . واضرع الى باريء النسم . ومفيض الاحسان والنعم . ان يحيط برعايته حرم الامامة العظمى . ومقر الخلافة الكبرى . الآخذ برقاب المحامد والمستولي على غايات المناقب مولانا امير المؤمنين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان . افاء الله على الامة ظلاله . وبلغه آماله وخلد ايامه . واسبغ على البرية انعامه . آمين اللهمّ آمين

سادتي سراة المعالي وحماة الفضل

لقد تنبه لي الجد واسعدني الحظ بان اتمثل امامكم مرحباً بكم ومرءوهلا ومبيناً لكم حالة المدرسة في هذا العام كما سبق لي مثل ذلك في الاعوام الغابرة من قبل فحياكم الله اهل العلم وذويه وبياكم اخوان الفضل وبنيه فلقد اجبتم

على الرحب والسعة داعي العلم اذ دعاكم ولبيتم منديه اذ ناداكم لا يزعكم عن ذلك عاذل الانفة ولا تصدكم عنه لائمة الكبر علماً منكم بما له من المكانة المكينة والشرف الباذخ الرفيع فحبذا انتم سادة تسنموا بالفضائل ذروة العلياء وتمنطقوا من المكارم بنطاق الجوزاء

مكارم لجت في علو كانما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

فاليكم اسدي من الشكر اجزله ولمعاليكم اهدي من الثناء اجمله والى الله ارغب ان يجزل لكم من الفضل حظاً يحسن اثره ومن العلم نصيباً يطيب ثمره ولا برحت بكم اندية العلم حافلة فيحاء ورياض الفضل زاهرة غناء . اما بعد فان هذا اليوم الذي اكتمل فيه سرورنا بتشريفكم لهو اليوم الذي اختتمت به السنة الثامنة لهذه المدرسة العثمانية الاسلامية فقد انقضت ولله الحمد كما انقضت السنون قبلها سالكين بتلامذتها في سبل انحاء التعليم وطرق التحصيل من النهج الامم والطريق الاقوم ماهو ايسر للملكات حصولاً واشد بالتعليم استحكاماً واقوى بالعلم ارتباطاً بما يزيدهم وثوقاً في الدين وسداداً في العمل ورجاحة في الحلم وبلاغة في المنطق مرتفعين بهم في مدارج العلم الى غاية تكسبهم عقلاً جديداً ونشأة مستأنفة وثيقة العرى حسنة الصبغة ترضعهم اخلاق العلوم شيئاً فشيئاً ينمون بها نمو الاطفال وتربوا قواهم على قوى الشبيبة والكهول . علم ذلك من عرف الحق فقاله وتحرى الصدق فنطق به ولم تأخذه في الحق لومة لائم وشاهده الجم الغفير من اعيان الفضلاء واماثل الاعيان ممن شهد الامتحانات في هذا العام وهذه نعمة انعم الله بها وسنى امرها ووفق اليه مع خلوص في النية وصدق في العزيمة فهو العالم بمستودعات السرائر وما تخفي الصدور . تلكم الخطة التي عنيت بها المدرسة منذ نشأتها والمحجة التي

ثابرت عليها من بدء صبوتها خطة عظمت بها الفائدة وتوفرت بها العائدة لا تبديل لها ولا تحويل عنها ان شاء الله واقفين بها عند اقصى الطاقة مختارين لها من مهرة الاساتذة واعيان الفضل من هو بعيد الهمة حسن السيرة قدر الامانة حق قدرها فأداها وعلم حقوق الاستقامة فوفاها فبخ بخ لما بذلوا وشكراً شكراً لما عملوا ومع هذا فاننا لم نزل نقدم الضروري على الحاجي والحاجي على الكمالي اقتفاء بالسنة التي سنها الله في النمو والارتقاء والفطرة التي فطر الله الكون عليها فاننا وان لم نبلغ الغاية التي نرمي بطرفنا اليها ولم نصل بعد الى القصد الذي جنحنا اليه كيلا نستعجل بالشيء قبل اوانه والعجلة رأس الحرمان بيد اننا لم نأل جهداً في ترقية درجات التعليم عاماً فعاماً وتنمية القوى العاقلة شيئاً فشيئاً وتحصيل الملكات رويداً رويداً اذ ان ذلك املك بالعلم واقوى رسوخاً بالملكات واقرب وسيلة الى الاعتياد والدربة ومن المعلوم ان المرء ابن عادته لا ابن طبيعته ولذا عزمنا في السنة المقابلة انشاء الله على ان نوسع نطاق العلوم العصرية ونستحضر ادوات طبيعية وكيمية وان نجعل نصيباً للمدرسة من اللغة الانكليزية في الصف الاول والثاني والثالث وان نزيد في اتقان اللغتين العربية والعثمانية وان نبذل الوسع في تحسين حالة المدرسة الداخلية ضارعين الى ولي التوفيق نستهديه رشده ونستمنحه عونه فمن كان الله في عونه تيسرت له المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب . هذا ما اردنا مكاشفتكم به ايها السراة عن حالة المدرسة وتلامذتها وقد بقيت حاجة في النفس تحملني الثقة بما لكم من سعة الفضل ورجاحة في الحلم على ان اتجاسر بها امامكم فاقول : ان مكانة الامة مرتبطة بارتقاء قوى افرادها العقلية فتكون رفيعة الشان منيعة العزة اذا كانت قوى افرادها العقلية نامية مرتقية وتكون خاملة

الذكر ساقطة ذليلة لم ترتق قوى افرادها ولم تنل منزلتها من النمو ولا سبيل الى ترقي هذه القوى لا بمراعاة تربيتها وحث ركاب الطلب اليها ونعني بتربية القوى العقلية تهذيبها وتقويمها وطلب الوسائل التي بها يدفع مافيها من التفاوت في الفرد لا في الافراد اما تهذيب هذه القوى وتقويمها فيكون بمراعاة نشأتها وعدم مفاجأتها بما لا تقوى عليه لان قوى العقل الفعالة في مبدأ الامر تكون قليلة ثم تنمو تدريجاً الى ان تقوم كلها بالعمل في آن واحد على ان غاية التربية التي يجب ان نسعى اليها هي ان تكون كافة قوى الصبي عاملة على اختلاف انواعها وان نهيء له من جسمه آلة سهلة الانقياد قوية ما دام حياً وان نبث فيه روح المرون على الاعمال التي تثنيه عن مخالطة اهل الفراغ واللهو وتنزع به عن مقارنة الرذائل الموبقة وتبعث في قلبه ذلك الفرح الذي يدركه من يرى نفسه عضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية وان نقوي اميالة لطلب العلوم الحقة التي تشف له عن الحقائق الدامغة وما تجلي به تلك الحقائق وان نرتفع به الى حالة يستطيع بها ان يجعل قوة التربية خاضعة لسلطان الخير ويجعل للفضيلة حكماً على الرذيلة فحينئذ تقوى الآمال ويحيا رجاء الرجال بالرجال وتقر العيون باجتلاء السراء وانقضاء عهد الضراء وترتقي هم الافراد وتنبعث عزائم الاحاد فهناك يوجه الانسان خدمته الانسانية الحقة ويعتنق الحقيقة من كافة وجوهها فاذا الف هذه الحقائق وقوي عقله على مناهدة الدفاتر ومسامرة القماطر والمحابر تقوى ساعتئذ على دفع المغالط الشائعة والاوهام المتداولة وساعد على نشر الافكار السديدة وظفر بلا عناء بالمصاعب التي يقابلها في طريق الحياة ويصير عضواً نافعاً في الجسم الاجتماعي

قال احد الافاضل : مما لا يخطر بحسبان الانسان سمو المكانة التي تبلغها

الحالة البشرية من الكمالات اذا جعلت وجهة التربية بلوغ الصبي درجة ارقى من الدرجة التي عليها الهيئة الاجتماعية الآن ومن اجل المبادي لتقويم القوى العقلية في الصبي ان يمهد له سبيل الابحاث ليبحث بنفسه ويستنبط نتائج ابحاثه وان ينشط للاستقلال بنفسه في طلب الحقائق الا فيما لا يستطيع الى ادراكه سبيلاً على ان النوع البشري لم يتقدم الا بتعلمه بنفسه وان نجاح الرجال الذين انساقوا بهادي ميلهم الى طلب العلم فنالوا منه الحظ الاوفر يثبت لنا جلياً ان من يسعى الى نوال اجل الرغائب لا محيص له عن خوض عباب البحث والتنقيب على الحقائق بنفسه

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

لا مراء في ان اسمى البلاد مكانة واكرمها منزلة من جعلت العلم شعارها والمعارف دثارها فكلما ارتفع منار العلم ارتفع شان الامة والمطالب في ذلك رجال العلم لانهم في الهيئة الاجتماعية هم الروح التي تنبعث منها الحياة الى الاعضاء فان كرمت تلك الروح كانت الاعضاء كريمة وان فسدت فسدت حياة الاعضاء تبعاً لها قال عليه الصلاة والسلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الا وهي القلب فرجال العلم هم قلب هذا المجتمع تسلم لها الهيئة الاجتماعية اكبادها مع حسن الظن بهم وجميل الثقة بفضلهم وضمائر النفس تناجيهم بقولها : اليكم اولادنا وهم اكرم شيء عندنا فرشحوا للمستقبل منهم رجالاً يسعد بهم ذكرنا وتزدان بهم آثارنا وتعهدوهم بالاخلاق الصالحة والمعارف النافعة فواجباتكم هي اعظم الواجبات واشرفها فان ادبتموها فانتم البررة الاخيار والا فالجناة الاشرار . وليعلموا ان

انسان هذا العصر لم يكن كما زعم البعض في الانسان القديم انه دخل في عالم الهيئة الاجتماعية بحكم الصدفة فلم يخلق عبثاً ولم يلق على وجه البسيطة العارية عاري البدن بل هناك عائلة تتلقاه وام تباشره وتربية تنتظره فكل يطالب به ويتساءل عن امره ويهمه شانه . لا جرم ان تلكم النتائج الشريفة والمقاصد النبيلة لا بد لها من وسائل مهمة ولا مندوحة لها عن مقدمات سامية لا تنتج بدونها الا وهي التربية الاولى تربية الوالدين فهي في الحقيقة القطب الذي تدور عليه كافة شؤونها والاساس الذي تبنى عليه قصورها فالتربية الصحيحة الحقة يؤسسها الوالدات والمدارس تبني على ذلك الاساس القصور المشيدة المركبة من العلم والفضيلة التربية الصحيحة عند الوالدين تبدو زهرتها وفي المدرسة تنعقد ثمرتها ومعلوم انه لا ثمرة الا من زهرة فياليت شعري ماذا تفيد في ادب الصبي الرياضيات وماذا تؤثر في اخلاقه العقليات والنقليات اذا كانت القائمة بامره والقيمة عليه جاهلة سيئة الخلق فاسدة الرأي اورثته سوء الملكة جنينا وارضعته فساد الطباع رضيعاً وربته في حجر الجهالة طفلاً . ترى السواد الاعظم يكل امر اطفاله للنساء ظناً منه ان الاشتغال بتربية الاطفال من سفاسف الامور التي لا تليق بشرف الرجل ولم يعلم ان ولاء الاطفال هم حياة مستقبل الامة فان منهم الجندي الغيور والاستاذ الماهر والمهندس البارع والاديب النطاسي ولاشك ان حياة الامة مرتبطة بهم ارتباطاً محكماً فما مصير من يترك شؤون الاطفال لامهات جاهلات مهملات ان معين في نفعهم بانفسهن ربما ساقتهن الجهالة وفساد الراي الى ضررهم من حيث لا يعلمن . ولا تثريب عليهن في ذلك ولا لوم اذ ان ذلك مبلغهن من العلم بل المؤاخذ في هذا كله الرجل لانه لم يقم بما يجب عليه من تربيتهن فكيف

يسوغ له ان يطلب من المرأة ما ليس باستطاعتها وان يحملها ماتنوء به قدرتها وهل يجوز له ان يطلب ممن هو ناقص في نفسه تكميل غيره فيكون الرجل والحالة هذه اذ وكل امر تربية اطفاله الى المرأة قد جنى جنايتين واخطأ في قضيتين وهو الباحث عن حتفه بظلفه والجادع بكفه مارن انفه لانه اساء ابتداء وانتهاء . ان للمرأة شأناً مهماً في تفاوت النوع البشري فان حسنت تربيتهن ارتقى الجنس وشرف وان اهملت انحط وتقهقر اذ المرأة ان كانت مهذبة حسنة الاخلاق تورث ولدها صفاتها وتمده بما في وسعها من التهذيب والمبادىء الصحيحة وترشحه للمدرسة وتكون اجل معين للمعلم على بث روح الفضيلة فيه والعكس بالعكس فتربية البنات من الزم ما يلزم للهيئة الاجتماعية ومن اجل ما يعود عليها بالفائدة فهو دين واجب القضاء وحق لازم الوفاء تطالبنا به العقائل في الصحف العلمية والمجلات الادبية . ولرب معترض يقول هل ربينا فتياتنا فاحسنا تربيتهم حتى نسعى في تربية فتياننا وهي المرتبة الثانية ودون الاولى في الاهمية فنقول ان تربية البنين مرتبطة بتربية الامهات ارتباطاً محكماً ومن العبث ان تحسن الاولى مادامت الثانية مختلة النظام (وهل يستقيم الظل والعود اعوج) لان للأم شأناً مهماً في تربية الطفل فاذا حسنت تربية الامهات لا تلبث ان تحسن تربية الاولاد تبعاً لها ومتى احسن الابوان التربية الاولى وارتضع الطفل لبان الفضيلة وترعرع في حجر التهذيب حق لوالديه حينئذ ان يطالبا المدرسة باستثمار ما غرساه والبناء على ما اسساه والا فكل ما تبنيه المدارس على شفا جرف هار . ومن الغباوة والجهالة مطالبة المدرسة بما من حقه ان يطالب به الابوان ومتى يتم بناء صرح وكل ما تبنيه المدرسة في العام يهدمه الابوان في ساعة واحدة كثيراً ما اتى اليّ بعض ابناء التلامذة

يصخبون ويجئرون يشكون حالة ابنائهم وعدم تربيتهم ثم يضرعون الي بان لا اخبر الابن ان اباه هوالذي يشتكي من حالته خيفة من شر ابنه وخشية من انتقامه من ابيه ومن كانت هذه حالته وهذا شانه في التربية وهو المسيطر الحقيقي فكيف يامل من المدرسة تربية حقيقية وانى لها ذلك . فلا يلزم والحالة هذه اعتبار المدرسة كآلات سحر قادرة على تحويل مافي الصبي من الاخلاق التي هي من ودائع الاباء . المدارس في البلاد المتمدنة هي عنوان درجة الامم من الهيئة الاجتماعية فاذا كانت مرتقية في بلد ما عظم شان ذلك البلد في نفوس الآخرين وارتفعت مكانته عندهم وذلك لا لكونهم يعتبرون المدارس معملاً من المعامل جيد المصنوعات بل لعلمهم بان نجاحها واجادة العمل فيها متوقفان على ارتقاء العائلات التي تتألف منها تلك الامة فنجاح المدارس انما هو اثر ذلك النجاح الاعظم وهو نجاح العائلات وبمقدار ما يحسن الشيء يحسن الاثر وعلى الاصول تنبت الشجر واذا كان لا بد من اعتبار المدارس كنوع من انواع المعامل فاشبه شيء بها معامل الماس التي يصقل فيها ذلك الحجر الكريم وتحدد وجوهه وتعين حدوده وحينئذٍ تكون العائلات بمثابة المناجم التي تدفع الى المعامل ذلك الماس الساذج

قال الامام الغزالي رضي الله عنه الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل مايمال به فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في ذلك على وليه والقيم عليه ولذا قال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة . سئل حكيم عن السن الذي يجب ان

يؤدب فيه الطفل فقال : (يؤدب قبل ان يولد بمائة عام) فهذه المكانة مكانة الابوين من التربية وهذه الاهمية اهميتها من التأديب فلا يسوغ والحالة هذه ان يترك الامر الى المؤدبين وحدهم بل لا بد للابوين من معاونتهم في عملهم باجراء نصائحهم وارشادهم مع المراقبة الدائمة لكل مايصدر عنهم ويفرط منهم من المخالفات ليعمد الى اصلاحه قبل استحكامه واستفحاله وبذلك تؤمن غوائل العقوق وتتقى شرور وايما شرور وبقدر اهمية هذا الامر كانت الهمة منصرفة اليه حتى اننا والله يعلم وانتم مطلعون لم نترك في هذا الباب وسيلة ولا ذريعة الا اخذنا بها خدمة لهذا المبدأ القويم وحباً في النفع العميم والله المستعان وعليه التكلان وهو ولي التوفيق واختتم افتتاح هذا الاحتفال كما افتتحت ختام هذا العام بحمد الملك العلام وترديد الدعاء بتأييد صاحب الخلافة العظمى والامامة الكبرى حمى الملة وملاذ الدين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبدالحميد خان . واقدم من الشكر اوفره . ومن الثناء اغزره . واعطره لمن شرف هذه الحفلة العلمية والندوة الادبية واستودعكم الله الى مثل هذا العام والسلام عليكم ورحمة الله

القبور

بقلم الياس افندي طراد

ما نفع ميت بقصر يشاد فوق ثراهُ
ان لم تشيد مقاماً الى الثواب يداه

ان اردت مشهداً يذوب منه فؤادك اسفاً وتنقطع له احشاؤك لهفاً

فاذهب الى المقابر وانظر ما هنالك من ابنية شاهقة تظنها عن بعد قصوراً ثم تدنو فلا ترى الا ارماساً وقبوراً

ترى كنوز الاموال مدفونة في الارض و بنو الارض من البائسين لا يملكون بلغة يسدون بها رمق الجوع

تنظر الميت راقداً في ابهى منزل من البهجة والرواء والحي المسكين متقلب على فراش الالم والعناء

تجد القبر مكسواً بحلة زاهية و بيت الفقير عارٍ من حصير بالية فكيف تشاهد هذه المناظر ولا تنفطر منك المرائر

سل من بنوا هذه المنازل يجيبوك اننا من ذوي الوجاهة والثروة فما ضر لو انفقنا اموالنا كيف نشاء قل بئس ما تزعمون . ان الله لم يأمركم ان تنفقوا اموالكم الا بما به الاجر تغنمون

وان قالوا انما نريد احياء ذكر فقيدنا قل ان احياء الذكر ليس بما من القبور تبنون ولا بما من القصور تقيمون . بل ببناء بيوت البر والاحسان فان بناها الميت من قبل والا فلا يجديه نفعاً كل ما تضعون

وان ادعوا ان في ذلك مجداً له قل اي مجد من بناية تشير الى ان صاحبها كان غنياً ان لم يكن الناس بفضله يتحدثون

ولرؤية آثار تستدر عليه الرحمة خير من النظر الى قبره الفسيح عند من يبصرون

اقال ربك ان السعيد من اتخذ القصور قبراً ام قال هو من نال في سمائه اجراً

وهنا اسأل العفو من اغنياء بلادنا عن كلام ربما حسبوه تطاولاً على

قدرهم وما هي الا خطرات افكار استلفت اليها نظرهم الكريم

على اني لا انكر ما يجود به الكثير منهم في سبيل المعروف والاحسان واغاثة الملهوف من بني الانسان الا انني اقول ما ضرهم لو ضموا الى حسناتهم ما ينفقونه فيما لا فائدة منه الا اضاعة اموالهم بلا فائدة او ليس بناء مدرسة عن نفس الفقيد لا تفتتح دروسها يومياً الا بالثناء عليه ولا يلهج طلبتها الا بالدعاء الى الله للاحسان اليه خيراً من كل ما ينفق في زينة القبور او ليس انشاء منتدى علمي ينطلق بفضل الميت عليه اولى مما ذكرنا

او ليس عمل مستشفى تأوي اليه ذوو الاسقام ابقى لذكره واقرب للتقى مما اليه اشرنا او ليس صنع مآثر تذيع فضل الفقيد في اقطار العالم افضل من بهرجة باطلة لا يعلم بها سوى مواطنيه

فان كان القصد من تلك الابنية العظيمة والمجد فما بالنا لا نطلبه من حيث منفعة البلاد واحياء العباد

بل ربما آل الامر الى عكس ما نريد كالمؤلف الجاهل يكشف من امره ما كان مخفياً فان في اقامة تربة للفقيد انفقت عليها الملايين دليلاً على انه من ذوي الثروة الطائلة فان لم يكن ذا مآثر قل الناظر الى ترتيبه مات هذا الغني شقياً

وان قيل كيف يقدم احد الاغنياء على ترك تلك العادة وقد اصبحت فرضاً واجب الاداء بما اتصل الينا من التقليد فمن اهملها فقد عرض نفسه للوم والتعنيف فاما ان ينسبوا اليه الشح او يرموه بالتفريط في واجباته نحو فقيده

قلت اما الشح فلا يقال عنه لان ما يوفره من تلك الجهة ينفقه في

مشروع ادبي او عمل خيري

واما التفريط في واجباته نحو فقيده فلا يظن به بعد ان يقيم عن نفسه ما يزيد في اعين الناس اعتباره ومكانته

فيا اغنياء البلاد واعيان الوطن ارأيتم انكم لو جمعتم ما تجاوزتم به حد الواجب من النفقات على المدافن لكفى ذلك بناء الوف من المعاهد الخيرية والمنتديات العلمية

أ أردتم ان تمتازوا عمن دونكم من الاحياء حتى ولو بعد الممات ألا فاعلموا ان لا امتياز الا بالاخلاق والآداب ولا رفعة الا بما فيه نيل الاجر والثواب وان كل نعيم زائل وكل شيء ما خلا الله باطل

امين افندي الحداد

في المدنية ومكارم الاخلاق

فضل العرب

لو جاء الى هذه الدنيا الحاضرة رجل من اهل القرون الغابرة ونظر الى عالمنا هذا الجديد وما فيه من قصور شامخة وابنية باذخة وما تم للناس فيه من اسباب المدنية الكاملة وذرائعها الحافلة ورأى مابين افراد العالم من الائتلاف العجيب والاجتماع الغريب وما يسعون اليه بجهدهم ليل ونهار من جر المنافع والاحتيال على فوائد الطبيعة واكتسابها لتوهم ان الناس في هذا العصر اقرب

الى الملائكة منهم الى البشر وتيقن ان مكارم اخلاقهم وطيب نفوسهم قد ترقت بالقياس الى ما وجده فيهم من المدنية التامة الى درجة لم يكن يحلم بها احد من قبل حتى ليظن ان الشر قد امتنع كله من الدنيا ولم تبق الا المحبة والسلامة والوداعة وسائر مكارم الاخلاق وحسنات العواطف . ولكنه لو جال بين هذا الناس قليلاً وعاشرهم يسيراً لوجد ان هذه المدنية بعيدة عن مكارم الاخلاق او انها تبنى وتشاد بضعف تلك المكارم واضمحلالها والرأي هذا العالم في تنازع شديد على البقاء ومسابقة عظيمة الى المسرات النفيسة والجسدية وان الانسان منا يسعى جهده في اذية سواه ويجهد في سلب النعمة التي يلهو بها اخوه وان هذه المدنية ليست الا وهماً بل انها لم تكن الا من وراء تلك المزاحمة الشديدة على المسرات ومنافسة الانسان جاره والاستعلاء عليه ومن اجل ذلك نشأت على اثر هذه المدنية اخلاق سيئة لم تكن في نفوس البشر السابقين حتى صارت تقتضي قانوناً جديداً يعاقب عليها او ديناً جديداً ينهي عنها فان الصدق وهو من اجل مكارم الاخلاق قد امتنع اقترباً من كل هذا الناس حتى لم يعد عاراً بل لقد زاد وجل حتى صار يعد فخراً يزدهي به قائله وانت متى علمت ان الكذب ينطوي تحته كل اسباب الشر والفساد كالغش والضرر والنميمة والاغتياب والسعاية فقد علمت كم ساءت اخلاق الناس في هذه المدة وكم بعدت الشقة وفشت الخيانة ثم متى عرفت ان كل هذا العالم المجتمع بعضه على بعض اجتماع النمل يعيش بالتجارة التي امتدت في الدنيا كلها وتعلق بها كل فرد من ابنائها فقد هان عليك ان تعرف كم يتلو هذه التجارة من افساد الاخلاق وكم يتوصل الى المعيشة بسببها من ذرائع المضرة ووسائل الغش والخديعة

على ان عقل الانسان قد سما في عصرنا هذا سمواً غريباً يتجاوز حد التصور وانما العقل هو الحكمة والرشاد وسداد الطريقة والاحتيال على منع اضرار الطبيعة وانتهاب خيراتها ولكن نفس الانسان وهي ادق جداً من عقله لم تترق شيئاً بالاطلاق بل لم تظل على حالها التي كانت عليها في العصور الخوالي بل كان وفور هذا العقل كأنه سبب اضعف قوة النفس وطيبها كما قلنا عن العقل والعلم في مقالة جنون العلماء في الجزء الماضي ولكنه لم يضعف المعرفة بنقائص النفس وعيوبها لان تلك المعرفة من شروط العقل ولذلك نجد الناس يعرفون مكارم الاخلاق و يعددونها فيقولون عن كل نقيصة تصدر ليس هذا من الشرف وليس هذا الصنع من شروط الانسانية ولكنهم يعرفون ذلك معرفة و يشيرون اليه اشارة فقط ثم لا يستطيعون مباشرته بعموم لان هذه المدنية قد افسدت نفوسهم حتى عصيت عقولهم واضعفت ارادتهم فصار الانسان كأنه مضطر لارتكاب الشر اضطراراً ولو كانت عندنا قوانين تقضي بمعاقبة من يؤذي اخاه بقوله وتصرفه كما يؤذيه بكفه وسلاحه لكانت منازلنا سجوننا وكانت دنيانا هذه كلها سجناً مقيداً الناس بدل ان تكون سجناً مطلقاً مباحاً

ثم مما يدلك على ان هذه المدنية قد اجادت عقول الناس وسلبتهم طيب نفوسهم واعتقادهم انهم صاروا يحتالون على الشر بمخالفة الدين هرباً من ارتكابه في مخالفة الشرائع والقوانين ولذلك تراهم يسرقون بعضهم بعضاً بالغش والكذب والتمويه الخفي وهو مالا تعاقب عليه شريعة ويمتنعون عن ارتكاب الشر الظاهر الذي تعاقب عليه الشريعة وهي حيلة من حيل العقل ولدتها هذه المدنية وتجد ان العدوان العمومي الخفيف يقل جداً بتقدم هذه المدنية حتى

لقد يأتي حين تمتنع فيه السرقة السرية بالاطلاق لقيام السرقة العلنية مقامها وهي لا يستطيع الانسان منعها بوجه من الوجوه اذ من يقدر منا ان يذهب الى قاض فيقول له هذا اغتابني بما نال به شيئاً كان من حقي نيله ومن يقدر ان يشكو رجلاً زاحمه في وظيفة او سابقه الى امله ومن يستطيع ان يعاقب انساناً لانه افشى سره او فضحه بما يمنع رزقه واكتسابه . كل هذه ذنوب عظيمة في عين الحقيقة لا يعاقب عليها احد ولا يمنعها الا مكارم الاخلاق وما مكارم الاخلاق الا الدين وانت ترى ان الاديان كلها قد اخذت تضعف بالتدريج كلما امتدت المدنية وكثرت الحيلة عليها

ولقد يقولون بل ان المدنيه قد تحسن اخلاق الانسان وتزيد نبله وشرف نفسه لان المرء متى وجد نفسه لابساً حلة نفيسة او ساكناً منزلاً حسناً وبالتالي متى كان متحضراً يعاشر اخوته الناس وقد زادت تلك العشرة في الانة عريكته وحلاوة مشربه فانه يخجل ان يباشر دنيئات الاعمال والاقوال بل نزيهاً عفيفاً ونحن نقول ان ذلك لصحيح وهو كل السبب في منع الضرر العلني ولكن هذا ليس بمكرمة خلق ولا بطيب نفس بل هو عادة وتقليد وان ذلك الرجل البدوي المرتدي اخلق رداء والمعاني ذل المعيشة قد يكون اطهر منه نفساً واحسن خلقاً وشيمة وقد تصنع معه جميلاً واحداً في عمرك فلا ينساه الى الابد وطالما رأينا الرجل الحسن البزة الرقيق العشرة الكثير الصحبة يجفوك وينسى ودادك لاقل هفوة ويزاحمك ويسلوك لادنى مغنم

واذا شئت البرهان على ذلك فانظر الى رجال القرى والمزارع في عصرنا هذا المتمدن تراهم كما انهم ابعد الناس عن التجارة والمزاحمة في المعيشة ابعدهم

يضاً عن الغش والخداع وكما انهم اكثر من جيرانهم المتحضرين وسكان المدن جهلاً بقوانين المدنية وشروطها الظاهرة العرضية اكثرهم علماً بشروط لمعروف والاحسان والنجدة والمعونة حين وقوع المصائب بل انت تجد هذا حتى في فقراء المتمدنين وعامتهم الذين يرون المدنية رؤية فقط دون ان باشروها فترى الملاح المسكين تنكسر سفينته بين اثناء الموج المتلاطم وهو يرى الموت متطلعاً اليه بكل عين والبحر فاغراً افواهه من كل جهة فيكون اول ما يبدو له ان يخاص الطفل الصغير والامرأة الضعيفة حتى اذا قضى كل شروط الانسانية وواجبات النجدة والمعونة بسط يديه مستقبلاً الموت من بين تلك الامواج وجعل لحده سفينته في ذلك اليم الهائل وترك رجال التمدن والحضارة من ركاب تلك السفينة يزحم بعضهم بعضاً حتى ليقتل الرجل اخاه وهو يدافعه للوصول الى موضع النجاة او للتعلق بادنى حبال الحياة مع ان ذلك الملاح البدوي الخلق والطبع كان ابصر منه بابواب الهرب واقدر منه على اسباب النجاة

وانظر الى العامي الفقير الذي يمشي عريان حافياً في الازقة بين جماهير المرتدين احسن الملابس والمتحلين بانفس الحلى تراه اذا اشتعلت النار في منزل كان اول من حركته نفسه الطيبة لانقاذ المحترق ومعونة المتضايق حتى لقد تهون عليه مروءته ان يحترق ويهلك في سبيل خلاص غيره وتجد المتمدن المتعلم في تلك الحالة وهو يكاد يحس ان النار تحرقه ولو كان منها على بعد ميلين فيسرع في الهرب منها اسراعها في الاحراق وهذه سوق الشفقة التي احترقت في باريز كانت اول دليل على ان المروءة لم تصدر الا من الفقير العامي الذي لم ير المدنية الا رؤية فقط ولذلك رأينا اشرف وسامات فرنسا

معلقة على صدور سائق المركبة وابن السبيل وامثالها شاعدة على مكارم الخلق عند الفقير لان انقاذ نفس من الموت انما هو من اشرف مكارم لاخلاق ونهاية ما يرومه الانسان من اخيه

واذا شئت ان تستدل على عموم مكارم الاخلاق وشيوعها في شعب كامل فقد لا تجد ذلك في عصرنا الحاضر لان مساوىء الاخلاق في المدنية الحاضرة قد اعدت العالم بعمومهم ولكن ارجع الى القديم وانظر الى جاهلية العرب الذين لم يكن لدى الواحد منهم كرسي يجلس عليه ولا لباس له غير تلك العباءة والذي لايمر عليه من المنظورات غير صورة المضرب والناقة كيف كانت اخلاقه والى اي حد بلغت مدنية نفسه وعندها تعلم ان مدنية العرب في ذلك الحين كانت اعظم مدنية يرجوها الانسان ويتمناها بل يتمنى لو ظلت الى الآن وانقطع عنا بسببها كل هذه المدنية الجديدة التي افسدت اخلاق البشر وعلمتهم من الضرر النفساني اضعاف ماجاءت به من الخير والنفع الجسدي والعقلي

واذ قد امتد بنا القول الى هذا الحد فلا بأس ان نذكر لقراء الانيس شيئاً من دلائل الفضل ومكارم الاخلاق عند العرب فيعلموا منه ان تلك الامة العظيمة خليقة بان يصفها التاريخ بانها من اجل امم العالم وان الله تعالى قد اودع في طباع اهلها وركب في نفوسهم نهاية ما يريده لعباده من مكارم الاخلاق وحسن الصفات حتى اننا لو انصفنا اقوالهم وكلام العظماء منهم لوضعناها في جملة ما جاء به الانبياء الكرام . ولما كان من اجل مكارم الخلق وطيب النفس عفو الانسان عمن يجني عليه ومحبته قريبه كنفسه فهاك ماقاله معن بن اوس في نسيب له

وذي رحم قلمت اظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلمُ

يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكمثوت عندي ان يحل به الرغم
ويشتم عرضي في مغيبي جاهداً ... وليس له عندى هوان ولا شتم
اذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهة والاثم
يود لو اني معدم ذو خصاصة ... واكره جهدي ان يخالطه العدم
فما زلت في لبني له وتعطفي ... عليه كما تحنو على الولد الام
وصبري على اشياء منه تريبني ... وكظمي على غيظي وقد ينفع الكظم
رأيت اتئلاماً بيننا فرقعته ... برفقي احياناً وقد يرقع التلم
وابرأت غل الصدر منه توسعاً ... بحلمي كما يشفى بادوية كلم
فاطفأت نار الحرب بيني وبينه ... فاصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

ثم انظر الى هذا الشعر كم فيه من جهة تركيبه وحسن صوغه وايراده من الدلالة على مدنية الصناعة العقلية وارتقائها بين اولئك الاقوام وكم فيه من الدلالة على شرف النفس ووصولها الى اسمى درجات الاحسان والمعروف والانسانية الحقيقة عند امة العرب الكريمة

ثم نحن نعتد من حسن الخلق وكرمه شدة العطف على اولادنا والعناية بهم وكثرة الجزع لما ينوبهم من المكاره لان رقة العواطف وتاثرها من اكبر العوامل على منع المضرة والدعوة الى الرفق والاشفاق وذلك ما قاله حطان بن المعلي في هذا المعنى

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع ... في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا ... اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

اليس هذا الشعر من اقوى الادلة على فضل العرب ولطف شعورهم واحساسهم وانهم على كونهم كانوا يئدون بناتهم فقد كانوا يعطفون عليهن كل العطف ويجعلون اشعارهم اشبه بالوصايا الدينية بهن

ولقد كان العرب من اشد امم الارض غارات وحروباً واكثرها ازدهاء وافتخاراً بالقتال حتى قل ان يخلو لشاعر لهم اشارة في قوله الى الحرب والافتخار بالنصر فيها بل ان الحروب هي التي حسنت اشعارهم وكانت من اكبر الاسباب على اشتغالهم بالقريض والتنافس به ولكن لو نظر ابن هذا المصر في بعض اقوالهم لوجد ان محاسن اخلاقهم وشدة اشفاقهم طالما كانت تدفعهم الى كرهها والوصية بمنعها ولا سيما بين العشيرة الواحدة والعشيرتين المتصاهرتين . قال العديل بن الفرخ العجلي في مثل ذلك الحال

ظللت اساقي الموت اخوتي الألى ... ابوهم ابي عند المزاحة والجدِ
اذا ما حملنا حملة مثلوا لنا ... بمرهفة تذري السواعد من صعد
كفى حزناً ان لا ازال ارى القنا ... تمج نجيعاً من ذراعي ومن عضدي
لعمري لئن رمت الخروج عليهم ... بقيس على قيس وسعد على سعد
لكنت كمهريق الذي في سقائه ... لرقراق آل فوق رابية صلد
كمرضعة اولاد اخرى وضيعت ... بني بطنها هذا الضلال عن القصد

وقال آخر يامر بنجدة الفقير وينهى عن اذاه

ولا تخذل المولى اذا ما ملمة ... المت ونازل في الوغى من ينازله
ولا تحرم المولى الكريم فانه ... اخوك ولا تدري لعلك سائله

وقال آخر

واستنقذ المولى من الاسر بعد ما ... يزل كما زل البعير من الدحض

ومنحه مالي وودي ونصرتي وان كان محني الضلوع على بغضي

فانظر الى هذا القول ايضاً كم فيه من الدلالة على الرفق والانسانية وارادة منع القتل بين رجال الجنس الواحد ثم انظر الى قومنا المتمدنين الحاليين هل تجد فيهم شاعراً قام في فرنسا او المانيا يوصي قومه بمنع محاربة هاتين الامتين المتجاورتين وهما من بلاد واحدة ومذهب واحد وهل حزن شاعر لمحاربة الانكليز مع الاميركان ايام الاستقلال الاميركي كما حزن هذا الشاعر مع انه قد قتل في تلك الحرب عدد قد يزيد عن سكان بلاد العرب كلها في ذلك العهد الذي قيل فيه هذا الشعر

هذا ولو شئنا ان نذكر كل مكارم الاخلاق التي كانت في نفوس العرب ونأتي على شواهد مما قالوه في العفاف والضيافة واغتفار الزلات والحض على الخير والمعروف او نستشهد على رقة نفوسهم وشدة تأثر عواطفهم بمراثيهم لضاق بنا المجال ولكننا نكتفي بما ذكرناه فانه كاف للدلالة ولا يخلو من فكاهة في قراءة ذلك الشعر البسيط الحسن

ولقد يقال ان هذا الشعر الذي ذكرناه واستشهدنا به انما هو كلام مثل كلام الوعاظ عندنا يامرون الناس بمكارم الاخلاق ولكن لا يطاوعهم الا القليل فلذلك لا يكون كلام شعرائهم دليلاً على ان ذلك كان حاصلاً فيهم حقيقة وهو اعتراض يقتضي النظر ولكننا نرجح من بساطة تلك الاقوال ان العرب كانت اسمى امة في فضائل النفس الجوهرية وان هذه الاخلاق كانت منتشرة في نفوسهم كانتشار الواجبات العمومية عندنا الآن

ولقد قلنا ان الكذب من اجل مساوي الاخلاق النفسية لانه يجر كل مفسدة ويدعو لارتكاب كل جريمة فاذا شئنا زيادة الاستدلال على ان

خلائق العرب كانت جميلة صادقة فان ندورة الكذب عندهم تكون اجل دليل . انظر الى اشعارهم واوصافهم جميعها تجدها في غاية البساطة والصدق في القول وتجد ان هذا الغلو والاغراق المعروف الآن في شعرنا الحاضر كان نادراً جداً عندهم فان الرجل منهم كان يمدح اميره او صديقه فلا يذكره الا بتمام ما فيه ولذلك يمكننا ان نتخذ اشعارهم كتاريخ صادق لهم ليس لحروبهم وما مرَّ لهم من الوقائع بل لاوصاف عظمائهم في ذلك العهد حتى انك تقدر ان تتمثل كيف كان هرم بن سنان وكيف كانت اوصافه واخلاقه من اشعار زهير فيه على حين لا تستطيع ان تعرف كيف كان هرون الرشيد وسيف الدولة وامثالهما لكثرة ما غالى الشعراء في مديحهم وخرجوا فيه من الحقيقة الى الادعاء والكذب

ومما يدلك ايضاً ان الصدق قد بلغ نهايته عندهم انهم كانوا يذكرون تقصيرهم في اشعارهم ويدلون على عيوب نفوسهم فطالما اثنى منهم رجال الحرب في اشعارهم على اعدائهم وذكروا انهم شجعان وانهم لم يستطيعوا لقاءهم وطالما رأينا لاكابر شعرائهم وقد كانوا من اكابر العرب ورجال الحكم فيهم اشعاراً تدل على ان الواحد منهم كان سكيراً مفرطاً حتى لقد ساق الصدق امرىء القيس ان يذكر انه خليع جداً من نفس شعره مع ان الشعر شعره وله حق التصرف في اذاعته وكتمانه ولكن كأنه اراد بذلك ان يظهر لغيره حقيقة ذاته ويكون مؤرخ نفسه . ولقد رثى قيس بن زهير حمل بن بدر الفزاري بابيات فقال فيها

ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم

ولقد كان حمل بن بدر هذا ارتكب مظلمة مع حذيفة الفزاري فقتلا بسببها فلم يرض قيس بن زهير الا ان يذكر له هذا الظلم في شعره وهو مايدل على ان القوم كانوا يمشون وراء الصدق في كل اقوالهم والا لما قال زهير هذا القول ووصف صديقه بهذه النقيصة ولكن التناعي في الفضائل النفسية التي كانت ملء صدورهم قد دفعت ابن زهير لحكاية الصدق حتى يعتبر بقوله كل ظالم

وقال زفر بن الحرث يذكر حرباً جرت بينه وبين قوم

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذام وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض ابت عيدانه ان تكسرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبرا

فانظر الى هذا العربي الصادق كيف يشهد بنفس شعره شهادة تبقى الى الابد بان اعداءه كانوا اشد من قبيلته اقداماً وبسالة وانظر هل ترى شاعراً من شعراء اميركا واسبانيا وهم في اعلى ذروة المدنية يقول مثل هذا القول عن حرب البلادين الاخيرة

وعلى الجملة فانك لو تفقدت اقوال العرب واوصافهم لرأيت حشوها الصدق وذكر الحقيقة وهو كما قلنا من اسمى فضائل النفس وبها نستدل على سائر تلك الفضائل

ثم ان لدينا دليلاً آخر على ان المدنية قل ان تجتمع مع مكارم الاخلاق المحضة ان هؤلاء العرب انفسهم لما تمدنوا وتحضروا اخذت تلك الاخلاق تضعف فيهم بالتدريج وامتزجت بساطة القول والصدق في الشعر والوصف

فصرت ترى المادح يضع ممدوحه في منزلة الملائكة لكثرة مايثني عليه وينسب اليه من الفضائل التي لا تجتمع في انسان حتى لقد مدح ابن هاني الاندلسي المعز فكان في جملة ما قال فيه

ومتصل بين الاله وبينه ممر من الاسباب لم يتصرم

فجعله بهذا القول من جملة الانبياء ومثل هـذه المبالغة الكثيرة قل ان رأيناها للعرب البادين لان الصدق لم يكن يطاوعهم على مثل ذلك

ثم انظر الى المتنبي الشاعر العظيم وشاعر سيف الدولة الخصوصي كم بالغ في مديحه والثناء عليه فقد كان سيف الدولة متصل الحروب مع الروم وكان ينهزم من وجوههم احياناً ولكن لم يذكر شاعر من شعرائه في ذلك العصر انه انهزم لان الاضطرار الى المديح الخالص الذي ادى اليه الكذب في الحكاية او التمليق وهو من النقائص كان يمنعهم عن ذكر الحقائق التاريخية في اشعارهم الا اذا كان فيها ما يثني به على الممدوح

ولقـد انهزم سيف الدولة مرة وتشتت كل رجاله وانهزم سيف الدولة والمتنبي ونحو اربعة من قواده حتى ان المتنبي نفسه حين كان فاراً يسبح على جواده علقت عمامته بغصن فانحلت عن راسه فاخذ يصيح ويستغيث وتوهم من شدة الخوف ان الروم قد تبعوه ووصلوا اليه وقد وصف هذه الوقعة في شعره وذكر اكثر ماجرى فيها ولم يذكر انه هرب مع سيف الدولة وانه خاف وجزع ولم يكن ذلك الا لانه لا يريد ان يصدق ولاعتقاده ان ممدوحه يغضب لو ذكرت عنه في الشعر مثل هذه الحقيقة

ثم انظر الى المتنبي تجده يذكر الحقائق التي يظهر فيها فضله فقد دلنا بشعره على انه كان من جملة القواد او المحاربين مع سيف الدولة اذ قال في

موقعة نهر بردى بطرسوس يذم شعراء سيف الدولة الذين لم يقاتلوا معه ويعرض بمديح نفسه

ليت الملوك على الاقدار معطية فلم يكن لدنيء عندها طمع
رضيت منهم بان زرت الوغى فرأوا وان قرعت حبيك البيض فاستمعوا

ولو لم يذكر لنا المتنبي بشعره انه قاتل مع سيف الدولة دون شعرائه لما عرفنا هذه الحقيقة عن ذلك الشاعر الكبير ولكنه ذكرها حيث يثني عليه على ان هذه الحالة وامثالها وان تكن لا تدل كل الدلالة على ضعف فضائل النفس في العرب المتحضرين ولكنها تعتبر من وجه الكذب في القول كدليل على ان كل حالات المدنية كانت كذلك ومتى امتنعت البساطة في القول وامتد الكذب واعوز الصدق في الاخبار والقسم فقد فسدت اخلاق النفس وحقاً لقد صدق المتنبي اذ قال

اتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم واتيناه على الهرم

فان في بيت هذا الرجل الذي اتهمناه بالكذب مايرد عنه كل ما وصفناه به لانه جاء مصدقاً كل التصديق لان المدنية الاخيرة قد ساءت الانسان وقد كان ينعم بها ويسر قبل ان تكون اي ايام لم يكن هذا الاجتماع الانساني العظيم ولم يكن زخرف هذه المدنية الباطلة التي تسر الجسم وتسوء النفس وما ندري هل هذه الشرائع التي اختطها الانسان وكتبها في الدفاتر يحكم بها على اخلاق الناس جميعهم كأنهم انسان واحد ام كثرة اجتماع الناس واشتباك علاقاتهم قد اوجدت فيهم الحيلة والجهاد العظيم في سبيل الرزق حتى فشا الكذب وانقطعت الثقة ولكن الذي نراه ونشعر به ان هذه المدنية قد نقلت اخلاق البشر من الصلاح الى الفساد ودلتنا الدنيا على انه ليس فيها

شيء مجاناً فان ذاك البدوي ذا العباءة كان وافر المدنية في اخلاق نفسه ولم يكن يستطيع صنع ابرة بيده وهذا الانسان الذي يكاد يصنع المعجزات بيديه الآن لا يستطيع ان يرد الفساد عن اخلاقه وسجاياه ولقد اعطتنا الدنيا شيئاً واخذت شيئاً والحمد لله على كل حال

غصن من الورد

لامين افندي ريحاني

ركبت في الامصار البعيدة هواي وارحته من عنائه · غرست في بساتين الغرباء حبي فنوّر قبل اوانه · غرسته في ارض سمراء جديدة فناحت عليه زهور زمانه · طرحت بذور حبي ذات اليمين وذات الشمال · طرحتها في انجاد العلم فايبس ما نبت منها الصرّ وحملت رياح النزاع البقية الى حيث لا ادري · طرحتها على شواطيء نهر الفلسفة الراكد فذوت في ظلاله الظليلة — ماتت لانها لم تر نور الشمس · غرست حبي في غياض الحضارة الغيضاء فادمته الاشواك خنقه العليق · قتلته الجذور السامة * غرسته في ارض الاحباء والخلان فمات بالاستسقاء من مستنقعات الكذب والرياء * ذهب بحبي الى الفقراء والبؤساء فغرسته في ارضهم الجدباء فلم ينبت * هجرت المدن وهذه المدنية وركبت البحار * نثرت على المياه حبي كما تنثر شمس تموز المساسها ولآليها * نثرته صباحاً فتلونت الامواج من شهواته نثرته مساءً فتوهجت من

نيرانه الآفاق * كلم حبي السحاب فاجابه · دعا البحر فلباه * لمس حبي الآفاق بأنامله فارتعدت وتموجت مبتهجة متوهجة

في صبح يوم من ايام الربيع بعثت حبي رائداً في صحراء جديدة فمضى ولم يعد اليّ * ناديته من قمم لبنان فلم يجبني * فتشت عليه في الآفاق ووراءها في مشرق الشمس ومغربها فلم اجده * تركت حبي يهيم ثانية على وجهه * فركب هواه مرة اخرى وتركني اتحسر واتأسف عليه · آه عليّ اواه عليه

في وطني في ارض اجدادي في التربة التي ذاقت قديماً حلاوة ضربة معول رجل قوي · غرست غصن ورد طري * غرسته والآمال تدفعني والعزم يعقد شفتي * غرسته في مكان عزيز جعلته في حرز حريز بعيداً عن الحضارة والناس * لا فرق عندي الآن ان صمت مسامعهم وان فتحت * لا يهمني ان استحجرت قلوبهم او استحالت طيناً او ذابت ماء معيناً * انت ايتها الارض امي وسافرح يوم تضميني الى قلبك كما تضمين الغصن الذي انا الان غارسه * انت ايتها الارض حية ابداً = ابداً تحبلين وابداً تلدين * مهما كان ظاهرك فالشعور فيك لا يموت · النار في قلبك لا تخبو * الخريف يزيل الوقر من اذنك والشتاء يلين قلبك والربيع يحرك لسانك والصيف يريك ثمرة احشائك ومن افصح منك في الربيع ومن اكرم منك في الصيف من اعظم تهيجاً منك في الشتاء من اشد سمعاً في الخريف * من ارحم منك ايتها الارض · من الطف واشفق واحلم * تقبلين منا الاقذار وتعطينا عوضها الازهار * تستنشقين نتانة امراضنا وروائحها وتعيدينها شذاة طيباً * تسكب لك السماء كأساً من الماء الزلال فيعكره الانسان فتفيضي عليه مكافأة خيراتك ومراحمك * ارض اجدادي افتحي الان لي قلبك * لا تجهميني ·

لا تعبثي برجائي وعملي . لا تحبسي حبي عني دهراً * ايتها الارض التي نقبها ابي وحلت تحت اشجارها امي لا تودعي امالي الصخور . لا تحمليها الى قمم الجبال فتموت هناك من الثلوج وشدة الرياح

على كتف هذا الوادي الذي ردد صراخي وغنائي صغيراً في هذه الارض التي هجرتها . غرست غصن ورد طري . كلمت الارض بيدي لا بلساني حصيتها ونقبتها بمعولي الصغير * طعمتها من ذاك الاسود الذى تفرزه المواشي ومن ذاك الاصفر الذى كاد يشتعل في الصحراء من قبلة الشمس ويكاد يذوب على السواحل من قبلة الامواج * سقيت غصني من ماء الفؤاد وحجبت عنه النور في ايامه الاولى * رفعت فوقه سرادق ودي وهيامي ونثرت حوله في الشتاء اوراق الخريف البالية * ولبثت اذ ذاك انتظر جواب الارض وحكمها * كم مرة زرت غصني وهززته مستنجداً فلم تبدعليه لا اشارة الموت ولا علامة الحياة * كم مرة افتقدته وقلبت فيه الطرف مستقصياً اخباره * كم مرة وقفت امامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء * تباركت ارض اجدادي فقد حسن في عينها اجتهادى * تباركت ارض امي فسترينى الورد على غصن تعبي وهمي * نعم الارض كلمتني . اجابت الارض سؤالي . رددت الارض صدى حبي * ها ان غصن الورد ينطق كالطفل * بدت على شفتيه لفظة الحياة واثمرت في قلبه الكلمة الحية التي تساقطت عرقاً من انامل ومن جبيني في فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية وفي صباح الغد تستحيل افافة لازوردية وتبدو اللؤلؤة زمردة نحيفة ندية * وبعد غد او بعده ينشأ من الزمردة صدفة خضراء في قلبها بحور من الورد لا ترى واجيال من الحياة لا تعد * في قلبها اوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نحيف طري لا يعرف

بعد اسم الشوك ولا معناه * في قلبها غصان ورد وفي قلب الورد بذور وفي البذور الابدية والخلود

كلمتني ارض اجدادي . احيت فيّ الرجاء ضمت الى صدرها طفل حبي وانعشته بعد ان كاد يموت * نفخت فيه من روحها الازلي فتحرك لسانه . هو ينطق بما تلقيه اليه من ايات الحب والجمال والحكمة والرجاء * اين فصاحتي من فصاحتها * الارض لا تنطق الا لتحيي . لا تتكلم الا لتزهو وتثمر * ماقالت لا بزمانها قط . فان كان جوابها ايجاباً (فنعم) وان سلباً فسكوتاً ابدياً * كل آياتها جميلة كل اقوالها منعشة محيية وليتها تعلم بنيها القول المثمر المنعش الجميل * اوليتها تعلم بنيها السكوت

كأني بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان فيّ واعطني ساعة من العمل فاعطيك عوضها ميئة بل الف ضعف من الحب والرجاء من السرور واللذة من العزم والنشاط من الحياة البسيطة النقية التي لا سعادة للانسان الا بها

كل جرثومة على غصن الورد الذي غرسته هي لفظة من الفاظ الارض العذبة . هي رسالة من الام لبنيها * كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من عقد الكون . هو سرٌ من اسرار الحياة * في اي عصر ولدت ايتها الوردة . اي ارض شاهدت اول زهرة من ازهارك واستنشقت اول نفحة من اريجك من زرع بذرتك الاولى . من غرس اول فرع من فروعك * اول غصن من اغصانك الاولى = من نقله من الحقل الى البستان من الوادي الى حديقة الانسان ؟ ايتها الوردة البرية بل الوردة السرية من اي دغل نشأت وفي اي سلم من النباتات الشوكية رقيت ؟ لا تتكلم الارض الا الغازاً . الارض

لا تأتمن بنيها على اسرارها * احترز من شرك العلة الاولى . لا تبحث في اصول الاشياء *متع نظرك ونفسك فيما تراه وتشعر به وان شئت الدخول الى هيكل سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل ان تطأ اسكفة الباب

اني لاجد لذة شهية غريبة في مشاهدة هذه البراعم الجديدة وفي مراقبة نشوئها ونموها * عددتهم والله مرارًا كما تعد الام اسنان طفلها فلقدتهم مرارًا كما تفتقد الطيور عشوشها تلهفت على برعم واحد نثرته الرياح منها * ولكن زمن السرور قصير . تكاد زبدة الاشياء تذوب قبل ان تجمد

اواه صرت اخشى الاقتراب من وردتي فقد اثت فروعها والتفت اغصانها وقسيت اشواكها * اواه صرت انظر اليها بغير العين التي شاهدت نشوء براعمها ونمو فروعها * لهفي على وردة الحياة . تريني الف شوكة قبل ان نفيح بنفحة واحدة من شذاها * تجرحني مئة مرة قبل ان تعطيني زرًا واحدًا من ازرارها » . اه

المصائب محك الرجال

لانطون افندى الجميّل

لماذا لا يشبه الانسان الطبيعة ؟ هي تزهو وتزهر بعد عواصف الشتاء وهو يذبل ويسقط بعد عواصف الشقاء . . .

ما حياة الانسان في هذه الدنيا الا كفصول السنة

فصل الشتاء محزن تتلبد غيوم الشدائد في سماء مظلمة ناقمة فتمطر ثلجًا تجمد له حركة القلوب الخافقة وتدمع الاعين الحارة . تعصف رياح الجزع

فتتلاعب باوراق الامال الذابلة . وتقصف رعود المصائب فترمي القلب البشري بصاعقة اليأس القتالة

وفصل ربيع مزهر مثمر يطيب فيه الهواء ويروق اديم السماء . تشرق شمس الهناء والاقبال فتبدد غياهب الكروب ويسطع على الافق بدر السعادة والآمال فيضيء ظلمة القلوب وتتفتح ازهار الصفاء وتنضج اثمار الرجاء

تلك هي حياة الانسان يسر وعسر . راحة وشقاء . شدة ورخاء . ورد واشواك . طلوع ونزول . شروق وافول . حلاوة العسل . ومرارة الحنظل . ابتسام ثغر . ونقطة دمع

هذا هو نصيب ابن آدم من هذه الدنيا فليس عليه اذاً ان تبطره النعمة اذا ارتفع ولا تذلله الفاقة اذا اتضع بل عليه ان يكون رجلاً حاذقاً ثابتاً في حالتي السراء والضراء

ترى المرء سديد الرأى قوي الارادة حتى تصيبه رزية او ينالهمكروه فيهن رأيه وتضعف ارادته ويستولي على قلبه الجزع فيذهب فريسة القنوط واليأس

والمصائب اذاً محك خطير لمعرفة الرجال فان كثيراً من الذين يتظاهرون بالحزم في حالة النعيم اذا ما افرغوا في كير الشدائد وعرضوا على نار الشقاء تذهب عنهم بهرجتهم ويزول دونقهم تبعاً لقول الشاعر

سبكناه ونحسبه لجيناً فابدى الكير عن خبث الحديد

كأن فقد مال . او موت عزيز . او هبوط مسعى . او حلول اية نائبة كانت تفقد الرجل قواه بدلاً من ان تجددها وتدك عزائمه بدلاً من ان تقويها فنسأل متعجبين : لماذا لا يشبه الانسان الطبيعة : ... وهي تزهو وتزهر بعد عواصف الشتاء وهو يذبل ويسقط بعد عواصف الشقاء ...

نعم يجب ان تكون المصائب مهمازاً لعزيمة الرجل ومنشطاً له في الحياة والفوز في تذليل الصعاب واحتمال المتاعب والمشقات فليس على الانسان ان ينسى ان المصائب تضع على هامته اكليلاً لا يناله بغيرها

سينال المجد من كان طماعاً . يتنعم بالملذات من كان شرهاً . ويصيب الغنى من كان مقتراً . ولكن لا يفوز باكليل الشوك الا من كان يتصبر عند النوائب . ويتجلد عند الشدائد . ولا يفوتنا ان اكليل الشوك اطول عمراً من اكليل الورد . هذا يذبل ويفنى لانقطاع الحياة عنه . وذاك يعيش مؤبداً لان ما يسيل على اشواكه هو ينبوع الحياة منه ... وكان هيغو يقول : في المصائب جلالة اجثوا امامها خاضعاً .

اي الرجال يخلد ذكرهم ويرفع قدرهم ؟ هم الذين ناخ عليهم الدهر بكلكله . واي الشعراء يوثر فينا شعرهم ويبكينا قولهم ؟ هم الذين قدسهم الشقاء بزيته المقدس . انفطر قلبهم فسال اشعاراً رقيقة . وتحول صراخ عذابهم الى نغمات لطيفة تنفذ في القلب لانها صادرة عن هوميروس ودانتي وبيرون وجون وهيغو ولامارتين وموسه هم اكبر الشعراء لانهم كانوا اكبر التعساء

اجل كما انه لايسيل الخمر من العنقود مالم تضغطه الآلة العاصرة كذلك لاتسيل العواطف الرقيقة من القلب مالم تضغطه المصائب ويدوسه الشقاء . فالقلب كالشجرة لا يسيل ماؤها الا من جراحها ...

فالمصائب اذاً تزيد المرء مهابة وجمالاً ورفعة وكمالاً حتى ان احد الكتبة كان يقول : لا شيء يعظم قدرنا كالمصائب العظمى

وكم شاهدنا من الذين كان لهم الشقاء فادياً والمصائب داعية جدّ ونشاط ... كانوا في النعيم خاملين ساقطين فما قلب لهم الدهر ظهر المجن

حتى شمروا عن ساعد الهمة واستعدوا لمبارزته وتهيأوا لمصاولته : مدّ اليأس يده الحديدية ليفتك بهم فنزعوا عنهم خمولهم وصادموه بترس الصبر المنيع فغازوا على الايام وعضاتها وسادوا على الدنيا وثقلباتها ولعمري ان انتصار الانسان على الشدائد لابهى على انتصاره على الاعداء وجلده لدى النوائب لأرفع من جلده في الهيجاء . فا كليل الصبر اسنى من اكليل الغار وما هذه لدنيا الا حرب عوان والظافر من تجلد وتصبر

فلتكن اذاً حليتنا الشجاعة لدى البلية والحزم لدى الرزية ولنقل كما كان يقول ابن سناء الملك

ولو مد نحوي حادث الدهر كفه لحدثت نفسي ان امد له يدا

او فلنكن كالمتنبي حاك له درعاً من المصاب قاوم بها المصائب فتكسرت بعضها على بعض فاخذ الدواء من حيث اتاه الداء

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

فلا تطأطيء راسك ايها الانسان اذا هبت عليك عواصف الشقاء بل كن كالطبيعة تزهو وتزهر بعد عواصف الشتاء

الزيجة خير من العزب

« للدكتور اسكندر بك البارودي » مباحثة

هل نقعدن على ضرّ ومسغبة وعيشة شأنها التعذيب والكدرُ
فكم جبان رأى الاقدام منقصة لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيك هل ارض معطلة ... تفيد في خصبها الاوراق والخضر
من يا ترى يحسب القفراء خالية ... من النبات كارض حفها الشجر
فعدّ عما ادعته الاغبياء وخذ ... قرينة الخير يبق بعدك الاثر
لا بد من ثمر في زيجة هنئت ... واي فضل لعود ماله ثمر
قد جُعل الخلق ازواجاً بمبدئهم ... اتبدلون نظام الله يا بشر

سبحان من جعل الزوجة مطبوعة على المنفعة . ومطواعة في الضيق والسعة . وجعل الزيجة الرضية . والعيشة الهنية من اثمن النعم البشرية اما بعد فان هذه المسألة لاتوجب احتداد الحجاج ولاامتداد اللجاج لكونها واضحة كنور الشمس الوهاج على ان المرء لما كان لا يستغني حسب مبداء الازدواج عن الضدية كما لا يستغني عن الزوجة الرضية اذا ابتغى المعيشة الشهية قام لمسألتنا وجه آخر لاظلام سمائها وتكدير صفائها فاردنا ان نزيل عن القضية الاشكال ونقشع عن سماء الزيجة غيوم العبث والمحال

ويليق بنا قبل الخوض في عباب البحث ان نأتي بالاحكام العمومية واهم القضايا المثبتة الجوهرية المتعلقة بالزيجة والعزب، فنقول

(١) الزيجة والبنوة رباطان طبيعيان خيران ترتبط بهما العيال البشرية والعزب حل بل قطع لهذين الرباطين الطبيعيين

(٢) الزيجة علاقة طبيعية نافعة بين الجنسين ضرورية لعموم البشر . والعزب انفصال بينهما شنيع ضار

(٣) الزيجة بغية يبتغيها الطبع وتحض عليها القوى الجسمية في كل انسان غايتها حفظ نوعه وتعداد افراد جنسه وهي واسطة الايلاد الكافل لاستمرار النوع . واما العزب فحرمان من الاهل واستئصال للنسل

(٤) استبقاء النوع اتم الواجبات الطبيعية ولا يقوم الا بالزواج فالزواج عامل من عوامل البقاء الاجتماعي . واما العزب فاحد عوامل الفناء

(٥) اقتران الجنسين شريعة طبيعية مطاعة في النبات والحيوان والانسان واما الافراد فمن خواص الجوامد التي لاحياة لها . وهو مخالف للشرائع الطبيعية

(٦) الزواج او الاقتران مهما اختلفت درجاته فهو عبارة عن اجتماع الجنسين اجتماعاً غايته الاصلية المعاونة واعداد النسل . واما العزب او التفريق فمهما اختلفت ضروبه غايته الوحدة والتمتع بالملاذ النفسانية

(٧) الميل المزيجة بين الجنسين شديد فهو ناموس كالجاذبة بين الاجسام والزواج نتيجة ضرورية عنه . واما العزب فمعاندة ومخالفة لذلك الناموس الطبيعي

(٨) الزواج الشرعي هو الطبيعي المسنون بالشرائع المراد به الاعتدال والمنفعة . اما العزب فمخالف للسنن والطباع

(٩) الزواج الشرعي روابطه تختلف حسب الشرائع ولكن يقصد بها جمعاء بلوغ السعادة واحراز الصحة وزيادة العمران . واما العزب فليس فيه شيء من مثل تلك المقاصد الحميدة

(١٠) الزيجة محترمة في جميع المذاهب مرغوبة بين جميع الامم والشعوب موصى بها من كافة الاولياء والانبياء واصحاب الشرائع . واما العزب فقال به القليلون واحترمه قوم معدودون

(١١) فضل الزواج واحترام حقوقه مجمع عليه في شرائع الاقدمين . مامور به في القوانين المدنية لنماء الجنس وتكاثر النسل واما العزب فبالعكس فالرومان كانوا يكرمون المتزوج ويحتفلون بالمرزوق بنين كثيرين ومن الجهة الاخرى يحتقرون الاعزب ويجعلون عليه الضرائب الباهظة

(١٢) فضل الزواج ما خفي عن افهام العلماء والفلاسفة الاقدمين فقد ابانوه واشهروه وعلموه وامروا به فكانت الشريعة الرومانية توجب الزيجة على الشعب وتحرم العزب متهددة باشد العقاب كل من قصده واعتصم به

(١٣) الزواج فريضة الهيئة الاجتماعيـة بها يقدم فلاح الامة ونماؤها ولا سيما اذا جرت على سنن الحكمة والادب وليس العزب بشيء من ذلك

(١٤) الزيجة ضرورية لا بد من اجراء مقتضاها . فاذا كانت شرعيـة اتمت الغاية الشريفة التي هي انتظام المعيشة وتربيته البنين ورفاء العيش . وقامت بوظيفة فيسولوجية نافعة الا وهي المواصلة الطبيعية واعداد التكاثر النوعي وليس العزب كذلك

(١٥) اذا لم يتم الزواج شرعاً تم على وجوه ذميمة قبيحة تشوّه الانسان وتحط منزلته الى ادنى الدنايا فبئس العزب المؤدي الى ذلك وساء صنيع الجاهلين

(١٦) الزواج الطبيعي الشرعي اصلح للبنين واصح للجسم من العزب

(١٧) الزواج الطبيعي الشرعي المنتظم الهنيء مجلب للنشاط ومحرز للصحة ووسيلة للاعتدال في المعيشة وسبيل لاطالة العمر . واما العزب فليس كذلك

(١٨) الزيجة تيقظ الهمم الخامدة للجد وتحث مطايا الاجتهـاد والكد وتشغل . القوى الجسمية والعقلية . وتزيد الاعضاء المستعملة قوّة والبنيـة احتمالاً وبالتالي تؤدي الى اخشيشان البدن وصلابة الهيكل الجسماني فيصير المرء بها اقوى على الصبر لدى هرم الحياة . واما العزب فمبدأه القاعد عن الاعمال ومنتهاه عن مباراة الرجال

(١٩) الزيجة المنتظمة توثق عرى الاتحاد بين العيال وتقوي وصائل الالفة بين الاقوام وتدعو الى الموالفة والموآنسة والمدنية . ولا يخفى ما بذلك

من تسهيل المعيشة واحراز اسباب الامن والرفاه . واما العزب فيؤدي الى قطع العلائق وانصرام حبال الالفة وتضييق دائرة الهيئة الاجتماعية

(٢٠) الزيجة معتصم من الرذائل ومعتقل من ارتكاب الخسائس وحصن لكافة الفضائل وملاذ للخلال الحميدة والاعمال المفيدة . واما العزب فبالطبع ليس كذلك لانه كثيراً ما يلجيء صاحبه الى ما لا يليق

(٢١) الزيجة مع احراز البنين تربي في القلوب عواطف الحنو الشريفة وتدرب الاخلاق على المبادي الخيرية المنيفة وتمهد السبيل للسلام والامان وتقلل كثيراً من كروب الانسان مما من شأنه اطالة الحياة ووفرة اسباب الصحة والرفاه . الا ترى كيف ان مفاكهة الزوجة . ومناجاة البنين شفاء من الوجد وافوات للنفس ونشاط للبدن ومطال للعمر . واني يكون للعزب مثل ذلك

(٢٢) ان السعادة البشرية منتظمة بسلك يقال له المحبة . والمحبة لا تتجلى بابهى حللها وافخر حلاها الا لأليفتها الزيجة المباركة . وما اشهى المحبة للنفس واغذاها للعقل وما اشدها تقوية للصحة وتنشيطاً وانعاشاً للقلب وما افعل الزيجة الراضية في سعادة المرء وطول حياته

(٦٣) الزيجة بها ينتصب ميزان العدالة الطبيعية اذ يفرض على المنتفع النفع وعلى الآخذ الاعطاء فلذلك كان الاليق بمن نال من الابوين ما نال من الوجود والعناية والتربية ان ينيل ذلك بنيه الناتجين من زواجه وكما انه خدم شيخوخته يوم يقعده الهرم ويوهن قواه الشيب ولا يعود يجد الى الاعمال الشاقة سبيلاً . فهل للأعزب ماله من الخدم البنوية والراحة العائلية متى بلغ ذلك المبلغ اما في ذلك من الاعانة على طول الحياة مايفي بالمقصود ويفهم الاعزب الجحود

(٢٤) ان الجرائم وحوادث الجنون والانتحار اكثر عدداً بين الاعزبين

مما بين المتزوجين فقد وجد علماء الاحصاء ان لكل ١٠٠ جريمة يرتكبها المتزوجون ٢٠٠ لغير المتزوجين ولكل ١٠٠ حادثة من الجنون بينهم ١٨٠ بين غيرهم . ولكل ١٠٠ منتحر منهم نحو ١١٢ من غير المتزوجين فتأمل وكذلك تبين من الاحصآت والتقاويم ان المتزوجين اطول عمراً من سواهم . اذًا الزيجة خير من العزب

ان مناظرنا بنى افعلية العزب في اطالة العمر على اساسين اولهما قلة الاهتمام والراحة والثاني الاعتصام بواجبات يظنها البعض خير سبيل للابتعاد عن اسباب الامراض والآفات فاسمحوا لي لطفاً ان امحل الاساس الاول الذي يبنى عليه زعم انصار العزب وبرهان اضداد الزواج الا وهو حسبان الاهتمام باسباب المعيشة هماً والجد لاعالة العيال تعباً وغماً وان ابطل القول الثاني الذي هو الزعم بان الزواج يضني الجسوم ويسئم النفوس ويجلب الاكدار ويقصر الاعمار فاقول هب اننا سلمنا بكون الاهتمام هماً والجد والاجتهاد تعباً وغماً فلا نسلم بان الغم والهم مختصان بالمتزوجين دون الاعزبين لان الانسان متزوجا كان او اعزب مفروض عليه ان ياكل خبزه بعرق جبينه ولا مناص له من الهم وجهد الحياة وما رأينا الاعزبين اقل تعباً ولو انفردوا عن الجمهور وتحصنوا بالصوامع والقصور . ومما رحم الله به اهل الجد والاجتهاد ان جعل بالشغل والمشقة سراً لا يطلع عليه الا ذووه الا وهو تجديد القوى وتشديد الاعضاء وتقوية البنية على احتمال مشاق الحياة مما يحرمه المتقاعدون ولم ينله البطالون ولا ذاق لذته الكسالى المتقاعسون . ولا يخفى ان امراض التواني والكسل اشد خطراً على الحياة من امراض الاجتهاد والعمل فكم من مكسال مبلى بفرط السمن والضعف والانحلال معرضاً لموت الفجأة في ساعة لا تخطر

له على بال وكم من اعزب دفعته دوافع الطبيعة لارتكاب المحرمات فنال جزاء تعديه العشر والامراض والعاهات فاحترم بها لذة الحياة وعاش في اسوء الحالات ومات قصير العمر نادماً على ما فات . فيا ايها الاعزب ان دلوك التي تدليها الى الانهار لا ترجع لك بيلة . فعليك بالينبوع الدائم الانفجار تستجلب منه نقع الغلة . . وترشف من زلال مائه العذب ما يبرد منك غليل العزب واما الذين ارادوا المظاهرة بالنسك والتعامي ولا زال دأبهم السير في العامي ولا يغال في المرامي

تباً لها من عيشة جمعت ضرًا وبؤساً غربة وضنى

فعساهم لا يكونون من الذين ضلوا في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً فهؤلاء ان كانوا كاملين الخلق الجسمية حائزين الاطباع الحيوانية والاهواء الشهوانية فالويل لاجسامهم كم تلقى من الجلد والتعذيب وكم تحتمل من المشاق التي يعلمها الطبيب وكل لبيب مما يقصف غصن الحياة قبل الاوان ويذهب الصحة ذهاب العصافة والدخان افهؤلاء تستشهد ايها الاعزب الاديب ولا تشمئز نفسك الابية وتفضل زواجهم على الاعزبية واما النزر القليل الذين اعد الله اجسامهم لاحتمال العذاب ونفوسهم لاكتساب الاجر والثواب ممن هاموا بحبه ونذروا البتولية في طاعته وهم عن القيام بوظيفة الزواج عاجزون وعن النهضة لمهام الحياة مقصرون فهؤلاء قليلون جداً وامرهم معدود من الشواذ التي لا يقاس عليها فزواجهم قليل الجدوى للبشرية فهم بالرهبانية احرى وبالعيشة الاعزبية اولى ومع ذلك فطول اعمارهم لا يتوقف على مجرد عدم زواجهم . ولا يغنيك لقيام البرهان فتيلاً

وقف القضية يا اخي ولا تكن مثل الذي يمضي ويقضي بحقه

فالامر دع للشائمين وحكمهم فيرون خلب برقها من صدقه

نرى الزواج لذيذاً وراحة وسروراً

ان كنت لم تختبره فسل بذاك خبيرا

الناس قد الفوه وجربوه دهورا

فزيجة الخير تبني من السعود قصورا

العمر معها هنيء وليس معها قصيرا

والاعزبون بويل معذبون كثيرا

من لك بالدرة المخزونة · والبغية المكنونة · والباكورة الجنية · والسلافة الهنية · والروضة الانف · والطوق الذي ثمن وشرف · لم يدنسها لامس · ولا عبث بها عابث · لها الوجه الحيي · والطرف الخفي · واللسان الغني · والقلب النقي

ومن لك بسيدة واولاد يحيطون بك احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر

فاذا احتجبت بفضل العزلة واجتناب الطريق الجزلة · قلنا اتستغني بالحطب عن الرطب او بالملح عن البلح وما عملك في ساعة لا يساوي فيه الشعر شعيره · ولا النثر نثاره

الا ترى المتزوج عند دخوله الى المنزل يطرح عن اكتافه جلابيب الهم والعناء واثقال العزبة والشقاء عند عتبة بيت اضاء فيه محيا امرأة بسيمة · ذات طلعة وسيمة · وآداب كريمة · ينسيه لطف ترحيبها وشارات تحببها كل ما ثقل عليه من معاناة الاشغال وسوء الاحوال و ينسيه اقبال البنين باصواتهم الشجية والدالة البنوية جلبة اصحاب الاعمال ومتاعب النساء والرجال الا يخفف عنه وطأت الانفعالات النفسية وهموم العزبية او لا تدبر المرأة

اللطيفة ضيق مربعها بتوسعة ذرعها وهناء طبعها

سل الاعلام الدوارس · وكل مجرب ممارس · واستنطق للوقوف على الحقائق اخبار المخابر عن تواريخ ما مضى من سكان المقابر اذا لم تصدق خبيراً عليه سقطت واياه ناظرت تجد

ان بالعزب والجفاء * منافاة الالفة والوفاء * وان تفاضل القيم* بتفاضل الهمم * وتفاضل همم الرجال باعالة العيال * وكثير من المرض والتعب* بالبتولية والعزب* وان الصحة البدنية* بقيام الوظائف الطبيعية * ولا اعزبية في الانام * كالا رهبانية في الاسلام * ولا ريب ان الزيجة الرضية * والعيشة الهنية عطية رحمانية

الا ترى الاعزب على الدوام مجهزاً اهابه · او حاملاً جرابه · آخذاً في الطرق المتعبة · والسبل المتشعبة · حتى يمسي رجلاً قد برته هموم الغربة ولوّحته سموم العزب والنكبة · حتى عاد انحل من قلم · واهزل من جلم وليس له في بحر الالفة العائلية مسبح ولا في ساحل هناء العيشة الهنية مسرح على حد القول

دفعه الليل الذي اكفهرّ ... معذباً قد ذاق عيشاً مرا
لولا البلايا ما اتى مضطرا ... الى ذراكم شعثاً مغبرا
اخا سفار طال واسبطرا ... لم يتخذ في منزل مقرا
ولم يكن يؤمن يوماً شرا ... حتى اثنى محقوقفاً مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا ... وعن رغيد عيشة ما افترا
عاش كمن مات ضنى وقهرا ... وقد عرا فناءكم معترا

اين الاعزب من المتزوج الذي توطن امنع جناب وقل عنه حد كل

ناب واستغنى ببابه عن قرع كل باب

الا تبتغي ايها الاعزب المدى بعد الضلال في ذلك القفر واحياء الليالي الطوال بسراب انك فيه لمغتر · وتدع عنك سبيل من سار في غلوائه سادلا ثوب خيلائه · جانحاً في جهالاته متناهياً في زهوه · مفرطاً في طيشه ولهوه · معرضاً نفسه للفاضح · معرضاً عن نصاحة الناصح · فان عشت طول عمرك فانت تحت اعراض داء الذيب والعزب المذيب

قل لمن ظن صيدهن يسيرا ان صيد الظباء ليس بهين
كم فتى قد سعى ليصطاد فاصيد ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق ربَّ برق فيه صواعق حين

فكم وكم تغلق بوجه الاعزب الابواب ويسأم من معاشرة الاعزاب ويزداد بالوحدة همه اذ لم يكن بالاهل والزوجة همه فيبات غريباً يجنه الليل ويغشيه السيل وقلما ينال الايواء الامين لحرمانه المنزل الاهلي الثمين فيصبح وقد ضنى الدهر صعدته واخلقت الاعزبية بردته واغصصته الاسفار بريقه · واضاعت عنه هدى طريقه · وابقته احير من ضب · واذهل من صب · فييأس من التيهان عن نوال المراد · ويعود عن التطرق والازدياد · فيعض على اصبع الندم بسنه يوم لا يعود يصلح للزواج لكبر سنه

فتباً لك من عيشة كثرت شوائبها وشابت ذوائبها وقلّ سعودها الى ان انفطر عودها · وما هي للنفاس مع زيجة لذيذة شهية وعيشة عائلية هنية

وما قولك اذا تزوج بناة المجد * بنات الادب والجد * وعاش الزوجان بالهناء والرغد * واتفقا في وحدة المشرب والقصد * وحافظا على عهودهما في القرب والبعد * وارتبطا بالمحبة يداً بيد * اما هما اقرب من الاعزب الى حالة

السعادة الحقيقية * وظروف كمال الصحة البدنية * في سبيل آخر لطول العمر ونوال الراحة والرفاهية * اما شانها بخير من حال اعزب يضرب في الارض نجداً وغوراً و يرى التآهل سفهاً غرورا

فهل لك ايها الاعزب ان اداويك بطبي واوصيك بنصيحة المربي * وربي فادلك على من يدلك على زوجة رشيقة القد * اسيلة الخد * صبورة على العناء والكد * ذات عقل وجنان * وجد واحسان ترفل في ذيل الجمال وتتحلى بحلى الفضل والكمال الا تتمنى ان يكون لك امرأة كما وصفت من اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة مبسمها الصون * وهي نعم العون * الا تطيل برفقتها عمرك وتصلح بادابك عمرك

فالقرينة الصالحة تصلح بيتك بتدبيرها وتغنيك عن جميل غيرها * وتلبي صوتك على حين لا يسمعك سواها وتغض عن كثير من المصائب طرفك * وتطيب بآدابها ذكرك وحسن سيرتك * وتقر بجمالها عينك * وتطيل بكمال سجاياها وجودة اخلاقها عمرك

الزوجة الحسناء للمرء كجوهرة كريمه
فيها السعادة والهناء وسائر المنن العظيمه
والراحة العظمى بها وبناية الجسم السليمه
ويل لاعزب ماله حظ بطلعتها الوسيمه
فتراه محروماً كثيراً من مآثرها العميمه
فمن العذاب تحرق العزب فعقباه وخيمه

فبقي بعد هذا من ريب بافضلية الزيجة الهنيئة والمعيشة الاهلية والحياة

الرضية وقد سمعت الاعزب يهمس في اذني في يوم برده قارس * ووجهه عابس مراجعاً قول القائل

وصرت نضو فاقة وعسر عاري المطا مجردًا من قشرِ
كأنني المغزل في التعري لادفأ لي في الضن والضير
غير التضحي واصطلاء الجمر فهل رفيق ذو رداء غمر
يسترني بطرف وطمر كامرأة تدفع شر الدهر
فهي ملاذ المرء عند العسر ولذة الحيـاة يوم اليسر
يتلو لسان حالهـا بالجهر بالزيجة الخير وطول العمر

وخاتمة القول = ان الزواج يضمن الحقوق و يؤيد نظام الالفة و يمثل الفضيلة اجمل تمثيل ولقد صدق من قال ان الزيجة حصن حصين يود الذين خارجه الدخول اليه

وافضل الاقوال في الزيجة انها صنع الله سبحانه الذي قال لنصنعن لآدم معيناً فاي معين كالزوجة الفاضلة واي قرين كالزوج الحكيم والسلام

خطبة

لامين بك ناصر الدين

تلاها في مدرسة المعارف الحميدية « عبيه »

اليوم ايها الطلبة الاعزاء يبتديء الدرس القانوني في هذه المدرسة التي نسأل الله ان يمنحها نتيجة مقرونة بالنجاح . وان يلهمنا سداداً في آرائنا ويزيدنا قوّى في عزائمنا وينير بصائرنا بضياء المعرفة لنتمكن من القيام بخدمة الوطن خدمة منزهة عن شوائب الاغراض خالية من كل ميل او هوى والسير في بث روح العلم بينكم وتلقينكم سور الاداب على الصراط السوي في ظل اعظم انصار العلم جلالة ولي نعمتنا مولانا امير المؤمنين دام نصره

ان بينكم فئة تدرك الغاية التي اسست لاجلها معاهد العلم وهي تسهيل طرق التعلم على مريديه . ولا اخا لكم تجهلون ان العلم ركن العمران واس الفلاح والنبراس الذي به يستضاء في ظلمات الجهل والنقطة التي يتبارى ارباب الذكاء في مضمار الاجتهاد للانتهاء اليها اذ ليس من دونه مجد في هذا العصر

غادرتم مواطنكم وتركتم آباءكم وامهاتكم يحنون اليكم شوقاً لغاية واحدة وهي طلب العلم والسعي وراء الآداب ولولا هذه الغاية الشريفة لما ضمتكم جدران هذه المدرسة ولا استثار تذكار الاهل منكم وجداً ولا استذرف لبعضكم دمعاً

فاذا كانت تلك غايتكم التي تتوخون الوصول اليها والضالة الوحيدة التي تنشدونها فعليكم ان تعلموا انه لا علم بلا اجتهاد ولا اجتهاد لمن اطاق لفكره

العنان في تصور الاشياء الباطلة والقى بنفسه في لجج الخيال معتصماً باسباب وهمية

ارى بينكم جماعة في ريعان العمر ومقتبل الشبيبة في الزمن الذي ترتع فيه اعطاف الجهلاء صهباء الصبا وتلعب بالبابهم وساوس الشباب فمن كان منكم ابيّ النفس نجيباً داعي الهدى كان بازاء عواصف الصبوة كالطود الراسخ والا فهو اشبه بشجرة باسقة اذا لعبت بها الريح هصرت اغصانها

فغضوا ابصاركم عما يخشى من كونه شغلاً شاغلاً لقلوبكم واعلموا ان الانغماس في الشهوات والانقياد الى هوى النفس مجلبة الشقاء وشرك الهوان والقائد الى نقطة العار واتعظوا بغيركم ممن قبضوا عن العلم عنان الاجتهاد وتوغلوا في فيافي الضلال فان فيهم لعظة لقوم يبصرون

انتم الآن في السن التي يتسنى لكم فيها تحصيل العلم فاذا مرت عليكم اعوام قليلة دون ان تدركوا منه وطراً حالت بينكم وبينه حوائل جمة واذ ذاك تمر بافكاركم ايام قضيتموها بالعبث واللهو فتتنفسون الصعداء وتوقنون بسوء المصير

ان اوقات الدرس يحسبها التلميذ المجتهد مقدسة كما يحسب الناسك اوقات العبادة فاستجمعوا فيها المتفرق من افكاركم وقيدوا الشارد من مداركم ولا تصرفوها في المناجاة بما هو خال من الفائدة فتندموا حيث لا ينفع الندم

ان اجتهاد الاساتذة لا ياتي بالفائدة المبتغاة حتى يقترن باجتهاد التلامذة وذكائهم فاذا صادف اعتناء الاستاذ ذكاء من الطالب واجتهاداً جنى ثمرة تعبه والا فلا كالمطر يهمي على ارض جيدة التربة فيخرج حباً ونباتاً وينهل على صخر فلا يترك عليه اثراً

التلميذ المجتهد يرى المدرسة مهما ضاقت فسيحة لارجاء رحبة الابهاء وتتمثل له روضة مدبجة بالازاهير فيجني منها كل مازها شكلاً وطاب عرفاً والتلميذ المستهتر الى الكسل يرى المدرسة مهما كانت متقنة رحيبة · حرجة خالية من كل اتقان وتتمثل له طالاً بالياً واي الاثنين المصيب يا ترى

نحن في عصر حطم فيه القلم عامل السيهرى · واخفى صريره صليل الصارم المشرفي · فاصبح البطل من يظفر بقرنه في مجال العلم · والفارس من يطلق لجواد فكره العنان في حلبة الادب وسبحان مغير الاحوال انه القادر الحكيم

اذكروا انكم ستقفون بعد مدة امام جمانة من علماء الوطن واعيانه يوم لا ينفع الطالب رواء المنظر وحسن الاثواب بل ابراز النباهة واظهار الذكاء يومئذ يعلم الحضور ما لكل منكم من الحسنات والسيئات · يومئذ تبيض منكم وجوه وتسود وجوه · يومئذ تبسط صحيفة العلم فيسطر لكم فيها مايسر وما يسوء · فحذار من ذلك الموقف الرهيب الذي تخساء فيه ابصار المتوانين

عيون كثيرة من انصار العلم ترقبكم متوقعة ان يلوح لها منكم بارق النجاح · وعيون كثيرة من اعداء الفضل تنتظر ان تراكم ساقطين في درك التأخر · فاجتهدوا في ان تحققوا امانيّ محبيكم وتردوا حساد كم خاسئين

هذه نصائح تلوتها عليكم فمن وعاها منكم كان فائزاً باذن الله ومن لم يعرها اذناً صاغية يكن في ضلال مبين · والله سبحانه الهادي الى الصواب وعليه الاتكال

نظام العالم الفاسد

وما هو استعدادنا لاستقبال نظام اصلح منه

« لامين افندي الغريب »

كلما مر يوم بالانسان في هذه الدنيا يرى اموراً كثيرة تقتضي الاصلاح والتغيير . حركة التقدم والارتقاء دائمة في العالم . ولكن الاغلاط والمفاسد دائمة ايضاً على مايظهر . وكلما حدث حادث في الكون يستحسنه بعض الناس ويوجد اناس غيرهم لا يرون فيه الا العيوب

فالقاريء في هذه الساعة يذكر اموراً طالما تعجب من وجودها وفكر في كم تكون افضل واجمل لو انها كانت على غير وجه . بعض الناس تضطرهم اشغالهم الى الاقامة في مكان واحد لا يستطيعون هجرانه مدة قصيرة . فامثال هؤلاء يرون السعادة في السفر ويسألون انفسهم لماذا خلقهم الله تعساء الحظ الى هذا الحد

وآخرون يتعبون ويشقون آناء الليل واطراف النهار لكي يلتقطوا معاشاً يناله غيرهم بالراحة والسكينة . فكم من اخ فقير يحسد اخاً غنياً . وكم من جار قليل الحظ تدمع عينه عند رؤية اسباب الرفاء في بيت جيرانه . وكم من غني يتعجب في تعاسته من اتهام الناس اياه بسعادة غير موجودة ورغد عيش لا يعرف له اصلاً وفصلاً . وخلاصة الامر كل الناس يجدون احياناً سبيلاً الى التذمر والتبرم من ظلم اليد التي وزعت خيرات العالم على ابناء العالم فخصت هذا وحرمت ذاك واعطت الكثيرين قليلاً والقليلين كثيراً

كل واحد منا يفكر في بعض الامور ويجدها غير عادلة ولا سديدة ولا مناسبة وفي تفكيره بها يتمنى لو امكنه تغييرها . وكم من انسان مقيم في هذه المدينة ينظر الى سوء حظه فيها ويلقي تبعة تعاسته كلها على عاتق المدينة

ينعي الانسان دائماً حظه ويلعن الظروف المحيقة به لكنه قلما يفتكر بتأثير نفسه على الظروف . والذي لا يجد وجهاً للسعادة في نيويورك يظن انه يكون اسعد حالاً في بوسطن

ولا شك ان في هذا الظن شيئاً كبيراً من الامكان والاحتمال ولكن هل نحن في الحالة الحاضرة مستعدون تمام الاستعداد لاقتبال حالة اسعد منها

هل ان الذي قضى زمناً طويلاً فقيراً يتحسر على اموال الاغنياء يكون سعيداً ان قام في صباح يوم من الايام ووجد مليون ريال مطروحة على بابه ؟ يتبادر لذهن القاريء ان يقول نعم بكل تأكيد ولكن بعد افتكار قليل يراجع نفسه ولا يقول نعم

والذي لا يجد سعادة في مكان يظن كل السعادة في انتقاله منه الى غيره وفي اكثر الاحيان يكون مخطئاً في ظنه

كل سعادة آتية من خارج الجسم هي وهم باطل لا يلبث ان ينقشع ويزول

حدث لكاتب هذه السطور انه دخل يوماً متحفاً كبيراً فيه الرسوم والتماثيل والمشاهد التاريخية . وكان رسم الدخول نصف ريال . ولما خرج منه سمع واحداً من الخارجين يقول لرفيقه : لو اننا صرفنا نصف ريال في حانة لكان افضل من رؤية هذه الصور

فالى ما ذا تشير هذه الكلمة ؟ الى منزلة العلوم والفنون والتواريخ واعتبارها في نفس قائل هذه الكلمة . الى اميال تلك النفس وانعطافاتها

وكيفية جوابها على السؤال عن السعادة في الحياة

شلالات نياغرا هي اعجوبة طبيعية من اجمل ما يمكن ان تقع عليه عين انسان في هذا العالم . ومع ذلك ان لم تكن نفس الانسان الناظرة اليها ذات استعداد خصوصي يمكن انه لا يرى شلالات نياغرا الا كمية فظيعة من الماء تندفق بضجة مزعجة

ان الظروف والاماكن المحيطة بنا تجلب لنا نوعاً مما نسميه سعادة او تعاسة . لكن هذا ليس من النوع الثابت . بل من النوع الذي يزول سريعاً ويحل محله الملل والضجر

هكذا نرى بعض الساكنين في لبنان وهو اجمل بقعة على وجه الارض يتضجرون احياناً من سكنى لبنان الذي يتغنى بمجده الشعراء ويكثر من وصف مناظره الجميلة الزائرون والسياح

ان الظروف والاماكن والاشغال والحياة كلها تكون جميلة وسعيدة بقدر ما تسكبه انفسنا فيها من الجمال والسعادة . وكل ما يرجوه الانسان في هذه الدنيا من الصلاح والتحسين يجب ان يأتي من داخل نفسه لا من خارجها

فقبل ان تلوم الظروف وتعتب على الدهر وترجو ابدال هذه الاحوال السيئة باحوال احسن منها يجب عليك ان تتعلم كيفية الشعور بما في الاحوال الحاضرة من المحاسن والذنب ذنبك ان لم تستطع ان تجدها

اذا لم تجد شيئاً في الدنيا يستحق استحسانك ولا احداً يسمعك كلمة حسنة فكن على ثقة من ان تغيير المكان والزمان لا يغير لك هذه الحالة

العصبية

لاحمد افندي رضا

الانسان كائن حي من الكائنات الارضية ارتقى عما حواليه من الحيوانات بما تلبس به من نفس ناطقة وقوة عاقلة ولكنه كان غير مستقل بالنسبة الى حاجياته مفتقرًا الى غذاء تقوم به حياته و يعتاض به عن الدقائق المنهدمة من جسمه محتاجاً الى درء المغالب ودفع المهاجم من الوحوش الكاسرة التي تنازعه في صيده وتزحمه في معاشه مضطرًا الى التعاون والتعاضد لتتضاعف قوته و يكمل بأسه فيصد القوات المهاجمة والعصابات المزاحمة . بهذا تكاثفت افراده وتضامت فكان بينها الفطن الأيد والاقوى الوهن والشريف والدني والضعيف والقوى على نسبة بين الافراد مختلفة باختلاف هذه الصفات وقربها و بعدها من الانسانية وصفاتها الحقة . ولا شك ان من اخذ منه بناصر الفضيلة وحببت اليه الاخلاق الطاهرة الحافظة لكيان الانسانية المشيدة لدعائمها من قوة وفتوة وعفاف وحلم و كرم ومجد نبيل وشرف اصيل كان موضع الرجاء في النازلة ومحل الالتجاء في الشدة وهو موضع اهوائهم ومحل امالهم وهو الذي يدافعون عنهُ و يفدونهُ بانفسهم استدامة لنفعه واستمدادًا لبركته . اخذ بذلك محل العصبية منهم يدرأ عنهم شر المهاجم و كيد الكائد ويد الفاتك يوء الفهم في شتاتهم . وان النفس لتستهويها منافعها فتستطلع من ثنيات المصالح مهويها ولا تزال كلما تكررت المنفعة قوي الميل حتى يستحكم ويصبح ملكة وهناك تطلب له كل محمدة ومدحة قضاء لحق الشكر واداء لحق الارتياح واظهارا لما يكنهُ الضمير من المنة واعظام النعمة فتتأصل

بذلك عصبية راسخة تنصرف لارادة المهوي ومنفعته حتى اذا زادت في نشأتها ورسخت باصولها وانصرفت بكليتها سلبت ذا العصبية رشده واخذت منهُ ثلة من حريته فيقيد نفسهُ بقيود الانقياد ويضع في عنقه نير التقليد فاذا رأى سنة سنها ذو العصبية سار فيها دون نظر ولا روية

واظهر مظاهر العصبية اذا وشجتها وشائج الرحم ووصلتها شوابك القربى القربية وما يتلوها والانسان بالطبع ينتصر لابيه لان به حمايتهُ وهو محل نسبته ومبدأ نشأته فخره مربوط بفخره وشرفهُ سائر بشرفه يشينهُ ما يشينهُ ويعليه ما يعليه علقة ماسة وفطرة واحدة فتنصرف بذلك عصبيتهُ لابيه واخوانه واعوانه فاذا انتج اولاده جرت اولاده مجراه وسارت في سنته فتحفظ له العصبية كما حفظها لابيه . يدلي هذا الخلق اليهم بالوراثة ويرتقي بالاعواز ولكن الخلق المورث في الوارث اقل اثرا من المورث فتكون عصبيتهم لابيه دون عصبيته له وهكذا كلما نزلت ضعفت بنسبة نزولها الى ان تشعبت العصابات النسبية

قد يتصرف الطمع بالنفس فتصبو الى من هو مقتدر على النفع حباً باستجلاب الخير من يده وان لم تصل منهُ الى بلغة بعد ولكنها تطير باجنحة الطماعية وتدنو دنو الطير حام على قليب وهنالك يريها الطمع في المطموع به اعتلاء يورد الميل اعلى مراتبه ليريهُ استكمال نفعه به

الانسان بانانيته وطمعه يحب الاستئثار وجلب المنفعة فيعتدي على اخيه فان كان دونهُ حولا وقوة لجأ الى من هو اعلى كعباً واشد امرا ليفرج كربهُ ويزيل شدتهُ

قد يغلق دون المرء وجه الرأي عند المشكلة وفي طروق النازلة فيلجأ الى

رئيسه يأتمر بأمره ويهتدي برأيه

امثال هذه المنافع تعلق قلب التابع بمتبوعه وتخلص له مودته وتوحد وجهة عصبيته حتى اذا تأصلت واصبحت ملكة خرجت عن سلطة الارادة فتكون كالافعال المنعكسة تصدرها الملكة والعادة غير مراقبة نفعاً ولا مراعية مصلحة ولا يزال اثرها قائماً حتى تلاشيها الملاشيات الخارجية تدريجاً

حب الذات فطرة للمرء نشأ عليها بناموس بقاء الانسب فنشأت معهُ وللبيئة والاحوال الاجتماعية التي تحيط به تاثير في قوتها وضعفها فحيث ثقفها التهذيب وهذبتها التربية ظهرت وهي اعظم فائدة واعم نفعاً وان اهمل فيها التهذيب والتثقيف خرجت عن حدها المحدود ورمت بصاحبها في مهالك الطمع والحسد . وبها ثبت التنازع في العالم وبسقت اصوله ولا بد لها من قسطاس مستقيم ووازع قوي يقف بها عند حدها ولا يطلق منها الا ما تقتضيه المصلحة وتصلح به الهيئة الاجتماعية والتمدن الحقيقي وذلك الوازع هو الحاكم ولا بد له من سلطة منفذة وشريعة قانونية تقيم العدل على اساطينه وتكفل لذويها السعادة بالعدل . والشريعة قيد من قيود الانسان وحد يقف عنده دون التهور في اعماله تمنعهُ من الافراط والتفريط وقيام ذلك يكون بافراد من الامة استكملوا المناسبات وحصلوا محبة المحبين ووجهة المتجهين فاخذوا باطراف العصبية عن اهليها وسقوا من رحيقها فدالت لهم الدولة واخذوا بيمين الصولة

اذا استحكمت الرئاسة ورسخت الدولة فاما ان تكون قواعدها متأصلة على اساس من العصبية او تكون ثابتة بالقوة والغلبة فان كانت الاولى دامت الدولة بدوام عصبيتها فجمع بها الشتيت وقوي الضعيف وسارت في طريق

مهيع ونجد لاحب حتى اذا شيبت باستبداد وظلم وغلبة وقهر لوت على عقبها واضمحلت عصبيتها شيئاً فشيئاً الى ان تقوم عصبية اخرى اقوى واخص فتجمع الشارد وتضم المتفرق وتحفظ كيانها وقوتها . يبعثها الى ذلك حياة في مجتمعها ونهضة منها للم شعثها فتتآخى على نقض القوة الاستبدادية والسلطة الظالمية حتى تعود فائزة ظافرة مستأثرة بالسلطة اذا جمعت اليها شروط الرئاسة كما دلنا عليه التاريخ وشهدت لنا مسوّدة العراق لقطع ظلم الامويين والا هجمت في مهاد القهر واستسلمت لضرع الاستكانة في لبوس الذلة حتى تستثيرها او غيرها نهضة اخرى والظلم لا يدوم لكن الهاجعين مختلفون بين من اعترته سنة خفيفة وهجمة ضعيفة يتنبه بادنى منبه لم يلاق من الاستبداد غير لفحة لم تذهب منهُ بروح الاستقلال وبين من هو في سبات عميق لا يوقظهُ غير وخز السيوف ورث الذل والف الاستعباد خلفاً عن سلف حتى لم يبق له من روح استقلاله نفحة

وان كانت الدولة قائمة بالقوة والغلبة فان سلكت نهج العدل وصراطهُ وقربت لحكوميها منافعهم وقامت بمصالحهم قيام الناصح الساهر اخذت منهم عصبية قوية ونعرة وحمية ترسخ بها قواعدها وتحفظ شواردها ان لم تزاحمها عصبية اخرى اقوى منها ولا تزال قائمة ما دام العدل والانصاف سائدين فتتأصل العصبية او يشاب حكمها بالاستبداد فينتكث فتلها وتعود من حيث اتت كما اجزتنا به سلطة التاجم وزنجيه في العراقين

سمعنا ان دولة بني العباس التي قامت بالعصبية وقويت بالنعرة لما قلّ اثرها في الامة وتسلط عليها ثلة من الاعاجم ساموا الرعية مواقع الجهد والنصب والعناء والوصب ضعف صوت الدولة وقلت سطوتها فتناهبتها

ملوك وطوائف من فاطميين وحمدانيين وبويهيين وان شئت قل عرب وعجم وترك وديلم ولكن بقي فيها حفظ للاساس ومحافظة على الراس ونعرة لبني العباس ولما طال الامد عصفت بذلك الرأس عاصفة بعد ان انهكتهُ الاسقام وصفرتهُ الايام فجلتهُ عن بغداد واطاحتهُ الى ارض مصر حيث فنيت عصبيتهُ وذهبت نعرتهُ ولم يبق له غير شبهة دينية ومقاصد سياسية تجيش في صدور ملوك مصر تطلباً للميزة على غيرهم من ملوك الاسلام

فالعصبية اذاً روح سائرة تطرأ عليها الشدة والضعف والقوة واللين فاذا افرطت في مذهبها وطغت في مجراها اضرت بما فوقها من جنسها ضرراً يأخذ بابنائها طريقاً هو بالطمع اشبه فيصمون عن النظر في عصبيتهم العالية التي هم احوج اليها في حياتهم وحفظ كيانهم كما جرى لملوك الطوائف والاندلس حيث ملكتهم الذلة وحكم عليهم عدوهم واقتنصهم دولة دولة وطائفة طائفة وكما كانت غرناطة واعداؤها الاسبانيول على ابوابها يحصرونها وهي احوج ما تكون الى عصبية تضم اجزاءها لتدرأ عنها شر المهاجم كانت منقسمة على نفسها وعصبية البيازين فيها تقاوم ضدها مقاومة اذهلتهم عن ان العدو في عقر دارهم ينازعهم استقلالهم ويهدم كيان دولتهم حتى سقطت دولتهم واخرجوا من ديارهم طرداً وذهب ما كانوا يوءملون من الفوز على اخوانهم بل هلكوا وهلك اخوانهم وهلكت عصبيتهم الجائرة واصبح من بقي منهم تحت ضغط محكمة التفتيش اونة من الزمن ثم انجلوا بلباس الذلة وتشتتوا عباديد بكل مكان يندبون دولتهم ويبكون استقلالهم مثلما حصل بقسطنطينية والفاتح على اسوارها واهلها في جدال ديني يقول معهُ بعض قسوسها ان احب الامور اليه ان يرى تاج الفاتح في كنيسة آيا صوفيا ولا يرى قلنسوة راهب روماني

هذا الخلق الطاهر وذلك الاساس المتين اذا تجاوز حده استجلب الذم من محافله واستجلب الذل من حوافله وهي العصبية التي نهى عنها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس منا من دعي الى عصبية وامثال هذا من الآثار النبوية بهذا الشان . كان ذلك منهُ والامة العربيـة متفرقة اسرًا وافخاذًا وعشائر وقبائل تضم كل فريق عصبية قوية تنازع جاراتها والامة العربية اذ ذاك متهيئة لنهضتها من كبوتها متحركة للقيام من غفلتها بفضل ذلك الاصلاح الكبير الاسلامي تستعد لملك العالم والقبض على السلطة العامة في المعمور وانى يتم لها ذلك دون ان تكون العصبية الميلة والجامعة الامية اول العصبيات لديهم اهمية واعزها موقعاً واكبرها مقصداً وان يكون الافراط في ما دونها مما يوقف من نموها مذموماً منهياً عنهُ بما نطق به الحديث ونهى عنهُ الوازع الكريم صلى الله عليه وسلم . ما الذي انتجتهُ العصبية المذهبيـة التي اسسها العابثون بدولة العباسيين بين السنة والشيعة ان ولج العدو دارهم فاذهب عزهم واباد صولتهم وتركهم عباديد وهم في مثل تلك الحال ما انفكوا في تنازع لا يستفيقون ولا يرعوون قد اوهى افراطهم في مذهبيتهم وغلوهم فيها وطنيتهم فاذهبها ومحا رسمها وهلكوا بهلاكها وذهب عز العراق وخبت نار بغداد ولله الامر

العصبية اما ثابتة واما مستقرة تاصلت في الاخلاق بحيث اصبحت ملكة في النفس او انها وقتية غير ثابتة بل هي مدارة للمصلحة وجودًا وعدماً ولا شك ان اولاها اعلى وامتن مبدأ وغاية لان الدائر مدار المصلحة منتف بانتفائها وربما انقطعت المصلحة فتنعدم العصبية ويذهب اثرها ونفعها وبغير هذا الدائم الخلقي فانهُ دائم بدوامها ولئن ضعفت بضعف اسبابها فان للنعرة

هبة تستثيرها ما دام لصاحبها عرق ينبض

العصبية الدائمة الخلقية تتفاوت درجتها وتختلف قوتها بحسب مراتبها النفسية فاساسها الاولية ومنها الروح السارية فيها ثم بعدها العصبية للاسرة ثم للعشيرة ثم للقبيلة ثم للامة ثم للنوع ثم للجنس . وكلما بعدت ضعفت والجنسية اضعف الجميع . هذا اذا تركت للفطرة دون تاثير للعوارض الخارجية الطارئة ولكن هنالك اسبابًا تجعل المؤخر مقدمًا والبعيد قريبًا فربما يذهب المرء نفسهُ ذبًا عن امته ووطنه او اسرته وقبيلته وهذا من الافراط فيها ولكنهُ محمود المغبة مشكور النقيبة قام عليه حفظ اصل النوع وبه اعتلت الفضيلة فاذا اختل مثل هذا تضعضع الكيان واضطربت الاكوان

لما تأصلت الغيرة الدينية في نفوس الاوربيين في القرن السادس للهجرة وتوجهت ابصارهم تلقاء فلسطين منبع اشعه النصرانية وعلموا ما يلاقيه الزائرون من العناء والاعنات كانت اقل نفحة من انفاس بطرس الناسك تذكي نار عصبية اندفع منها اتيّ عظيم على الشرق والشرقيين سال له سيل الدم العرم يصلون حر النار لانقاذ البيت المقدس والمذبح المقدس والقبر المقدس من ايدي المسلمين

عصبية مذهبية ملية في غايات سياسية اذكاها امثال بطرس من زائري بيت المقدس المحرضين الهمم لانقاذه . صوروا للخاصه والعامة صورا مختلفة متناهية في الفظاعة مثلوا بها حال المسلمين والاسلام في الارض المقدسة صورًا اكبرها الوهم واعظمها الفكر وبرهنتها العصبية فتناقلتها بينهم الالسنة وتنقلت في الاحاديث فظهرت لديهم بمظهر الحقيقة على ابين مثال ولم تكن اختبارات عقلاء المهاجمين لاحوال المسلمين كافية لمحو تلك الصور من الاذهان

لاسيما والخاطبون بتأييدها دائبون في الدعوة اليها حتى اذا خمدت الجذوة وانطفأت الشعلة ووضح بعض الحق وارتقت العقول تراخت العصبية وقلت الفائدة فلم يبق لذلك التأثير الهائل من الخاطبين اثر يبعث الحروب ويجر الويلات ولكنهُ نمق اثار وشي في الافكار من العصبية بقيت تصور لهم المسئلة الشرقية بصورها المختلفة

قلنا ان العصبية اذا تجاوزت حدها الى افراط وتفريط كانت مذمومة المغبة وخير احوالها ما انتهجت فيه الطريق الوسط ولكن لا بد لها في ذلك من مسيطر وقوة حاكمة عليها تراعي فيها الاحوال وتصرفها كيفما شاءت وتلك القوة هي العقل وهو قد تتسلط عليه امور تقيد اطلاقهُ من عادات وشهوات وملكات بكيفيات نفسيات فيصدأ من هذه الطوارق ولا صيقل له الا التهذيب والتعليم والقدوة الحسنة · والقدوة قائمة على اتمها في الاصاغر بالنسبة الى الاكابر وفي العامة بالنسبة الى الخاصة · عنيت بالخاصة من بيدهم ازمة الامور في الحل والعقد والتربية والتعليم يقيمون العصبية الصالحة في هؤلاء حيث يسلكون منها النهج الصريح ويتلبسون بالمبدا الصحيح فينسج المقتدون بهم على منوالهم وتأخذ العصبية الحقة حقها من النجاح · لا اقول بانحصار التربية فيمن ذكرت بل اقول بلزومها لهم وانهم احق بها واهل لها · منزلة الاكابر في النفوس من الجاه والنفوذ وبسطة العيش والقوة هي مطمح انظار من دونهم يتعلق بها جل اهوائهم فبهم يتشبهون وبمثلهم يتمثلون كي يعدوا في عدادهم ويذكروا بينهم سنة جارية وحالة متبعة · فاذا سلك الكبراء طريقاً تبعهم فيه غيرهم ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشر (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) لم تشذ بقوم عن

نهجهم السوى غير العصبية الجائرة التي يسوقها الافراط والتفريط وانك لتجد في العصبية قبل تجاوزها حدها كيانًا محفوظة وامورًا متناسقة مستقيمة فاذا جاوزت حدها حصدت ما كانت جنتهُ قبل ادراكه فيذهب هشيمًا تذروه الرياح · وان الامة العربية لما ظهر فيها الاسلام ودعا في تعاليمه وشريعته الى التآخي والتناصر في دفع المكاره واستجلاب المنافع قامت العرب امة حية تسعى لكيانها الديني بطريق لا يضر بل يحفظ لها كيانها الاجتماعي وضربت منها العصبية في النفوس فحفظوها فاستقامت لها الاحوال وانتظم المعاش وصعدت في رقيها حتى اصبحت المالكة ذات السلطة المطلقة · وللدين وآدابه الصحيحه وتعاليمه القويمة فيها المقام الاول وهو بعد في جدته لم تشبهُ البدع والاهواء بشوائبها ولم تدنسهُ الاباطيل بخزعبلاتها حتى اذا القت الرئاسة مقاليدها للداعين اليه والقائمين بنشره قام فيهم جماعة لم يثقفهم التهذيب باصوله ولم يستمسكوا من عرى الدين بشيء وكثير ماهم فتراجع سير الناهضين في رقيهم ووقفت حركتهم شيئًا فشيئًا واخذت القدوة تمثل اعمال اولئك بصورة مستحسنة تفتن الناظرين اليها فيسرون على نهجهم بعاداتهم وتقاليدهم فمسخوا كثيرًا من القواعد الدينية وشوهوا بعض محاسنه وتراموا اولاً فاولاً في بيداء البدع بين آفن يرى بالرئاسة دون ماله من الحق وذي سلطة دينية يأمل ان تتخذ اعماله واقواله حجة · فشذوا بذلك عن الآداب الدينية والقواعد الدينية الصحيحة حتى تكوّن مع طول الزمن وترامي المدة بدع اذهبت نضرة الدين والقوم سائرون في طريق القدوة لرؤسائهم حتى تفاقم الامر واستعظم وتشوهت الحقيقة بندوب البدع وتملكت العصبية من طريق القدوة في نفوس حرجة لا تفقهُ غير التقليد

يصدع الوازع بهدايته وشريعته حين يرى الضلال غالباً والشقاء حاكماً فلا يزال في وعد ووعيد وبشرى وانذار حتى يستضيء بمشكاة هديه جماعة ممن فتح الله قلوبهم للايمان به فيستقيمون على سنة ولكن منهم من اخذ اليقين بلباب معرفته فتراءى له الحق باجلى مظاهره فنبذ سنة الاولى وعاداته وعصبيته حتى نسخت من صحيفة ذهنه او كادت ويقينه يدافعها عنه الى ان يدفع شرها وتقوم في نفسه عصبية جديدة للحق وللهادي اليه . ومنهم من ضعف يقينه شيئاً عن دفع مغالبة سنة القديمة وعاداته وعصبيته الاولى فكان به نزعة لحالته الاولى وعاداته وتقاليده القديمة ولا يزال يرمقها في افعاله واقواله من طرف خفي ويقرب اليها من حيث لا يشعر حتى اذا طال الامد وسار المقتدون به على منواله وضحت تلك النزعات وظهرت تلك التقاليد في مظاهر اجلى في الخلف منها في السلف فتسترجع العوائد القديمة او ما يقاربها وترسخ بدعاً ثابتة فيقل اثر الاصلاح الذي صدع به ذلك الوازع الكريم وتنجلي عادات مظهرها الديني والدين منها براء . بهذا وذاك تتأصل البدع وملكاتها في النفوس وتستطيل بتقلص ظل الهداية ويعود الدين غريباً كما بدأ ولا تحكم التقليد

هذا هو الشان في كل امة وملة مالم يقم من رجالها سائرون في سنة الاصلاح على النهج السوى الصراح لا تثنيهم عن عزماتهم نزعات تلك العصبية ولا تقليدات تلك العظمة

نشأت المدنية في العرب وهم في خلة يتوارثونها خلفاً عن سلف وهي العصبية القومية والتباهي في العشيرة فلما ظهر الاسلام احل محلها العصبية الملية لمكان الحاجة اليها فهذبتها مهذبات الوحي وثقفتها مثقفات النبوة . ولما

انقضى عصر النبوة وتلاه زمن الخلفاء الراشدين سارت الامة على الطريق المسنون اللاحب ولكن كان سيراً مع فتور يطرأ وشذوذ يحصل كلما بعد المدى عن زمن الوحي حتى رجع حكم الامة الى الملك العضوض وترعرعت الفتن وعلت جذوتها تراجعت تلك العصبية القوميـة بما بقي لها من الآثار والنزعات في النفوس وتنوسي التثقيف الديني وذهب التهذيب الشرعي والقت الامة مقاليدها الى اولي العصبية منها غير ناظرة الى استجماعهم الشروط المطلوبة من الصلاح والاهلية خلا صبابة كصبابة الآناء من آدابها وتهذيبها وارتفع بالتدريج حق السيطرة والمراقبة والمخول للامة على حاكميها واستبدوا بالرأي والعمل وضربوا على يد كل معترض او ناشد بالله في نصيحته كما قال من نصح احد خلفاء بني امية اذ قال له وقد اطال خطبة الجمعة اطالة كادت تذهب وقت الصلاة الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك . وقبلها وضع الحجاب وغلقت الابواب وعلقت الستور ورفع عبد الملك بن مروان سوطهُ على يد كل مذكر له بالمعروف او ناه عن منكر . والعصبية تسهل كل امر من ذلك وتقعد كل قائم ولم يكن من ثمة عاقل يجسر ان يتفوه ببنت شفة ضد المستبدين حتى تلاشت هذه العصبية بطبيعة هـذا الاستبداد وقامت دونها اخرى تقاومها وتعارضها واخذ مسودة العراق قلوب السواد الاعظم غير انهُ بقي حثالة من العصبية الاموية قامت بها دولة الداخل في الاندلس وما زالت تحيا وتموت بالعدل والاستبداد حتى تلاشت وحل محلها غيرها كما كان مع العباسيين وقد تقدم ذلك كلهُ

قلنا ان النفع الذاتي والانانية سائقان الى النعرة مؤسسان للعصبية مقومان لها فاذا تقلص النفع اثر في اثرها واذهب من حشاشتها . وكلما بعد

النفع وطرأ الضر تراخت العصبية فاذا دام هذا حل محل الحب كره ونفور. ولهذا كان الاستبداد في الدولة سبباً لبطلان عصبيتها ونفور النفوس عنها فتنقطع امها وتتقسم على نفسها والنفس بالطبع مسوقة لجلب المنافع ودرء المفاسد فهي تريد دفع المضرة بكل طريق ترى امامها مفراً من الذلة فتنازع السلطة المستبدة سلطانها وقد كان اوهى امرها ونكث فتلها الاستبداد ولا يقعد بها وهي في تلك الحال عن مثل هذه غير خوف يبطيء بهمتها فاذا كان تألب واتحاد وعصبية اخص واقوى لم يبقَ من الخوف ما يدفع الهمم عن تطلب المصلحة ودفع الجور وتمكن العصبية التي هي اخص منهم وبعبارة اخرى ان العصبية بانواعها اذا وقع منها قسم يدافع سارت النفس منها الى نوع آخر حيث لا تخلو نفس من عصبية

حب الاستقلال وتطلب العز من مقتضيات الانانية وهو في الحقيقة من العصبية القومية لجميع الآحاد وكما ان العصبية تكون لشخص في الامة والعشيرة تكون للمجموع الكلي من حيث هو مجموع فتجعل حكمها وامرها كلهُ شورى وهذا اول الفطرة وغاية التمدن فاذا انحلت عصبية الرئيس فان بقي لغيره من الاشخاص عصبية جمعت حوله ذويها ونهضت بهم وان لم تكن رجعت الامة الى مجموعها وبعبارة اخرى رجعت الى انتظام هيئتها لا دارة امرها فتحكم نفسها بنفسها ومنهُ الجمهورية

من آثار النفع الذاتي المؤسس على العصبية التضام والتلاحق والاجتماع حيث يبعث الفة تأنس بها النفس وتستوحش لبراحها فيحصل في قلب كل من المجتمعين الفة وبالتالي عصبية ولهذا كان الشتات في الامة وعدم الاتصال بين اجزائها موجباً لانحطاطها بفقدان عصبيتها فاذا بقي لها جهة جامعة بقي

لها من العصبية بقدر ما تقتضيه تلك الجهة فالأمة الاسلامية كان لها وئام وارتباط شديد ما دام لها اشتراك في اللغة يعني انها كلها ترمي الى اختيار لغة القرآن والسنة فلها بهذه الوحدة قوة في عصبية ولقد كان العرب في دولتهم يؤيدون عصبيتهم بنشر لغتهم في الاقطار حتى كانت ضواحي الهند والسند وربوع مرو وخرسان وهي لباب العجمة مقراً لائمة اللغة العربية وعلمائها ومنبتاً لفضلائها ولما ان ضعفت السلطة العربية وفشلت الدولة العباسية دولتها الكبرى فترت همة المسلمين في هذا السبيل فانحلت تلك العصبية وحل محلها عصبيات مختلفة فأبعد ذلك الاتصال بين اجزاء الامة وافرادها واوهى التفريق عزها

فالعصبية خلق طاهر وخلة كريمة وهي مرقاة النجاح وسلم السعادة اذا اخذت طريقها الحق وانتهجت سننها العادل واخذت التربية والفضيلة زمامها وتولتا قيادها يفضان طماحها ويردان جماحها فلا تركب الشطاط ولا تألف الانحطاط وخير الامور الوسط (ومن قيد بالفضيلة قاد السعادة)

تأبين المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي

للدكتور اسعد افندي عفيش

قد وقع الخطب وعز العزاء ... وانهدم البيت الرفيع البناء

مات الاديب اليازجي الذي ... شهرتهُ سارت مسير الضياء

علامة القطرين نجم الهدى ... ربّ اليراع الفرد قطب العلاء

عاش اخا حرية ناشراً ... مبدا المساواة وفضل الاخاء

قد دفنوا في الرمس شيخاً حوى اجل علم راسخ او ذكاء
ودفنوا فيه رجا امة لنهضة العلم نخاب الرجاء

نعم يا معشر الاخوان خاب الرجاء . واصيبت مقاتل اللغة العربية بداء . ليس يلفى له دواء . الا وهو موت الشيخ ابراهيم اليازجي حجة الكتاب والبلغاء . من يقل في مثله الندب و يستعذب ماء البكاء ...؟

اخذ اليازجي حب اللغة عن ابيه فنشأ وفي نفسه نزوع اليها وفي فؤاده حنان عليها فوقف حياته على تقويم ما اعوج منها واصلاح ما اعتورها من الفساد . واذا اردنا ان نصور فضله على اللغة العربية وجب علينا ان ننظر فيما كانت عليه قبله وما صارت اليه بعده فنقول غير خاف ان اللغة كالاحيا تمر بادوار انحطاط وادوار ارتقاء تبعاً لحال الناطقين بها من النهضة او الخمول لان اللغة هي ما يعبر به كل قوم عن افكارهم واحساساتهم وما يقع تحت ابصارهم . فهي ترتقي بارتقاء اهلها في التأنق باشكال الملبوس والتفنن بانواع المأكول والمشروب والاخذ باغراض اللهو والترف وضروب الاكتشافات والاختراعات وهلم جرا .

وكلما زادت هذه الدائرة زادت دائرة اللغة اتساعاً شأن جميع اللغات الحية في عصرنا الحاضر . الا ان لغتنا العربية طرأ عليها من الخمول ما جعل بين ما نتكلم به الآن و بين مناحيها واوضاعها الفصحى حلقة اتصال واهية حتى تكاد تعد مفقودة .

فضلاً عن وقوف اللغة عدة قرون عن توليد الفاظ جديدة سداً للفراغ الذي احدثتهُ مكتشفات الاعصر الحديثة . فالاوروبيون او بالاجمال اهل اللغات النامية في عصرنا الفوا لتهذيب لغاتهم وتوسيعها ندوات عليه تعرف

بلا كاديمي انطوا بها التنبيه الى مختل الالفاظ والحكم الجازم بمختلف الآراء وجعلها وافية بحاجات الامة من حيث التعبير عن كل ما يجول في الفكر او يقع تحت الحواس ...

في مثل تلك الظروف ظهر اليازجي كالبدر من وراء الغيوم فبدد الظلمات او كالطبيب اشرف عند اشتداد الداء وبيده ترياق الشفاء فاحيى الاوضاع التي هجرت بتراخي الزمان ودافع في سبيل حرمتها دفاعاً لم يخش فيه لوم اللائمين ولم يبعها بصداقة الاصحاب والمقربين بل قام مقام ندوة علمية يصلح ما اعتور معجماتها من اغلاط النساخ واوهام المؤلفين .

وانحى على قواعدها بايضاح المغلق وضبط الشارد فكان خير مثال للمحققين . فبينا هو فلكي يبحث في الكواكب وابعادها اذا هو نحوي يفصل الخطاب باحكامه . اذا هو كاتب ظهر في الطبيب شفاء يداوي سقام التعابير وفي البيان سحراً يعد دليل الاعجاز وفي الضياء صباحاً يستضيء به عمدة الكتاب وجلة المنشئين اذا هو اخيراً نجمة الرائدين وشرعة الواردين . وفقده الآن لا يعد خسارة فرد من الافراد ولكنهُ خسارة ندوة علمية بكاملها ولذلك فالاسف عليه شامل كل ناطق بالضاد . نعم ان ما تركه من آثاره الادبية يزيد مع تقادم الايام رونقاً وبهاء ولكن ذلك لا يفيد اللغه الفائدة المطلوبة ان لم يقم من علمائنا لجنة تاخذ على نفسها تتميم ما بدأ به فقيدنا العزيز وعند ذلك نتعزى عن وحشة فراقه بما يؤنسنا به ذكره المجيد وما يقوم به خلفاؤه من السعي في السبيل الذي جرى عليه .

ولما كان الفقيد الكريم لم يخلف نسلاً نشاركه الاسى ونقدم له فروض التعزية . فنحن هنا اخوانه نعد دواتنا بمنزلة آله . ونعزي بعضنا بعضاً عن

فقد اخ كانت تعتز به المحافل الادبية . خاتمين باستنزال الرحمة عليه وتخليد ذكره في صحائف القلوب وعالم الادب ما بقيت لنا من الحياة بقية

لمحة اقتصادية

بقلم انطون بك شحيبر

احتدم القيظ وتعاظم الحر في ثغرنا ففترت الهمة في الاعمال وقل النشاط في السعي والجد واخذ الناس يلتمسون بعض الراحة في عيشة الخلاء . على ان ذوي اليسار والاستطاعة قد عمدوا الى لبنان يستفيدون من هوائه النقي ومائه العذب وشرع الفريق الآخر يطلب النزهة لدى الامكان في ارباض المدينة وحدائقها مستعملاً الحمامات البحرية او الاغتسال بالماء البارد او غير ذلك من الطرق التي يعالج الحر بها

على ان جميع هذه الوسائل لم تكن لتذهب بالداء الاقتصادي المستولي على السواد الاعظم من الاهالي والموجب لهم الهموم والانضغاط بحيث ان ذهابهم الى تلك الاماكن لا يخفف الكثير من اثقال الهموم فهم اذاً كالجريح يرافقهُ الم جراحه اينما سار

اما داؤنا الاقتصادي فليس منا من يجهله فهو قلة الارباح في مقابلة كثرة النفقات ومن فروعه وقوف حركة الاعمال التجارية وعدم وجود موارد الارتزاق للميأت بل للالوف من الشبان الخارجين من المدارس ومنهُ بذل كلما في الجيب في سبيل المقتضيات العصرية التي يهم فريق من ابناء الوطن ان لا بد منها ولا غنى عنها

وليس داؤنا هذا علة جديدة بل يذكر كل من يقرأ هذه السطور وكان

فوق الاربعين والخمسين من سنيه ان هذه الشكوى كانت تردد على مسمعه منذ صباه

بل طالما خطب الخطباء في هذا الموضوع وطالما كتبت الجرائد الوطنية مقالات رنانة في هذا الشأن وقد اثبت المصباح كثيراً من الفصول الاقتصادية اشار بها الى ما نحن اليوم بصدده ولم يكن تكرار البحث سوى دليل قاطع على كون الحالة الاقتصادية ما برحت على ما كانت عليه من موجبات التشكي

اجل ان الناس يتذمرون من قلة اسباب الارتزاق وهيهات ان ترى شخصاً لايقول لك « ان الحال ضيقة والشدة شديدة والاعمال واقفة والارباح اسم بلا مسمى »

وهيهات ان ترى اباً لا يقول « ان ابني تخرج في المكتب الفلاني واتقن اللغات والعلوم والفنون ولكني لا ارى مهمة تليق به فيتعاطاها لكسب رزقه و تعويض قسم مما بذلته في سبيل تربيته وتعليمه

وهيهات ترى رجلاً لايقول لك : « ما اصعب هذه الايام وما اكثر همومها بالنسبة الى ما كان عليه الاجداد من الرخا وصفاء البال . اعمل منذ الصباح حتى المساء . اقضي الليالي متفكراً متبصراً في امر اتحيل به على كسب رزقي ورزق عيالي . اضطر الى اتخاذ المسكنة سبيلاً والريا طريقاً . اتحمل نكبر المتكبرين وغطرسة المتغطرسين واحتيال الكذبة المنافقين وغلاظة الرقاب ومطامع الاهل والاصدقاء والاحباب . ومع ذلك لا اراني اصيب الغرض المقصود الا وهو الكفاف فقط ليس غير الكفاف . »

وهيهات ان ترى شخصاً لا يقول : « ان اسباب الرزق في بلادنا قليلة في حين انها كثيرة متوفرة في البلاد الاجنبية »

على انهُ لدى التبصر في هذه المسألة الهامة يتضح للعقلاء ان ابناء البلاد الاجنبية انما هم مثلنا من الجبلة البشرية والطينة الادمية بل ترانا متمتعين بخاصات طبيعية وفوائد الفية تغنينا عن كثير من الحاجات التي لا يستطيعون الى ازالتها بغير المال

وكفى على ذلك شاهداً ان العيلة التي تكفي الـ ١٠٠ لسد حاجتها في هذه البلاد تضطر في البلاد الاجنبية الى بذل الـ ١٥٠ او الـ ٢٠٠ لتعيش في الدرجة ذاتها

فاذا تدبرت هذه الحقيقة وضح لديك ان المرض الاقتصادي الذي يشكو منهُ اهالي هذه البلاد انما هو ناشيء في الغالب عن ضعف عزيمتهم وسوء تدبيرهم وكثرة اوهامهم وعدم رغبتهم في التنقيب والتنقير والبحث والتدقيق في اسباب انماء موارد الرزق

فترى التاجر مثلاً قد اعتاد ان يستورد الصنف الفلاني اما رأساً من المعمل واما بواسطة القومسيوني ولكنهُ في الحالين لا يسعى ويبحث في الوسائل التي تمكنهُ من استجلاب ذلك الصنف بصورة اكثر من تلك موافقة لحاجة البلاد وبثمن اقل من ذاك بالنظر الى رغبة الزبن بل ترى نحو ٩٠ بالمائة من الذين يتعاطون البيع والشراء يجهلون مصادر البضائع التي عليها مدار حركتهم التجارية . بل ترى القسم الاكبر من تجارنا اذا لحق بصنوف بضائعهم شيء من العيب او الفساد او التعطيل لا يعلم باية طريقة يمكن اصلاح ذلك الخلل فيبقى العيب على حاله بحيث انه يضطر الى بيع سلعه بابخس الاثمان او ان يدعها في مخزنه الى ان تصبح كالمعدوم لا قيمة لها وقس على ما ذكرنا ما لم نذكر حباً بالايجاز مما يدل على قلة علم التجار بالامور التجارية وسائر ما يتعلق

بها من المعارف والفنون وضروب الدربة والدهاء

واذا نظرت الى التاجر فتراه ثابتاً على التقليد لا يجهد عقله للتفنن في صناعته ولا لاتيان مبتكر فيها كأنما جعلت العداوة بينهُ وبين الاختراع

نعم ان فريقاً من صناعنا اخذوا يتفننون بصورة ممدوحة ومشكورة ببعض ضروب النجارة والحدادة والتجليد والتذهيب والتصوير ولكنهم في ذلك انما يقلدون ما يرونهُ بام العين من الصناعة الاجنبية وهيهات ان نرى بينهم من اهتم باختراع شكل واحد من الاشكال الجديدة التي تزيد رغبة الناس في اقتناء السلع

وان لم تصدقني فخذ مالدينا من الصناعة الوطنية تجد حالتها اليوم مثلها من مئة عام واكثر ولكي لا اعدد لك جميع صنوف صناعتنا الوطنية اذكر لك شيئاً واحداً على سبيل المثل وهو صناعة الجبن فان هذه الصناعة تقدمت عند الافرنج تقدماً عظيماً فهم يصنعون منهُ انواعاً صنوفاً واشكالاً الوفاً تختلف في طعمها والوانها وهيئاتها واثمانها وقد كتبوا في كيفية تركيبه وصنعه مؤلفات كثيرة في حين انك ترى الجبن اللبناني على حال واحدة منذ امد لا يعلم بدءه غير الله وهو على ما نعرفهُ (قالب ابيض غير منتظم الشكل مبعوج في وسطه) مع ان المادة الاصلية اي اللبن متوفرة في بلادنا فكان بالامكان لو درس اهل هذه الصناعة كيفية اتقانها ان يصنعوا منها اشكالاً متنوعة يصلح بعضها للاغنياء وبعضها للمتوسطين وبعضها للفقراء ولا يخفى ماوراء ذلك من الارباح

وما قلناه عن التجارة والصناعة يطلق ايضاً على الزراعة والغراسة وتربية المواشي والطيور

فالزارع الذي اعتاد ان يزرع ارضهُ قمحاً لا يعدل عن هذه الخطة التي اخذها عن والده وجده مع انهُ من الممكن ان تكون ارضهُ صالحة لزراعة البن او القول او الارز والبقول فتأتيه بارباح اغزر بل لو اتخذ لزراعة القمح نفسه طريقة جديدة لكانت غلاله اوفر ولكنهُ لا يحب الا ابقاء القديم على قدمه امثلا يكلف نفسهُ البحث والتنقيب فيقول « هكذا كان يصنع ابي وهكذا اصنع انا ايضاً »

والغارس الذي اعتاد غرس شجر التوت او الليمون تراه لا يحيد عن خطته ولو لم ياته عمله بفائدة تذكر مع انهُ لو سعى لكشف اسرار الغراسة ربما اهتدى الى امور يتخذها طريقاً الى الكفاف بل الى الثروة فهل بحث الغارس عندنا في الوسائل الآئلة الى ازالة امراض الاشجار وانماء مغروساته · هل اراد على الاقل ان يستعمل ما تضمنتهُ الكتب والجرائد من الارشادات المفيدة · كلا · بل بحسب تلك النصايح العلمية اكاذيب مختلقة واساطير ملفقة عمد اليها الكتبة ليملأوا الصحف · هذا على فرض ان اهل الزراعة والغراسة اطلعوا على تلك الكتب والمجلات ولكن اكثرهم يجهلون القراءة وهم من اجل ذلك ابعد من ان يطلعوا على الفوائد الجديدة التي اهتدى اليها العلم والاختبار

اما تربية المواشي والطيور فيكفي القول في شأنها ان القائمين بها لو اتقنوا مقتضيات مهمتهم لكانوا اصابوا ارباحاً معتبرة من وراء الالبان واللحوم والصوف والجلود والعظام والريش والبيض وما شاكل ذلك لان هذه الاصناف كانت عند الافرنج باباً واسعاً لادراك الثروة من وراء التجارة والصناعة بحيث اننا لو قصدنا تبيان ذلك بالتفصيل لاقتضى لنا مجلدات ضخام

بل لو عمد اهالي بلادنا الى وضع هذه المبادىء في حيز الاجراء لوجدنا

عندنا الوفا من ابواب الارتزاق ليس فقط لشبابنا الذين لا عمل لهم بل ايضاً لكثير من النساء (متزوجات وغير متزوجات) ممن يقضين اكثر اوقاتهن بمطالعة القصص والحكايات غير المفيدة ومراقبة حركات الناس وسكناتهم والبحث عن نقائص القريب والقدح بها

ان النساء يستطعن اتيان كثير من الامور التي تعود بالارباح وتغني العيال عن ذل التكدية والتسول ففي بلادنا لا ترى سوى الخياطة عند الاواسط اما عند الفقراء فترى الغسالة (والكواية) وجالبة الماء ليس غير بل ترى ايضاً في لبنان وداخلية الولايات بعضاً من النساء يشتغلن في تربية دود الحرير او يساعدن الرجال في تربية المواشي

ونحن لا نلوم النساء لعدم قيامهن بالاشغال الجالبة الارباح لما اننا نعلم ان قسماً منهن يعمل على ادارة البيت وتربية البنين والقسم الآخر لا يجد مرتزقاً يعمد اليه غير ما ذكرنا ولكننا نلوم منهن اولاً من تلهو عن ادارة بيتها بالحكمة ومخافة الله منقطعة الى مطالعة القصص والحكايات والروايات الذميمة . ثانياً . المرأة التي لا تأخذها الشفقة والحنان على زوجها واولادها فيدفعها حبها الذاتي الى التأنق بالملابس والحلى غير ملتفتة الى مصلحة البيت ثالثاً . تلك التي ابتلاها الشيطان بالثرة والنميمة فيصور لها الوهم انها لم تخلق الا لكشف عيوب الناس ونقائصهم

وليس الغرض من هذه المقالة ذكر عيوب النساء وفضائلهن بل اتينا في معرض الكلام على هذا الالماع اثباتاً لكون المرأة الفاضلة لها اعظم تاثير في الحالة الاقتصادية والادبية

ولكي نرجع الى ما كنا بصدده نقول ان اهالي بلادنا لو بحثوا في اسباب

الارتزاق لوجدوا لها ابواباً كثيرة بثيرة تزيل شكاياتهم المتواصلة المستمرة

ومن الغريب ان كثيراً ممن لديهم راس مال قليل يتمنوا ان يربحوا تسعة او عشرة بالماية مع انهم لو استعملوا راس مالهم في شيء من المحسنات الزراعية والصناعية لربحت المائة ٣٠ او ٤٠ او ٥٠ بل اكثر . مثلاً قد ثبت ان شجر الاكاليبتس سريع النمو وان ورق هذا الشجر يصلح ليس فقط لمعالجة الحميات ولتقوية المعدة بل يستصنع منهُ ايضاً جملة من انواع الاشربة اللذيذة والمفيدة التي تقوم مقام الاشربة القوية المضرة فضلاً عن كون خشب هذا الشجر من احسن الاخشاب وامتنها واصلبها للبناء فاذا اخذ الانسان قطعة من الارض واستجلب لها اغراساً جيدة من هذا الشجر لايمضي عليه ردح من الزمن حتى تاتيه ارضه بارباح غير منتظرة بالنسبة الى ثمن الارض وكلفة الغراسة

ومن اوهام فريق من الناس عندنا ان التجارة وحدها مورد للرزق شريف وان المهن الصناعية والزراعية مع تربية المواشي والطيور وما شاكل ذلك او قرب منهُ انما هو مهمة سافلة دنيئة فترى الناس يتركون الحقول و ياتون المدن قصد معاطاة التجارة او الاستخدام في معهد تجاري

اما الصواب فهو ان كل مهمة انما هي شريفة بذاتها وسامية في درجتها بحيث تكون مفيدة نافعة للعمران البشري وموسسة على الفضيلة والنزاهة والاستقامة والعلم

ومن الاوهام الغريبة ايضاً ظن فريق من الناس ان الشبان المتعلمين في المدارس ولا سيما العارفين اللغات الاجنبية او بعضها لا يليق بهم الا التجارة او الاستخدام في المكاتب التجارية او في ادارات السكك الحديدة او في دوائر الحكومة السنية وان مباشرتهم غير ذلك من الامور الدنيئة تحط من

شأنهم وترهم من اجل ذلك يفضلون البطالة على ما يسمونهُ بالاعمال الدنيئة

فيا عجباً منكم سادتي الشبان اترون من الدناءة ان تباشروا صناعة مفيدة « رغما عن معرفتكم الفرنساوية » ولا ترون من الدناءة ان تأكلوا وتشربوا وتلبسوا على نفقة والديكم المساكين الذين حرموا انفسهم الطيبات من اجل تعليمكم وتهذيبكم (أتستحون من كسب معاشكم بعرق جبينكم و بالصورة المحللة من وراء مهمة زراعية ولا تستحون من سرقة اكياس اهلكم وامتعة بيوتهم لتبذلوها في منتديات اللهو وعلى خيزورة لماعة وعقدة رقبة حريرية

لم تكن معرفة القراءة والكتابة واللغات ياسادتي لتمنعكم عن معاطاة المهن الزراعية والصناعية بل تلك المعارف تساعد على التقدم في تلك المهام كما تساعد في المهام التجارية

والاغرب من كل ما تقدم ان القوم عندنا مع شكاياتهم من العسر الاقتصادي تراهم يبذلون كثيراً من المال على الامور غير اللازمة بالنظر الى مركزهم وحاجتهم و يتوهمون ان عدم الاسراف مما يحط من شانهم . ولا نتكلم هنا عن ذوي اليسار لان صاحب الثروة والدخل لاملامة عليه اذا ما بذل قسما من ربحه في الامور المحللة بل ذلك واجب ضروري لمنفعة الهيئة الاجتماعية لان الحوذي و بائع الاقمشة والصانع يستفيد من ذلك البذل ولكننا ننصح للذين يشكون من عسر الحال ان يقتصروا على بذل ما كان لازماً وضرورياً بذله وليعلموا ان المشي على الاقدام نافع للصحة متى كان محتملاً وان الثوب البسيط النظيف المدفوع ثمنهُ خير من الثوب الثمين المأخوذ بالدين وان (وان الرقعة في الثوب علامة فخر لزوجة لابس ذلك الثوب) لدلالتها على القناعة والحكمة والاقتصاد ومعرفة مراعاة الدهر وان التهذيب والاستقامة

خير للمرأة من الحلى والجواهر وان حسن ترتيب البيت والمائدة وتربية الاولاد بخوف الله يكسب المرأة جمالاً اوفر وابهى من جمال تكتسبهُ من وراء الزخرف على انواعه

ولا يخفى ان البحث الذي نحن فيه يقتضي الفصول الطوال والمقالات المسهبة على اننا لم نذكر الا قطرة من غمر ووشلاً من بحر . ولا ريب عندنا ان القرآء الكرام عند ما يطلعون على هذه المقالة يبتسمون وربما قال احدهم (هذا صحيح) بيد ان ذلك لا يكفي بل يجب على كل منا ان يتأمل هذه الحقائق لا لكي يصدقها بل ليعمل بها فان ادراك الحقائق امر سهل ولكن الصعوبة في الاجرآء والعمل بمقتضاها ونحن لا ندعي اننا سبقنا غيرنا في معرفة هذه الامور بل نقرّ ونعترف انها مبادي اولية يدركها جميع اصحاب الذوق السليم وانما اتينا على اثباتها تذكرة لقوم تنفعهم الذكرى والذكرى مفيدة لقوم يعقلون

قيمة التربية

« لبولس افندي الخولي »

خطبة تليت في مدرسة الكلية الاميركية في بيروت

نعمة من نعم التربية الحديثة حملت على هذا العاجز فدمجتهُ في زمرة خطباء الليلة وشرفتهُ بالمثول امامكم ليخطب في التربية ويجتلي قيمتها وما الا صوت صارخ في المنتدى فاسمعوا له واعتبروا القول دون قائله

اول ما جال في خاطري ان اسأل ما هي التربيـة وما هي الغاية من التربية وكيف يتوصل الى تلك الغاية · وعلى هذه الاسئلة الثلاثة اجيب واشرح باختصار او تطويل على ما يناسبني فان اصبت في الاجوبة عند جميعكم فقد نطقت بحقيقة راهنة لا يختلف فيها اثنان وان اصبت عند قوم واخطأت عند آخرين فقد ابديت رأياً وما اكثر الآراء والمرتئين في الدنيا وان لم اصب عند احد فقد صففت كلاماً وازعجت كراماً وما اكثر صافي الكلام ومزعجي الكرام

السوءال الاول = ما هي التربية * والجواب على هـذا لا يقتضي الاقتباس من اقوال العلماء والفلاسفة الذين بحثوا في التربية ووضعوا لها الحدود والاقسام فان تلك الاقوال مع ما هي عليه من المآثرة لا تزيد كثيراً على معنى التربية البسيط المتعارف الذي يتناوله المتعلمون والاميون · وهذا جلي في قولنا ربى الشجرة او الخروف او الولد ومعنى التربية في كل ذلك (المساعدة على النمو) · فان الذي يربي الشجر او الخراف يقوم بتجهيزها بالغذاء والهواء على قدر ما توصلت اليه معرفتهُ في فن التربية حتى تنمو وتبلغ الغاية التي يتوخاها واذ ذاك فهي لا تطلق الا على ما كان ذا حياة في عالمي النبات والحيوان اذ لا يقال ربي الحجر والخشب · فالتربية اذاً المساعدة على النمو

السوءال الثاني * ما هي الغاية من التربيـة * والجواب على هذا ايضاً اتناوله من الامثلة السابقة فان مربي الشجر او الخراف او غيرها يتولى تغذيتها وخدمتها حتى يتم لها الوصول الى النماء الكامل عند ما ترد الى مربيهـا ومن حوله جزاء اتعابه وثمرة خدمته · فالغاية اذاً من كل تربية ايصال المربى الى كمال النماء والحياة

السوءال الثالث * كيف يتوصل الى تلك الغاية * هنا تتردد الافكار وتتضارب الخواطر ويقف الباحث موقف الحيران يصور فكرًا على الورق ثم يضرب على فكر حتى يستقصي في البحث ويرجع لديه شيءٌ مثل الحقيقة يعتصم به ويبرزهُ الى عالم الظهور . لان تعريف التربية وغايتها قلما يتنازع فيهما انما النزاع كل النزاع في كيفية الوصول الى تلك الغاية وهذا ما يهتم به علماء التهذيب والتربية في ايامنا الحاضرة ويتحرون تقريره . وعليه فانا اذكر خلاصة ما رجح عندي واترك تفصيله حتى اجيء الى ذكر المدارس ولكم ان تقبلوه او تحوروه او ترفضوه فاقول

يتوصل الى غاية التربية بدرس طبيعة المربى وتجهيزه بما يناسب تلك الطبيعة من الوسائط الداخلية والخارجية وتقويها حتى تبلغ اشدها في وجهة الكمال . فينتج اذ ذاك ان كلما تركبت طبيعة المربى صعب القيام بالتربية . وعليه فتربية الانسان من اصعب التربيات وادقها وابعدها عن درجة الكمال لانها تتناول * هذا اذا كانت تربية حقيقية * طبائعهُ الثلاث معًا الجسدية والعقلية والادبية وتحاول التوفيق بينها فلا ترقي هذه على نفقة تلك ولا تقوي واحدة لتضعف اخرى

والمطلع على تاريخ التربية الباحث في شؤونها وارتقائها يرى ان الاقدمين خبطوا فيها العشواء واساؤوا تناولها وفهمها فصرفوا همهم الى تقوية الطبيعة الجسدية ولم يتنبهوا لغيرها ولا غرو فقد كان تنازع البقاء في السيادة يقضي عليهم بوجوب ذلك واستمروا كذلك احقابًا متعاقبة ثم اخذت الطبيعة الادبية تنمو وتتقوى وتستنير بالوحي والالهام فظهرت نواهي الدين واوامره واعتصم الناس بالشعائر الخارجية والطقوس التقليدية ولم تنجل لهم الحقائق

لان عقولهم كانت مظلمة ومداركهم قاصرة وما زالوا يخلطون الاوهام والسفه والاباطيل بالحقائق حتى فتح الله على بعض ذوي الادمغة الكبيرة فابصروا شعاعاً من نور العلم وتجلت لهم بعض الحقائق الطبيعية فنطقوا بما ادركوا وخلطوا فيما نطقوا وتناول منطوقهم الخلف فزاد عليه وناوله لغيره وما زالوا كذلك حتى صار المنطوق مخطوطاً ثم مطبوعاً . وظهرت الفلسفة الحديثة فاصلحت تربية الطبيعة العقلية وهب الاصلاح الديني فقوّم الطبيعة الادبية وهكذا استقامت التربية على وجه مجمل لانها اصبحت تتناول طبائع الانسان الثلاث فاستقامت بذلك احوال المدنية وامتد العمران * هذا ملخص تاريخ التربية

ونرى اليوم ان البلاد التي ادركت قيمة التربية واخذت باسبابها الصحيحة واعتبرت طبائع الانسان الثلاث قد رقت في مراقي العمران الى درجة لا تدانيها فيها بلاد اخرى . والتي لم تزل ترقي طبيعة على نفقة اخرى وتنزل الاوهام منزلة الحقائق وتتبع التقليد في ذلك ولا تفسح للتربية الحقيقية مجالاً فيها قد توقف عمرانها واستولى عليها الانحطاط والمشاهد يغني عن الشاهد . هنا اقف عند هذا الحد واتناول التربية بوجه عام فاقول

التربية اول ماتكون بيتية يتولاها الوالدان او المهذبة وهي اساس التربية المدرسية وانجح ما تكون اذا اعتبرت فيها فطرة الولد واميالة وقواه العقلية والجسدية وتكيفت على ما يوافق تلك الفطرة والاميال بحيث تقوم اودها وتزيد في نشاطها فاذا تنبه المربي الى كل هذا ونظر ببصيرته الولد الصغير وببصيرته الرجل الكبير الذي سيكون منهُ ووضع نصب عينيه مستقبل الولد واقام على تربيته لينشئهُ رجلاً نافعاً للهيئة التي يسكن فيها حاسباً اياه وديعة

لا ملكاً يحق له مطلق التصرف فيه * وديعة يطالبهُ بهـا الخالق جلَّ وعلا وتستلمها منهُ الهيئة البشرية * فعندئذ يبذل مجهوده وجل ما وصلت اليـه معرفتهُ ويستعين بغيره ايضاً ليحسن القيام بتربيته وتهذيبه

ولعل في هذا النادي من يتبادر الى ذهنه الاعتراض على مقالي ان الوالد لا يحق له مطلق التصرف في ولده لان الولد من بركات الله على الوالد فهو ملكه بشرع الطبيعة والعادة . فلمثل هذا اقول اني ارى عكس ما ترى فالوالد هو للولد ومن واجباته ان ينشئهُ ويربيهُ ويقيم عليه حتى يشب ويقوى على العمل والاستقلال عنهُ . والى مثل هذا يرى كثيرون من عقلاء الاروبيين والاميركيين فيعتبرون بقاء الولد عيالاً على ابيه مضراً به وبالهيئة ولذلك فهم يتركونهُ وشانهُ يجاهد في عالم الاعمال ليحصل رزقهُ ويقيم لنفسه بنفسه حيزاً من المكانة والاعتبار . ويتصرف الوالد باموله فينفق منها في في سبل الخير والنفع العام وكثيراً ما لا يورث منها لاولاده الا النزر

هكذا نرى العجماوات جميعها تلد اولادها وتقيم على تنشئتها فتدافع عنها بحياتها ان اقتضت الحال حتى تكبر وتقوى على الاستقلال عنهـا فلا تعود تعرفها . ومن هذه الحقيقة الطبيعية العامة انتقل الى النقطة المهمة في خطابي الليلة وهي ان التربية الصحيحة هي ما انشأت في المربى القوى والصفات والاخلاق والعوائد التي تدفع به الى العالم البشري رجلاً عالمـاً عاملاً امينـاً عارفاً نفسهُ محترماً حقوقهُ حتى يتمكن من احترام حقوق غيره . وكل تربية لا ترمي الى هذه الغاية النبيلة ما هي بالتربية الصحيحة والقيمون عليها يعوزهم اصلاحها

اما التربية المدرسية فهي ايصال المعرفة الى الفرد وتدريبهُ على استخدامها

والانتفاع بها . والغاية منها ان يعرف الفرد الواجب عليه نحو نفسه ونحو الخالق والمخلوق ويكون مستقيما في معاملاته صادقاً في افكاره واقواله * مخلوق ضعيف لا يدري من الوجود الا انهُ يأكل ويشرب وينام . حيوان ناطق ذو نفس لايشعر بمطاليبها وقوى لايدري كيف يديرها تسوقهُ التدابير فيدخل المدرسة ويتنشق هواءها ويغتذي بغذائها ويتناول ذرائع التهذيب والتربية فيها فينمو عقله وتستنير بصيرتهُ وينفتح قلبهُ وتتسع مداركه ويرى ما يرى وما لا يرى حتى يحس انهُ اصبح كبيراً قوياً بالنسبة الى ما كان وصغيراً ضعيفاً بالنسبة الى ما سيكون يخرج الى العالم وينخرط في مهامه فيبرهن عن علمه بعمله . في مثل هذا يظهر فضل التربية ومقدار قيمتها في من يتخرجون في المدرسة ثم يخرجون منها ليكونوا منائر حيثما حلوا . في من يعتمد عليهم في ادارة الاعمال الخطيرة والمساعي العظيمة . في من يخلصون لوطنهم ويعملون على تعزيزه . فعليك السلام ايتها التربية الحقيقية القائمة بترقية البشر وايصالهم الى كمال الحياة وعلى ابنائك وبناتك الصادعين باوامرك المتولين تهذيب الولدان والشبان والشابات خير تحية . وانت ايها المفتش عن اصول التربية الصحيحة الدائب في جمع فروعها الراغب في استثمارها ارعني سمعك واصغ الى ما اوحتهُ اليّ تلك التربية فلعلك تسمع ما ينطبق على مبتغاك ويحقق لك مناك . وانتِ ايتها الكلية القائمة في راس بيروت الجميلة الموقع الرافعة الى عنان السماء ابنية قلاع في القوة عرائس في الجمال . المتسعة الارجاء الغنية بالمال والرجال ما هو مأربك والى اية غاية ترمين ؟ هل اقمتِ في بلادنا للاتجار كما فعل الكثيرون ؟ او هل طويت نيتك على امركة السكان كما يزعم الجاهلون ارحلات بين اظهرنا لتشريبنا كره لغتنا

وامتنا كما فعل آخرون ؟ كفى ايتها الملكة البهية اني اقرا جوابك في عينيك وارى مأربك في اعمالك واستجلي غايتك في رجالك . فاعلمي اذاً انهُ مهما تقوّل عليك بعض الخلق ونسبوا لك من الغايات فكل عاقل مخلص يراك كما انت ملكة التربية وام التهذيب ومنارة المشرق ومنبت الرجال

بقي لي ان ابين قيمة التربية المدرسية وفوائد التخرج في المدارس ولذلك القي هذا السؤال * لما ذا نأتي المدرسة . هل نأتي المدرسة لغاية اذخار المعرفة والاطلاع على الحقائق التاريخية والطبيعية ؟ للحصول على الانكليزية مثلاً او الافرنسية او الالمانية فقط ؟ هل نأتي المدرسة لنرقي اذواقنا في الملبس والمأكل والمشرب والمأوى فقط ؟ هل نغدو ونروح الى المدرسة كي يقال عنا انهم ابناء مدرسة من شباب العصر ؟ هذا كل مانرمي اليه ؟ اهذا كل ما يعلق على اذهاننا من التربية المدرسية ؟ ان كانت هذه غايتنا وذاك تأثير المدارس علينا فبئست الغاية غايتنا ولا حبذا المدارس القائمة بتهذيبنا

اما اذا كنا نأتي المدرسة لكي نقف على ماوصلت اليه معارف البشر اجمالا * لكي نعي من تلك المعارف ما يناسب مقدرتنا العقلية والجسدية ويمكننا حسن العمل في الحياة * لكي نتدرب على الترتيب والتميم الواجب وافتداء الوقت * لكي نتعود حب المطالعة والبحث على كل ماسما قدره وحسن ذكره * فعندئذٍ نكون قد عرفنا قيمة التربية ونهجنا سبلها واعتصمنا باسبابها وبتنا من اهلها واعوانها . وليت شعري كم يبلغ عدد الذين يؤمون المدارس في بلادنا وهذه الغايات في رؤوسهم او بالاحرى كم يبلغ عدد المدارس نفسها التي تبلغ تلامذتها الى هذه الغايات ؟ هنا اقف واترك الجواب لكل سامع

فيا ايها الآباء والامهات والاوصياء والمعلمون والمعلمات والاساتذة وارباب المدارس القائمين بتربية صغار الحاضر وكبار المستقبل · هل ادركتم قيمة التربية البيتية والمدرسية وشعرتم بعظم المسؤولية المتعلقة بها ؟ هل عرفتم ان سعادة الامة وشقاءها في ايديكم ؟ هل حسستم بسمو مركزكم عند كل عاقل كخدام التربية وعمالها القابضين على ازمة العقول والعواطف والاخلاق والعوائد ؟ ناشدتكم الله اذاً ان توسعوا حدودكم وتتناولوا من تربون بيد المحبة والامانة والصبر ولا تنظروا الى مايريحكم في الحال وكثيراً ما يتعبكم في المآل · بل انظروا الى صالح المربي العام * الى صالح الانسانية الكامنة فيه * الى ترقية الهيئة التي هو فرد من افرادها · عندئذ تتساهلون وتشددون وتقاصون وتكافئون فيكون مجمل اعمالكم آيلاً للخير والتهذيب وتكونون انتم في دائرة التربية القويمة · ولا تهتموا فقط بما يفعل المربى وهو تحت مراقبتكم لان هذا طرف من اطراف التربية لا يؤمن التشبث به · واياكم ان تضغطوا عليه كثيراً لئلا تتبدل فيه صفات الشجاعة والامانة وحرية الفكر الى صفات الجبن والمخاتلة والرياء ويصبح ملاكاً حين تكون عليه الرقباء وشيطاناً حين يخلو له الجو ويأمن العيون · علموا من تربون كيف يقضون اوقات فراغهم · دربوهم على الملاحظة والاستفهام عن الغامض · عودوهم على ادراك المسئولية التي عليهم نحو نفوسهم ونحو من حولهم ونحو خالقهم · انشئوهم حتى يدركوا ان هذه المسؤولية تكبر بكبرهم وتصغر بصغرهم وان لا نجاح بدون زيادة المسئولية · افهموهم ان كل انسان اخوهم من جبلتهم وانهُ قد يختلف عنهم بالعقيدة والعوائد وقوة الادراك ولكنهُ يبقى اخاهم في الانسانية ذا نفس خالدة وحقوق مقدسة · قولوا لهم ان

الاختيار الشخصي هو الاختيار الذي يدوم وان كل من سار على الدرب وصل . لتفهم ان البخت قد يساعد الانسان للحصول على مركز سام لكنهُ قلما يساعده على البقاء فيه . وان الرزق الذي يكتسبهُ الانسان بماء جبينه هو الرزق الذي يدوم و يثمر و يجعل حياة سعيدة تكتنفها الحكمة والنزاهة والاعتدال

هذه هي اسباب التربية الحقيقية وهذه هي التربية التي تعتمدها مدرستنا الكلية . وليكن معلوماً ان الكلية لا تخرج تلامذتها وترسلهم الى العالم الفسيح ليشخصوها بالعلميات فقط بل بالآداب الصحيحة والرجولة والانسانية والتهذيب العام . لان صيت المدرسة وسمعتها الحسنة لا يتوقفان على مايضيفهُ ابناؤها الى عالم العلم والمعرفة مثلما يتوقفان على مايفعلون بين الناس وما يظهرونهُ من ضروب الشجاعة والامانة والاستعداد والمقدرة على العمل

هاكم الامة الفرنسوية فهي مع ما اشتهرت به من العلماء والفلاسفة والصناع والمخترعين على اختلاف مناصبهم قد احست حديثاً بفساد بعض مبادئها في التربية المدرسية فنهض المسيو ديمولان احد علمائها منذ بضع سنين وانتقد مبدأ التربية في فرنسا واظهر نقائصهُ في كتابه سر تقدم الامم السكسونية * ذلك الكتاب الذي قامت له الخواطر وقعدت وترجم الى اشهر اللغات الاروبية حالما تداولتهُ الايدي بعد نشره قد ابان فيه موءلفهُ ان قيمة التربية لا تقوم فقط بكثرة المواد التي تلقى في ذهن التلميذ ولا بمقدرة الاساتذة في الفروع التي يدرسونها بل بالروح التي تبثها المدرسة في التلامذة . الروح التي تفتح قلوبهم وتنير عقولهم وتجعلهم يعتمدون على ذواتهم في تطلب المجد والرفعة وتريهم ان ليس في الوطن وحده يحيا الانسان بل في كل بلد من

بلدان المعمور . وان الجاه والغنى والرفعة ان كانت تتأتى للفرد في وطنه فاحر بها ان تتأتى له في غير وطنه حيث يعتمد على نفسه و يتفرغ لتوخي غايته

من كل هذا نسج المسيو ديمولان كتابهُ ونشره في طول بلاده وعرضها فتجاوزها الى كل البلدان المتمدنة واحدث دوياً في الاندية العلمية لان ناسجهُ قد طرق فيه باباً لم يطرقهُ احد غيره من كتبة الافرنسيس اذ ابان لامته انها دون الامم السكسونية في التربية المدرسية

فمن هو المسيو ديمولان فينا الذي يقوم ويفحص مدارس بلادنا الابتدائية والثانوية والعالية الوطنية والاجنبية و ينقد طرق التربية فيها فيفرز الرديء من الجيد و يحض ارباب التهذيب على نبذ الاغراض الجنسية والتعصبات المذهبية وصرف النظر في وجهة التربية القويمة التي تنشيء للامة وللوطن وللعالم باسره رجالاً اشداء امناء نحو نفوسهم ونحو بني جنسهم . فاذا اردت ان تميز بين التربية القويمة والمعوجة فخالط القائمين بامر التربية وافحص عن شخصيتهم وقف على كيفية تدريسهم واطلع على الكتب التي يدرسونها والفروع التي يبسطونها لدى الطلبة . انظر كيف يعاملون المربى و باي روح يقدمون الارشاد واية غايات ينصبون قدام من يربون واي سلوك يستحسنون . امزج كلما يستخدمونهُ في سبيل التربية وخضهُ ثم شمهُ وذقهُ فان كنت تستطيبهُ وتستطعم فيه طعم الرجولة الحقة فاعلم ان التربية قويمة ونتائجها حسنة مفيدة . والا فهي مزيج من الاعمال والافكار القاصرة

واذا اردت تربية ابنك في مدرسة ما فاسأل عن المدرسة التي تنزل تلامذتها منزلة بنيها لا منزلة خدامهـا = المدرسة التي تنير عقول التلامذة وتفتح بصائرهم بما تلقنهم اياه من المعارف النافعة والفوائد الجليلة . المدرسة

التي تدرب تلامذتها على العمل والرياضة البدنية وتقودهم الى المعاشرة الصالحة وتقضية ساعات الفراغ بالاشياء المفيدة = المدرسة التي تشرب بنيها روح الشجاعة الادبية والمثابرة على العمل = وخلاصة القول ضع ابنك في مدرسة ترقي فيه ما وهبهُ اياه الخالق من القوى العقلية والجسدية بحيث ينشأ لا كما شاء التعصب بل كما شاء العلم الصحيح في بحبوحة الاخاء والمساواة والحرية = والسلام

البيان باللفظ

للدكتور بشاره افندي زلزل

ان استعمال الاشارات للتفاهم والتخاطب مجردة عن الكلام لم يرو عن غير هنود امركا الشمالية على ان استعمالها مع الكلام لزيادة الايضاح والتأثير على السامع امر مألوف ولا سيما للخطباء . اما الكلام او النطق فخاص بالنوع الانساني كما اوضحناه والكلام يتألف من الكلم والكلم تتألف من اللفظ وهو اصوات تخرج من الحنجرة وتتنوّع بمرورها على المقاطع في الحلق واللسان والاسنان والشفتين فتتركب من مخارج مختلفة الفاظاً تدل على معان يتوهم الناظر اليها لاوّل وهلة ان دون معرفتها صعاباً لا تذل . ولكن علماء اللغات استسهلوا الصعب فادركوا الوطر بعد الجهد برد اللهجات المختلفة الى اصولها في اللغات التي قسموها الى ثلاثة اقسام اصلية وهي ذوات الهجاء الواحد وذوات الهجاء المركب واللغات المتصرفة

فاللغات « ذوات الهجاء الواحد » تعرف بان كلماتها اجمع الفاظ مفردة المقطع فكل كلمة منها اصل لايقبل التصريف ولا يتغير عن الصورة الموضوعة

له اصلاً وانما تعرف نسبتهُ الى غيره في الجملة بموضعه منها على ترتيب معين فلفظة « با » باللغة الصينية تطلق على معاني العظيم والعظمة واعظام الامر وتعظيم الرجل . وكل معنى من هذه المعاني انما يتعين بالموضع المخصص به في الجملة . والمعاني لا تتغير باختلاف عوامل الاعراب كما ان الالفاظ المتجانسة الصورة المختلفة المعنى انما يستدل عليها في هذه اللغة بنغمة الصوت من حيث لينه وخشونته ورفعه وخفضه ومده وتسهيله وترقيقه وتفخيمه وما يلحق بذلك من الاستفهام والنداء والتعجب . وكثيراً ما يتعين المعنى بلفظة تضف الى اللفظة الاصلية كما في لفظة « تو » وهي تطلق عندهم على الخطف والبلوغ والغطاء والراية والقيادة والخطة والطريق . ولفظة « لو » تجيء بمعنى الاخلاص والاداة والحجر الثمين والندى والطريق فاذا اضيف « تو » الى « لو » فقيل « تولو » تعين معنى الطريق وعلى هذا النحو يعينون الغاية بلفظتي جبل وشجر والدمع بالماء والمقلة والسمع بالباب والاذن وهلم جرا

واهم اللغات المفردة الهجاء المعروفة الآن الصينية والانامية والسيامية والبرمانية والتبتية وهي تعرف بنسبتها الى الامصار المستعملة فيها . اما الخازيا *Khamsia* فلغة سكان اقصى الهند في حدود الصين وهي مستقلة بذاتها متوسطة بين اللغات ذوات الهجاء الواحد وبين اللغات ذوات الهجاء المركب

اما اللغة الصينية فتنقسم الى ثلاثة السن هي لسان اهل كنتون ولسان اهل فوكيا ولسان المزاربة وهي لغة الحكومة التي تكتب بها شرائعهم واحكامهم ويتكلم بها سكان الولايات . وقد ذكرنا آنفاً طريقة البيان بها وان كل كلمة موءلفة من اصل واحد لا يتغير فكل اصل يتألف من حرف ساكن فحركة ولا يصح عندهم التقاء الساكنين كما في اللغات الاوربية فلفظة شنغاي

يلفظونها « شن هي » وهم يتأنقون كثيراً في كلامهم ويجعلون العلوم الادبية في المحل الاول من العلوم وكتابتهم تُعرف بالخط المشجر وسيجيء الكلام عليها · وحروف هجائها تبلغ نحواً من خمسة واربعين الفاً ولكنهم يقتصرون في الاستعمال الدارج على خمسة عشر الف حرف · وقد يحصرونها في الف ومايتي حرف لا يستغنى عنها وهي الحروف الاصلية التي تمثل صور الفكر الخطية وتدل على كيفية لفظ الكلمة وحقيقة معناها معاً ويستعان على التوصل الى معرفتها بحروف اصلية تسمى بالمفاتيح وعددها مايتان واربعة عشر حرفاً

واللسان الانامي يتكلم به اهل الهند الصينية والتونكن والكوشن صين وهو شبيه باللسان الصيني في لفظه وخطه مع بعض التصرف وزيادة علامات خصوصية وينقسم الى ست لهجات مختلفة

واللسان السيامي يكتب بحروف ماخوذة من اللغة الهندية وينقسم الى خمس لهجات مختلفة · ولسان اهل برما في رتبة سافلة بالنسبة الى الالسنة المذكورة · اما لسان اهل تبت فارقى منزلة كانهُ صلة بين اللغات ذوات الهجاء الواحد واللغات ذوات الهجاء المركب وهو يكتب بحروف هجائية ماخوذة من اللغة الهندية · وبعض حروفها السواكن تكتب ولا تقرأ

واللغات « ذوات الهجاء المركب » تتألف كلماتها من الفاظ تُركب تركيباً مزجياً ويكون احدها ركن الكلمة في الدلالة على المعنى وما بقي يكون مضافاً الى الركن لتوضيح معناه او لغرض آخر وهي الزيادات على الاصول المجردة · وهي قد تكون في اول الكلمة كما في لغات البنتو *Bantou* · وهم (الكفار من اهالي افريقيا) او في آخرها كما في اللغة التركية والمغولية ·

مثل ذلك في اللغة التركية علامة الجمع « لر » تلحق في آخر الاسماء مثل (اركان) حبل (اركانلر) حبـال والاداة (جي) تدل على الفاعل فيقال اركانجي اي صانع الحبل والادات (لي) تدل على الملك او الاضافة فيقال اركانلي اي صاحب الحبل والاداة « مق » تدل على الحدث وتلحق في آخر الفعل فيتعين بها المصدر الخ

ويتكلم باللغات المركبة الهجاء اهالي افريقيا وامركا وجزر الاوقيـانوس ونحو ثلثي سكان اسيا وبعض انحاء اوربا وهي متوسطة بين اللغات المفردة الهجاء واللغات المتصرفة ومن انواعها ما سمي بالكثير التركيب وهو خاص ببعض قبائل من هنود امركا ويراد به تحويل الجملة الى كلمة واحدة مثال ذلك « ندخولي زن » اي قرب لنا القارب فهي مقتضبة من نادين قرب واموخول قارب ونن لنا

واللغات « المتصرفة » تختلف عن اللغات المركبة الهجاء بان صورة الكلمة الاصليـة تتغير بالتصريف والاعراب للدلالة على معان لهـا علاقة بالاصل المذكور كلفظة ملك في اللغة العربية فهي مع التنوين تدل على الاسم ومع الفتحة في آخرها تدل على الفعل الماضي ومع ضم آخرها وزيادة احد حروف (ا · ن · ى · ت) تدل على المضارع فيقـال املك ونملك ويملك وتملك وتتصرف مع الضمائر فيقال ملكت ملكتما ملكتم ملكت ملكتن ملكتُ ملكنا ملكا ملكوا · ويزاد عليها حروف تدل على معان مختلفة فيقال ملّك واملك وتملك واستملك ومملكة ومماليك ومملوك الى غير ذلك مما يُعرف من علم الصرف واللغة

وتنقسم اللغات المتصرفة الى قسمين اصليين · اللغات السامية واللغات

الآرية او الهندية الاوربية

« فاللغات السامية » تكون اصول كلماتها في الغالب مركبة من ثلاثة حروف متحركة وبعضها يتألف من هجاء واحد اي من حرف واحد متحرك او حرفين احدهما متحرك والالفاظ المجردة قابلة للزيادة في اوائلها واواخرها وهي اسماء وافعال وحروف فالاسماء تكون مذكرة او مؤنثة حقيقةً او مجازًا مفردة او مثناة او مجموعة . وعلامة التأنيث التاء وعلامة التثنية النون مع الالف في حالة الرفع والنون مع الياء مفتوحة في حالتي النصب والجر وعلامة الجمع السالم للمذكر النون مع الواو مضمومة في حالة الرفع والنون مع الياء مكسورة في حالتي النصب والجر وللمؤنث السالم التاء مع الالف . اما الجمع المكسر فصيغهُ كثيرة . وحركات الاعراب الضمة للرفع والفتحة للنصب والكسرة للجر والسكون للجزم . والضمائر تتركب مع الاسماء كما في كتابي ومع الافعال كما في كتبت وهي في الاصل الياء للمتكلم والكاف للمخاطب والهاء للغائب . والافعال تعرف بدلالتها على الازمنة الثلاثة الحاضر والماضي والمستقبل وصيغة الحاضر والمستقبل هي المضارع والامر وهو يشتق من المضارع . وتدخل السين او سوف على المضارع فتمحضهُ للاستقبال . وينصرف الفعل بالزيادة على الاصل للدلالة على معان يطول شرحها كما في قتّل وقاتل وتقتل وتقاتل وانقتل واستقتل

ويظن ان موطن اللغات السامية كان شمالي العربية ووسطها . وهذه اللغات متشابهة فيما بينها فلا تفرق احداها عن الاخرى بمقدار ما تفرق اللاتينية عن اليونانية وتنقسم الى ثلاثة اقسام اصلية الارامية والكنعانية والعربية « فالارامية » تشتمل على فرعين لم يزالا مستعملين هما الكلدانية في

في شرقي العربية والسريانية في غربيها اما اللغة الاشورية فقد انقرضت بانقراض اهلها ولم يبق الا رسمها في العاديات المسمارية الخط · وكانت الآرامية لغة اليهود الدارجة بعد سبي بابل · ومعلوم ان حروف الكتابة في اللغات السامية ماخوذة عن القلم الفينيقي الماخوذ عن المصرى ماعدا اللغة الاشورية فحروف الهجاء في اللغة العبرانيـة اثنان وعشرون حرفاً كانت في الاصل رسوماً تمثل اشياء بعينها كالالف لراس العجل والباء (بتي) للبيت والجيم للجمل وهلمّ جرا · وحروف الكتابة الفينيقية ماخوذة ايضاً عن القلم المصري القديم وهي اصل الخطوط الهندية الاوربية

واللغات الكنعانية تنقسم الى العبرانية والفينيقية · فالعبرانية هي لغـة العبرانيين اي اليهود القديمة التي كتبت بها شرائعهم ولم تزل لغة دينهم لهذا العهد · والفينيقية اختها انتشرت قديماً في قرطجنة وسواحل اسبانيا

والعربية لغة العرب في الجاهلية والاسلام بعد الهجرة انتشرت بانتشار الدين المحمدي من الشرق الاقصى الى المغرب الاقصى وكانت لسان المدنية والحضارة في القرون الوسطى وعنها نقل الفرنجة في بداية حضارتهم مصنفات فلاسفة اليونان والعرب ولم يزل بعضهم معجبين بها مشفقين على تلاشيها حرصين على حفظ موءلفات علمائها القدماء وصيانتها ونشرها للاستفادة بها على حين يسعى ابناؤها الذين غذتهم بلبانها الى الاجهاز عليها بعد ان اصمت صروف الزمان فؤادها · ولولا بقية رمق فيها اساوت اللغات التي طوتها سلميى وذلك لان اللغة انما تقوم باهلها واهل هذه اللغة في هذا العصر البدو الرحل سيـ القفار وهم لا يزالون متوحشين وسكان مصر وسوريا والمغاربة · فاهل سوريا مشهورون باجتهادهم ومحبتهم لهذه اللغة ومع ان لغة دولتهم هي التركية

فاللغات الاجنبية لتنازعهم وتعليم العلوم في مدارسهم يقوم بهذه اللغات واكثرها شيوعاً الفرنسية . والمغاربة مغلوبون على امرهم وهم اقرب الى حالة البداوة ومع ان استعدادهم الطبيعي يؤهلهم للحضارة والترقي فالنزاع بين قبائلهم يحول دون ترقيهم . فلم يبق للغة العربية موطن الا القطر المصري وهو على ما يظن محط آمال ابناء هذه اللغة لان حكومته في الظاهر عربية وثم نظارة للمعارف تهتم بنشر العلوم ورجال من جهابذة العصر خط يراعهم في صفحة الدهر سطوراً من محبة الوطن تخلد ذكرهم في التاريخ . ولكن الذي ينظر الى الحقيقة لا تبهره الزخارف والذي يفكر في عواقب الامور لا يرى وراء هذه الحالة الا الانحطاط المستمر واذا كانت السيطرة في نظارة المعارف موكولة الى غير اهلها فماذا يرجى منهـا واذا كانت الحكومة تؤثر اللغات الاجنبية على لغة الوطن ولا تكتب بها الا اضطراراً بلغة الدواوين المشهورة بلحنها وركاكتها واذا كان جهابذة الامة كما سبق التلميح عنهم في المقدمة والمقام لا يحتمل التصريح فأنى يتهيأ لهذه اللغة الثبات في تنازع البقاء .

اذا استشفيت من داءٍ بداءٍ فاقتل ما اعلّك ما شفاكا

والقول بان اللغة العربية لا تزال حية ما دام دين الاسلام حياً لا يغني فتيلاً ولا يشفي عليلاً لان زعامة هذا الدين وخلافته والسيطرة عليه من حقوق الدولة العثمانية ولغتها التركيـة كما هو معلوم ونرى العجم وهم اشد الاسلام تمسكاً بالدين لا يهتمون باللغة العربية وكذلك الافغان وجمهور المسلمين في الممالك الاجنبية . وبخلاف ذلك نرى سكان جزيرة مالطة وهم يتكلمون برطانة عربية وديانتهم النصرانية يقاومون الدولة الانكليزية صاحبة السيادة عليهم لانها ارادت ايثار لغة الحكومة الانكليزية على اللغـة الوطنية

في المعاملات الرسمية فذهبت قوتها القاهرة ادراج الرياح . ونرى السوريين في مهاجرهم اشد غيرة على لغتهم العربية من ابناء هذه اللغة في جميع الاقطار وقد رفعوا لها منارًا في بلاد الغربة بما انشأوا من المطابع والجرائد والمجلات مع انهم لو صرفوا مثل هذا الجهد في لغات القوم الذين يخالطونهم لكان ذلك اجدى نفعاً لهم فقد ثبت ان اللغة انما تقوم بالوطنية لا بالدين واذا كانت الوطنية على شفا جرف هار فما اجدر هذا اللسان (كما قال الفيروز وبادي) وهو حبيب النفس وعشيق الطبع وسمير ضمير الجمع وقد وقف على ثنية الوداع وهمّ قبليّ مزنه بالاقلاع بان يعتنق ضماً والتزماً كالاحبة لدى التوديع ويكرم بنقل الخطوات على آثاره حالة التشييع

وتقسم اللغة العربية في نظر العموم الى فصحى وهي لغة الكتب وعامية وهي رطانة المتكلمين بها في العراق والشام ومصر والجزائر وتونس وزعم بعضهم ان الفرق بينهما كالفرق بين اليونانية القديمة والحديثة او اللاتينية واللغات الاوربية . والحال ان العامية لا تفرق عن لغة الكتب الا بما دس فيها من حوشي الالفاظ والتعبير الركيك آخذًا عن المتفرنجين وغيرهم . والذين يتعلمون القراءة يتمكنون من فهم الكتب الفصيحة العبارة البليغة المعنى فلا يعسر عليهم الا فهم الكلام العويص وهو ليس بشيء من فصاحة هذه اللغة خلافاً للغات الاجنبية . وربما صح هذا القول بالنظر الى اللغة الحميرية وهي غير معروفة الا بالقلم المسند

ويتكلم اهل الحبشة باللسان الامهري والاثيوبي والتيغري والهراري وغير ذلك وهي من اللغات السامية المتغيرة لدخول الالفاظ الاجنبية عليها ويعزى الى اللغات السامية لسان القبط الذي بقي حيًا الى زمن الفتح

الاسلامي وكان يكتب حينئذ بحروف يونانية . اما القلم المصري القديم فسيأتي الكلام عليه

واللغات الهندية الاوربية وتسمى بالآرية والسنسكريتية منتشرة من الهند الى سواحل بحر الظلمات (الاتلانتيك) الشرقية . وكان يظن انها نشأت في اواسط اسيا فاثبت بعضهم الآن ان منشأها في ضفاف الدانوب وجهات روسيا الجنوبيه اي في الجنوب الغربي من اوربا . وهي متصرفه بما يدخل على اواخر كلماتها من الزيادة وقد تكون على الاصل في اول الكلمات مثال ذلك في اللغة الانكليزية UNDER STAND فالاصل فيها STAND جلس و UNDER تحت ومثلها في الفرنسية COM PRENDRE والاصل فيها PRENDRE اخذ ولفظه COM تفيد الصحبة والغالب في هذه اللغات المفرد والجمع المؤنث والمذكر حقيقة او مجازاً وفي بعضها يسمى ما ليس بذكر ولا انثى حقيقةً بالمتعادل وحركاتها في الاصل ثلاثة فتحة فكسرة فضمة الا انهم توسعوا بها كثيراً وهي تكتب بالحروف واصول كلماتها مفردة الهجاء واقسامها ثمانية الهندية والايرانية واليونانية واللاتينية والشلتية والجرمانية والصقلبية واللتيسة LETTIQUE اما اللغة الانكليزية فمنشأها من فرع المانى يقال له السكسوني امتزج بفرع آخر يقال له الانجل وهي اكثر اللغات الاوربية انتشاراً واقربها الى اللغات الوحيدة الهجاء

فمما تقدم يتضح ان الصينيين وامم الهند الصينية والتبتيين يتكلمون بلغات ذوات هجاء واحد وان الهنديين الاوربيين والساميين والكنعانيين يتكلمون بلغات متصرفة وما بقي من امم العالم فلغاتها مركبة ومع ذلك فان اللغات تتداخل فيما بينها كما نرى في اللغة الطليانية التي تكثر فيها الصيغ

المركبة وكذلك العربية والفرنسية وبعض اللغات ذوات الهجاء الواحد كالتبتية تكثر فيها الصيغ المركبة ايضاً

وكان يظن من قبل ان جميع لغات العالم نشأت من اللغة المفردة الهجاء متحولة من حالة البساطة الى حالة التركيب فالتصريف اخيراً . ولكن هذا الراي قد نقض الان بالنظر الى عدم التناسب بين عدد اللغات المركبة وعدد لغات القسمين الاخيرين وبالنظر الى وجود الصيغ المركبة في اللغات المفردة الهجاء والمتصرفة وبالنظر الى تداعي كثير من اللغات المتصرفة الى الهجاء الواحد كاللغة الانكليزية وبالنظر الى ماثبت اخيراً من بحث بعض المدققين في لفظ الكلمات الصينية والتبتية القديمة ولذلك ذهب اكثرهم الآن الى ان اللغات المركبة هي الاصل وان المفردة الهجاء والمتصرفة مشتقتان منها . اما عدد لغات العالم فلا يمكن استقصاؤه في حالة العلم الحاضرة وسنذكر في الكلام على الامم لغة كل منها والخصائص التي تتميز بها كل امة من حيث لغتها

ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

لبشاره افندي عبدالله الخوري

اذا تلبدت سماء الحياة بغيوم الملمات وعصفت ريح الشقاء على رياض الهناء فعبثت باغصانها المائسات واقمارها الطالعات . واظلم الافق بعد ان كان صافياً نقياً تختال فيه ربة النور بحلة البهاء . فبت كأنك في ظلام داج تتلاعب بك وساوس الافكار وتتناشك مخالب الآفات . ثم لاح لعينيك نور ضئيل في وسط الظلام فبدد عنك مخاوف النفس وردّ اليك رمقاً

يتراوح بين اليأس والرجاء . فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

واذا كنت في سفينة تشق عباب البحار وقد هبت عليها العاصفة فهاجت لها الامواج مرتفعة منخفضة لا تستقر على حال . وفغر البحر العظيم فاه فايقنت انهُ لا بد من الهلاك . فخفق فؤادك هلعاً وارتجفت مفاصلك جزعاً وظهر لك شبح الموت مخيفاً هائلاً . فوجمت اهتياباً لا تبدي حراكاً . ثم ظهرت اليابسة بغتةً امام عينيك . فانتعش لها فؤادك وثاب اليك رشادك وابتسم ثغرك وانشرح صدرك . فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

واذا توغلت في البراري المقفرات تحت جنح الظلام وقد خرجت الضواري من مكامنها تفتك بمن تلقاه فتكا لا تبقي معه على حياة فاحاطت بك من كل جانب وكلها على قدم الوثوب عليك لتنوشك بانيابها المحددة وتحمل منك اصغارها طعاماً . فشاهدت الموت عياناً ولم يعد لك رجاء في النجاة . ثم سقط طير الرخ عليك فانتشلك وطار بك الى جبل الامان فتمزقت عنك اثواب الاوهام وفزت بالنجاة بعد ان يئست من النجاة . فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

واذا كنت ممن عُني بمرض الادب فصرفت ريق العمر بين المحابر والاقلام . واجريت على القرطاس مداداً من دماء الحياة فذبلت زهرة ربيعك قبل ان تفتح عنها الاكمام وجف عود حياتك فتناثرت على الاديم اوراقه الخضراء . وانت مع ذلك لا تصادف نجاحاً ولا تسمع كلمة ثناء او متى بت تخاف على ضياع الادب ولا تامن على حفظ حقوقك التي تشتريها

بدم المهج وسهر الليالي ثم بلغك ان قد راجت سوق المعارف والعلوم واصبحت الناس تقدر ارباب الاقلام فتهافتوا على اقتناء الكتب ترغيباً وتنشيطاً فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

فيا ايها الامل الجميل يا ايتها الحمامة الطائرة في فضاء العالم هنيئاً للقلب الذي يكون لك قفصاً وللقفص الذي تغردين فيه · لتغردين فتنعشين الفؤاد وتنشدين له في صحف المستقبل اشعاراً مطربات فتحببين اليه البقاء وقد رام الفناء · وتعللينه بالسعادة وقد حالفه الشقاء · يا ايها الامل كم تعلل الفقير بالغنى والمريض بالشفاء · فيبتسم ثغر الذهب للاول وتصافح العافية يد الاخير فتخفف عن هذا وطأة الألم وتفثأ عن ذاك سطوة الداء · وما اصعب الفقر اذا انقطع الرجاء وما اصعب الداء اذا فقد الدواء

يا ايها الامل ما اكثر الذين يستأنسون بالوحشة ومتى خيم الظلام يخلون بانفسهم الكئيبة فيذرفون على الوجنات دمعاً مدراراً ويتنهدون من فرط الجوى والم النوى · وينتحبون كما تنتحب الحمائم على الافنان فيحركون اوتار القلوب ويهيجون نار الاحزان · ثم تبتسم لهم عن ثغر حبيب كأنه الدرّ وتسفر لهم عن صبح محيا ابهى من البدر فتبتهج قلوبهم وتخمد نيرانهم وتصفوا لهم موارد السعادة في مراحل الحياة

ياايها الامل يا دمعة التعزية وابتسامة الفرح · يا نبتة الحياة المغروسة في تربة الصدر · يا انشودة الفوز بعد الفشل · يا جنة الخلد والنعيم الدائم = سلام

يتجرد الغصن على امل ان يكتسي في الربيع ثوباً قشيباً · وتغيب الشمس على امل ان تطلع في اليوم الثاني ساطعة منيرة · ويدفن الزارع مع

الحبة قوة يمينه على امل ان ينجي من الحبة سنبلاً كثيراً ويميت الانسان نفسه في الحياة الدنيا على امل ان يقابل وجه ربه مسروراً . ويرمي بنفسه الى المخاطر على امل ان يصير سيداً خطيراً

فهذا هو الامل . هذا هو بارق الحياة وخيال السعادة ورائد المحبين . ولقد تنخدع وتصح وتحلو وتمر يا ايها الامل

الخريف

لجبران افندي خليل جبران

ها قد ضعفت حرارة الشمس واصبحت نظراتها المحيية كنظرات سقيم يرى الحياة من وراء نقاب الموت

هاقد تمردت الارياح وانتزعت عزم البحار لتبيد به ما اخرجته الارض من صدرها مثلما تفني الحروب والثورات ما تبثهُ السلامة من اعماقها

قد قضى الصيف فجلست الحقول للنحيب والبكاء . وتململت الاشجار متحسرة ناثرة اوراقها الصفراء لتكفنهُ بها وتلحده تحت ثنايا الثلوج

قد مات الصيف = مات فتى الفصول = مات عريس الاودية فوقفت امهُ الطبيعة لتندبهُ وترثيهُ

مات واهب الرزق = مات شاعر الحياة = مات حياة الشعر فتركه الانسان جثةً باردة على احضان البرية وعاد حاملاً البزور والاثمار الى اوكاره الضيقة

البلابل والشحاريروالعصافير قد رحلت الى الجنوب ولم يبق بين الطلول الجرداء سوى غربان سوداء تتصاعد ناعية من بين القضبان العارية وتختفي

في الغاب ثم تظهر وتهبط كانها رات جيفةً ثم تتطاير وتتفرق الى كل ناحية كانها تخاف بعضها بعضا

الاغصان ترتجف متافقة · واوجه البحيرات تتجعد جزعاً · والصخور تكاد تهبط من امام السيول والامطار وكل مافي الارض يرتعش من غضب العواصف ارتعاش العبيد المذنبين امام الملوك القساة

السواقي المترنمة قد غارت · ثم ظهرت وغت انهراً وجرفت بتيارها الجذوع والحصى الى اعماق الوادي ·· اوراق الاشجار اليابسة تتراكض يميناً وشمالاً في المعابر والممرات والاعشاب الذابلة تتسارع ماشيةً كالحشرات الجائعة في المروج والمنخفضات · والغيوم الرمادية قد تراكمت فوق خطوط الشفق وملأت الفضاء فاصبحت احواض المياه تحدق وباطلا تحدق لترى ازرقاق السماء

قد مات الصيف الجميل ليحيا الخريف الكئيب · وبين ذاك الموت وهذه الحياة قد وقف الزمن مشيراً بيمينه نحو غصن عرتهُ الارياح وقصفتهُ العاصفة قائلاً « هذا رمز ايامك ايها الانسان فتأمله جيداً — يقظة ففرح فحزن فنزاع فنوم عميق

اهذا رمز حياتنا ! غصن نمقهُ نيسان بالزهور · وكساه حزيران بالاوراق واثقلهُ آب بالاثمار · ثم جاء تشرين فعراه باريحه · ثم مرت العاصفة فقصفتهُ بعزمها والقتهُ على الحضيض لكي يبلى على مهل تحت طبقات الثلوج اهذا هو رمز حياتنا ايها الزمن ؟

ايبتلع الفضاء طهر الطفولية · ويمتص الاثير غبطة الشبيبة · ويغمر البحر قوة الكهولة ويبيد الظلام حكمة الشيخوخة ؟

اهكذا تتلاعب بنا الآلهة فتجمع ايامنا ثم تنثرها على التراب لتندثر تحت

اقدام الدهور ؟

اذاً اين عظمة الآلهة ؟ اين مجدهم اذا كانوا يقبلوننا بشفاههم العذبة . ثم يصفعوننا باكفهم القاسية . وبمَ فخرهم اذا كانوا يذيقوننا حلاوة الشهد ثم يملأون اجوافنا من نقيع الحنظل ؟ ولماذا نرتجف جزعاً امام عروشهم اذا كانت النهاية تساوي الخاضعين بالمتمردين ؟

اين عدل السماء اذا كان الموت يجمع في قبضة العدم نفوس المجرمين بارواح الانبياء مثلما يلحد الخريف في قلب التراب بقايا الوردة الحمراء والزنبقة البيضاء بجانب الاشواك والادغال ؟ وما معنى الحياة اذا كانت الملائكة تجمع في النهار دقائق اجسادنا من تراب وطئتهُ اقدام الدهر لتعود في الليل وتفرقها وتذريها كالغبار امام ريح الشمال ؟

قد مات الصيف فرحلت الطيور الى الجنوب وعرت الارياح اشجار الصفصاف والحور والتوت والتفاح ووشح الضباب الحقول والمروج والاودية . ولوت العواصف اعناق الاعشاب والزهور وغرّقت الامطار قامات الانصاب والرياحين ولكن هناك — هناك في سفح الجبل شجرة السرو ذات الاخضرار الابدي يهاجمها الريح بعنف فيلويها ولكنهُ لا يقصفها . ويحاول المطر خلع ثوبها فيبللهُ ولا يثلمهُ . ويغمرها الضباب ليخفيها عن النواظر فيظل راسها العالي مرفوعاً نحو السماء . وتجتمع حول جذعها اوراق الاشجار لتكفنها فتبلى هناك وتتحول الى عناصر تغذيها — هذه هي الشجرة التي تخرج من بطن الارض ولا تعود اليه — هذه هي الكلمة التي يلفظها الصيف فلا يستطيع الشتاء ان يجعلها سكينة — هذه هي رمز حياتي ايها الخريف — ايها الزمن — ايتها الآلهة !

﴿ الى ماذا نحن صائرون وكيف نتلافى امرنا ﴾

« لجبرائيل ضومط »

ايها السادة والسيدات

علم الله اني استعفيت من القيام في هذا الموقف امامكم فلم اعف · وحاولت جهدي في ان اتخلى عنهُ لغيري ممن يتشوف البادى والحاضر للاصغاء اليه فلم انل بغيتي · حاولت ان اتخلى لرب الخطابة · والمقدم فيها العلامة الدكتور وليم فانديك وياحبذا لو تم ماحاولتهُ فانهُ لو قام مقامي هذا الفاضل على ما اشتهيت وسعيت لكنتم تسمعون منهُ الآن غير ما تسمعون وتمرّ بكم الساعات لا الدقائق وانتم صاغون ومعجبون بل كنتم تودون لو يمد الليل بساعات من النهار وانتم باسمون ومبتهجون لكن صدق شاعرنا المشهور حيث يقول

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فقد جرت الرياح بسفينة هذا الواقف امامكم وهو مبلبل البال مضطرب الخواطر يخشى ان لا يحسن ادارتها فلا تصل به الى حيث يريد وان هو احسن القصد وافرغ في سبيل ذلك غاية المستطاع ومنتهى الجهد · على اني اخلصت النصح في ان يكون غيري الخطيب ممن ترضونهُ ثم لما لم يسمع نصحي ولا سوعدت على اخلاصي بذلت غاية جهدي في ان آتي باحسن مايوءتى به من مثلي فان جاء ماسأقوله شيء يشفع بي عندكم فذلك لفضل فيكم وجزاء لي على اخلاصي والا فاللوم على من اوقعوني هذا الموقف لا عليّ لاني نصحت اولاً واجتهدت ثانياً وبذلت في هذا وذاك غاية ما في وسعي ولا تكلف نفس فوق ما في وسعها ·

﴿ موضوعي ايها السادة والسيدات ﴾

« الى ماذا نحن صائرون »

وهو موضوع بعيد المسافات متوعر المسالك فان انا اخذت في جميع طرقه واطفت به من جميع جهاته اعوزني الوقت وحملتكم من المشقات مالا تطيقون وهب ان فسح لي في الوقت فمن اين لكم الصبر اذا سلكت بكم في جميع منعرجاته وطفت معكم في جميع معالمه ومشاهده بل ارى الوقت لا يؤاذن لي بالمقدمات التي تقدم عادة بين يدي الموضوع ولا بالتمهيدات التي تمهد قبل ان تنفض مسالكه و يخاض في مخاوضه فاعذروني اذاً في اقتضاب الكلام اقتضاباً وابتداه الغرض منهُ ابتداها فاقول ·

انظروا الى جبالنا تعلموا الى اين نحن صائرون · هذه جبال لبنان من اولها شمالاً الى آخرها جنوباً جميع اعاليها جرداء قرعاء يسلك فيها السالك ساعات لا يرى شجرة ترمي ظلاً او تمسك تربة فاذا وقعت عليها العين من بعيد لا يستقر على ما كان ينبغي ان تستقر عليه من انيق خضرة تسر العيون بجمالها او غابات ارواح رائقة تتسع الصدور لا تساعها وتستشعر القلوب والنفوس اعظاماً لعظمتها وهيبة واجلالاً لهيبتها وجلالها · نعم لو كانت كما ينبغي ان تكون لا على ما هي عليه الآن لكانت احسن بقاع الله ماءً وهواءً وجمالاً وجلالاً ولكانت جبال سويسرا على شهرتها ليست الا وصيفة من وصائفها او امة من امائها · بل لو كانت كما ينبغي ان تكون لاعتدلت فوق اعتدالها فصولنا فكان صيفنا اعل هواء والطف حرّ واقل جفافاً واطرد شتاؤنا فكان اكثر مطراً وجاء الباكر منهُ والمتأخر في اوانهما معتدلاً لا طوفاناً يجرف التربة جرفاً و يخرب السواحل تخريبا ولا رذاذاً غثاً لا ينقع حداً ولا

يروي لارض غليلاً . وليس الحال في بقية جبال سورية وتلالهـا الا على ما وصفنا به جبال لبنان فان اكثرها جردا قاحلة بعد ان كانت غابا واحدًا من ادواح الاشجار على اختلاف اجناسها وانواعها . والمترتب على هذا فضلا عما ذكرنا من اختلال فصولنا وقلة امطارنا وعدم اطرادها شتاء وربيعاً ان فنيت اخشاب البناء وقل الوقود في البلاد واعوز وجدانه في المدن والقرى الكبيرة وارتفعت اسفار الفحم فيها

من اين ما نراه من مستودعات الحطب في جوار ميناء الحسن امن غابات لبنان هو ام من حراج صنين والشعراء . ولا يبعد بعد قليل ان نرى مثل هذه المستودعات او ما هو من بابها في دمشق وغيرها من مدن الداخلية كما نراها اليوم في اكثر من مدن السواحل . ولو لم يكن الا هذه المستودعات لهان الامر لان ما فيها يردنا من بلاد عثمانيـة وفي سفن على الغالب عثمانيـة ولكن انظروا الى طرق لبنان المزدحمة بدواب النقل واخبروني ماذا تحمل هذه انها تحمل احجارًا سودًا مربعة الشكل يقال لها فحم حجري يردنا من انكلترا او فرنسا او بلجيكا وهي بلاد اجنبية وفي بواخر اجنبية ايضاً ليوقد في معامل بيروت ولبنان او ليوقد في مواقد حديدية اجنبية للدف شتاءً في كثير من بيوت بيروت وكثير من بيوت لبنان الكبيرة . بل هنالك اكثر مما ذكرنا . ادخلوا البيوت في بيروت وفي كثير غيرها من المدن والقرى الكبيرة وفتشوا في مطابخها واخبرونا ما هو نوع وقود هذه المطابخ انكم قلما تدخلون بيتاً الا وترون وقوده البترول من باطوم او الولايات المتحدة . فلما ذا استبدلتم يا اصحاب البيوت مواقد مطابخكم بطباخات البترول . اليس ان جبال لنان وسوريا اصبحت قرعاء جرداء فاعوزنا الحطب والفحم واضطررنا اضطرارًا

الى الطبخ والغسل على البترول . هذه نظرة نظرناها الى جبالنا فقولوا لي بعدها يا من ترون معي ما ارى (الى ما ذا نحن صائرون) وا اسفاه وا اسفاه اننا صائرون الى الخراب والافلاس غدا او بعد غد . دعونا من هذه النظرة ايها السادة وانظروا نظرة اخرى الى حالة زراعتنا . سهولنا ومزارعنا اكثرها بور والمزروع منها وهو ما قارب المدن والضياع لا يكاد يبلغ ربع الارضين . واما ما بعد فمتروك للشوك والحسك . ويا ليت ان في البلاد ماشية من الغنم والبقر وسائمة الخيل لتكاثر وتنمو على هـذه الارض المتروكة بوراً فكنا اذاً نستوفي شيئاً من خصبها الطبيعي بصورة الماشية ولكن الحال ليست كذلك فان اغنامنا قليلة جداً وكذلك بقية الماشية حتى تضطر اغلب مدننا وضياعنا الكبيرة ان تجلب اللحوم من خارج سوريا وقد بلغ ثمن اقة اللحم في مدينتنا بيروت في غضون هذه السنة نحو من خمسة عشر غرشاً او يزيد وهو ثمن لو بلغتهُ اقة اللحم في لندن او باريس في غمرة الشتاء لضج اهلها من مجاوزته المعتاد . انظروا الى انهارنا واعظمها العاصي شمالاً والاردن جنوباً والليطاني ما بينهما فهذه الانهر الكثيرة المياه السريعة المجرى متروكة هملاً لا تسقي ارضاً ولا تدير آلات الا بعض مطاحن لطحن القمح . ولو ان هذه الانهار ينتفع بمياهها على ما ينبغي لكانت البلاد على بعض ضفافها تفوق بلاد النيل خصباً وكثرة حاصلات ولكانت كما يقال تفيض ذهباً وفضة . ولقد نقل عن استاذنا الدكتور جورج بوست انهُ قال اعطوني نهر العاصي ووديه عن جانبيه والاردن ووديه وانا املأ لك سوريا طعاماً وكسوة فلا يجوع رجل ولا يعرى ولد

ايها السادة سهولنا واسعة ومزارعنا خصيبة ومياهنا في بعض الجهات كثيرة ولكن اين غلاتنا . اين الحبوب التي كان ينبغي ان تكون مركومة

امثال التلال في مزارعنا وقرانا وتصدر في سفننا من ثغورنا الى مدن اوربا و بنادرها ام اين اقطاننا التي تملأ بيوت زارعيها وتفيض فتملأ المستودعات الكبيرة والمخازن الواسعة في مدننا فتصدرها تجارنا وترد علينا اثمانها ذهباً وهاجاً وا اسفاه ليس شيء من ذلك اما القطن فاظن الشبان ومن هم في اول سن الكهولة من زراعنا لا يعرفونهُ الا محشياً في فراش احدهم او لحافه اما كيف يزرع و يجنى و يحلج ويغزل ثم يحاك خاماً كان يضرب المثل بمتانته فذلك مما يسمعونهُ عن آبائهم او نقلاً عن المتقدمين سناً بينهم . واما الحبوب فيسوءني ان اقول على مسمع منكم ان كثيرًا من مخازن الحنطة في مدينتنا ملآن منها لكن من غير سهول حمص وحماه والشام وحوران ولو ان الحنطة والدقيق يردان الينا من اضاليا فقط لهان الامر لان اضاليا بلاد عثمانية وقمحها يستهلك في ثغر عثماني ولكن سلوا العارفين فيخبروكم ان تجار الدقيق قد يستوردونهُ من روسيا وفرنسا بل من اميركا وانكلترا و يجدون له مشترين في بيروت وغيرها من المدن البحرية . وان لساني يتلعثم في فمي حزناً واسفاً اذا ذكرت لكم ما اراه وترونهُ انتم كل يوم من مركبات تحمل الخبز الى كثير من البيوت من افران تجلب دقيقها من فرنسا او روسيا واحياناً من ايطاليا وفي كل يوم يزيد عدد الموزع عليهم من هذه الافران عن سابقه . دعونا الآن نلفت نظرنا عن حالتنا الزراعية الى حالتنا الصناعية و بكل اسف اقول انها اشبه بحالتنا الزراعية ان لم اقل اسوءا منها عاقبة واسرع بنا الى الخراب والافلاس مصيرًا . ادخلوا الى بيوتنا في المدن والضياع وانظروا ماذا ترون . ترون اثاثنا وادوات طعامنا وشرابنا وانواع زينتنا اغلبها ان لم اقل كلها من مصنوعات الاجنبية و يا للاسف حتى الزيوت والمكبوسات من البصل والخيار واشباه

ذلك ولا اقول المشروبات ترد الينا في قناني من بلاد لاجنبية . ونفاخر بها لانها من صنع بلاد اجنبية . استوقفوا رجالنا وشباننا برهة وانظروا في ملابسهم من اسفل القدم الى قمة الراس فانكم ترون الاحذية من صناعة اجنبية والطرابيش كذلك وما بينهما من القميص الذي يباشر الجلد الى المنديل في الجيب كل ذلك من بلاد اجنبية وصناعة اجنبية . ويا للعجب ان القمصان وربط الرقاب يستخف بها اذا كانت مصنوعة بايدي صناعنا ويفاخر بها لمجرد انها مصنوعة في لندن او باريس واعجب من ذلك وانهُ لعجب يستوجب البكاء ان بعضا من شباننا يباهون في انهم يخيطون اثوابهم في باريس او في لندن يرسلون اقدارهم الى الخاطة هناك فتأتيهم الاثواب طرداً في البوسطة او مع احد الركاب لا يشعرون بسوء عاقبة مايفعلون ولا يفطنون لفضيحة مابه يباهون

امور تضحك الجهال منها ويبكي من عواقبها الحكيم

استوقفوا المكاري استوقفوا الفلاح استوقفوا الفاعل من الفعلة الاعتياديين وانظروا ماذا قد يلبس كل واحد من هؤلاء لا ترونهُ يلبس العباءة ولا الخام البلدي ولا الديما التي يحيكها صناع بلادنا وكان يلبسها من قبل انما ترونهُ يلبس الصاكو المصنوعة في المانيا والديما المنسوجة على انوال ما نشستر والجلد المدبوغ في مدابغ فرنسا او امركا

يا شبان بلادنا ويا رجالها لماذا لا تلبسون الانسجة التي حاكها صناعنا في بلادنا على انوال دمشق وبيروت وحمص وحماه والزوق يا سيدات بلادنا لماذا لا تلبسن الحرائر المنسوجة على هذه الانوال وتباهين كما تباهي الغربيات في منسوجات نسجها صناعنا وخاطتها الخاطة من بيننا

واني لا اخاطب الغنيات اللواتي يملكن هنّ او ازواجهنّ الالوف من

الجنيهات فهؤلاء مستثنيات في كل بلاد فضلاً عن انهنّ يعددن على الاصابع وانما اخاطب من سواهنّ من الجمهور الاعظم

ايها السادة والسيدات اني لاستحيي من نفسي واستر عيني خجلاً اذا ذكرت لكم ان رئيس مدرستنا هذه واعضاء عمدتها رأوا سوء الحالة التي ذكرتها لكم وحببوا الينا غير مرة ان نلبس ملابس بلادنا ومنسوجات بلادنا ليقتدي بنا تلامذتنا في ذلك فيخف عن عاتق آبائهم كثير من النفقات التي احنت ظهورهم فاعرضنا عن نصحهم وادرنا اليهم ظهورنا

دعونا بعد نظر من موقف آخر يطل على حالتنا الادبية من جهة الاقتصاد في النفقات فلعل هنالك ما يختلف في المغزى عما رأيناه · هؤلاء شبابنا يسرحون ويمرحون فانظروا اليهم عن آخرهم انظروا الى ابناء المدارس والمتاجر والصناعات المختلفة وقولوا لي ماذا ترون · انهم على اختلافهم في درجات الغنى وعلى اختلاف في المهنة التي يمتهنونها والمدرسة التي يتعلمون بها وعلى اختلافهم ايضاً في الاذواق والمواهب العقلية والادبية يكادون يتفقون في المباهاة بالانفاق على غير طائل ويتنافسون في الاسراف والتبذير · الا من عصمهم الله وقليل ماهم · يركبون العربات لا لانهم لا يستطيعون المشي ولا لان في ركوبها زيادة في المسرة ويركبون الدراجات لا لانهم يريدون المحافظة على الوقت والاسراع في قطع المسافات الطويلة ليباشروا اشغالهم في اوقاتها باكراً بل يركبون هذه او تلك لان في ركوبها مظهراً من مظاهر الاسراف وايماء الى ما يذهبون اليه باطناً ويبدو في عرض احاديثهم ظاهراً من انهم لا يحفلون بالمال ولا يقدرونهُ بقدر كأن الرجولية والسفاه تتطلب الاسراف او الحكمة تأمر بتبذير المال اسأل المتخدمين من هؤلاء

الشبان ماذا ابقيتم في جيوبكم من روانبكم الشهرية او السنوية راس مال لكم في المستقبل يجيبوك انهم لم يبقوا شيئاً بل كثيرون منهم ابقوا عليهم ديناً يماطلون به او يتدافعونهُ عنهم الى آبائهم . اسال ابنا المدارس فيما انفقتم النفقات الكثيرة التي يئن اباؤكم من ثقلها وانتم تأكلون وتشربون من المدرسة وتنامون فيها فيسكتون او يتمتمون ويعتذرون بما لا محصل له

دعوا الشبان جانباً وانظروا الى البيوت الى الاباء والامهات واسألوا هؤلاء ماذا انفقوا في سنتهم الماضية ام اين حسابات تلك السنة . ما اظن احداً من المسؤلين يقدم لك حساباً واكثرهم يتعللون بقولهم وما فائدة مسك الحسابات ايقلل ذلك من النفقات ام يزيد في الدخل وكأني ببعض المسؤلين يتململون من هذا السؤال وينظرون ذات اليمين وذات الشمال وبعضهم ينظرون بطرف خفي الى زوجته وكلنا نعلم معنى هذه النظرة وغاية ما نجده هنا ان الدخل والخرج متساويان انلم يكن الثاني يزيد على الاول فاذا سألت اولئك الذين تساوت نفقاتهم ودخلهم ماذا تؤملون في المستقبل قالوا لك الله كريم غدا يكبر اولادنا ينفقون علينا بدلاً مما انفقنا عليهم في تعليمهم وتهذيبهم . واما اولئك الذين تزيد نفقاتهم على دخلهم فلا نعلم ماذا يقولون ولا نعلم ايضاً جواباً نعتذر به عنهم . ايها السادة كأني اسمع احدكم يقول مالك ولنا نحن الذين قيل فيهم بعرق جبينك تأكل خبزك فانهُ يكفي امثالنا ان يزجوا العيش تزجية وحسبهم ان يتساوى دخلهم ونفقاتهم فاسأل اصحاب الاملاك الواسعة والمقتنيات الكثيرة ودعنا نحن وشأننا . صدقت ايها القائل اقله بحسب الظاهر فلنسألكم يا اصحاب الاملاك والعقارات الذين بيننا او الغائبين

عنا . ماذا وفرتم من دخلكم في السنة الماضية ؟ وبأسف اجيب بلسان اغلب هؤلاء ان نفقاتهم تستغرق دخلهم بل كثيرون منهم تبقى عليهم بقية دين من سنة الى اخرى فلا تلبث هذه البقايا ان تتكاثر سنة فسنة وهم لا يشعرون و كثيرون منهم لا ينتبهون من غفلتهم الا وقد اطاف بهم الافلاس واصبحوا في خطر من ان يفقدوا املاكهم ووجاهتهم معاً

وليس التجار بيننا خيراً بكثير ممن ذكرنا من الاغنياء من اصحاب الاملاك . هؤلاء الذين ينظر اليهم من بين جميع الطبقات و يتوقع منهم ان يحافظوا على رؤوس الاموال و يزيدوها من سنة الى اخرى ليمدوا بها البلاد ويزيدوا من مرافقها ومنافعها العامة . هؤلاء اذا فتشتم عن احوالهم ترون انهم يكادون يماثلون بقية الطبقات في تعريض رؤوس الاموال التي يتوقف عليها نجاح البلاد للخسارة والضياع . فان كثيرين من تجارنا ومن هم بمثابتهم ممن جمعوا شيئاً من راس مال قد استغوتهم البورصة فالقموها فضلات ما جمعوا فاطبقت عليها اشداقها وتركتهم صفر الايدي يعضون اصابعهم ندماً وحسرة

قولوا لي ماذا اصاب بيروت في هذه السنين الاخيرة ؟ اما نقص راس مالها نقصاً فاحشاً ضعضع اركان الامنية التجارية واوقف حركة الاعمال والمتاجر . لو شئت لظللت اعدد حتى الصباح مظاهر واحوالاً لا تخفى على عاقل وكلها تشير الى سوء مصيرنا وتسرعنا افراداً واجمالاً البلاد والعباد الى شفا الافلاس والخراب . وقد بدأت الحال تنكشف عما ذكرنا فاين الاطباء والصيادلة واصحاب الشهادات العلمية الذين يخرجون من مدارسنا سنوياً . اين الصناع الاكفاء ؟ اين الفعلة الاقوياء ؟ اين اهل الفلاحة والزراعة ممن

يشتغلون الاراضي و يقومون على استثمار خيراتها ؟ اين جميع هؤلاء ؟ وماذا اصاب اكثرهم ؟ انهم يهاجرون افواجا افواجا لم يتوقف تيار مهاجرتهم منذ اكثر من خمس وعشرين سنة الى الآن حتى بلغ فلهم اطراف المعمور . وما اظن يقل عدد هؤلاء المهاجرين عن الاربعمئة الف نسمة ولا يزال الكثير ممن لم يهاجر يتشوف الى المهاجرة ويجعلها نصب عينيه

تأملوا ايها السادة واحكموا لانفسكم بلاد واسعة من اخصب بلاد الله في المعمور ومن احسنها هواء وانقاها سماء وماء لا يزيد اهلها على المليونين ومع ذلك فقد هاجرها نحو خمس سكانها وفي هؤلاء المهاجرين كثيرون من اطبائها وصيادلتها وكتبتها ومعلميها وصناعهم من اقواهم بنية واحدهم قلباً وخاطراً . فلماذا هذه المهاجرة وما هو سببها انهُ ليس لذلك من سبب الا قلة راس المال في البلاد عموماً واعوازه اولئك الذين هاجروا خصوصا . نعم لو كان بين يدي الافراد او في البلاد راس مال ما هاجرها الطبيب ولا الصيدلي ولا الكاتب ولا المعلم ومثل ذلك يقال في الصانع والعامل والفلاح والزارع ومن سواهم من اهل الحرف المختلفة وما معنى الافلاس الاذهاب راس المال

متى ايها السادة تصبح اعالي لبنان غابات ادواح وتلال سوريا وهضابها كروما ناضرة وحدائق غناء يانعة ؟ متى تصبح سهولنا الواسعة ملانة قطعانا ومزارعنا الخصيبة تفيض حنطة وخيراً متى نستخدم مياه انهارنا الكبيرة في ري ما على ضفافها الخصيبة من التربة فتصبح اقطاننا تكفي حاجاتنا ونصدر منها الى البلاد الاجنبية جانبا كبيراً ايضا . بل متى يعمل لنا صناعنا وندفع اليهم اجور العمل لا الى غيرهم فيبقى مالنا في بلادنا لا يتسرب منها الى البلاد الاخرى اجرة لصناعها و يبقى صناعنا فارغي الايدي وعالة على البلاد

لايجدون عملاً يعملونهُ مني نرى كل ذلك ؟ لا بد ان يمر علينا زمن طويل قبل ان تتحقق هذه الاماني على انها لا تتحقق الااذا اخذنا بالاسباب المقتضية لها . وهذا ما يهمنا السؤال عنه اعني كيف نتدارك امرنا بحيث نبلغ امانينا من جهة وندفع من جهة اخرى عن انفسنا وعن بلادنا شر مانحن صائرون اليه من الافلاس والخراب

يقول البعض اعقدوا الشركات لجمع الاموال وانفاقها في غرس الغابات والكروم وفي تكثير الزرع والفرع واستخدام مياه الانهار في الري والصناعة . ونعم القول او الراي هذا . ولكن اين الاموال لذلك والبلاد في حالة الافلاس . من منا في صندوقه مال مذخور يستغني عنه زماناً طويلاً ليودع في صناديق الشركات . اجيبوني ايها المعلمون اجيبوني ايها الشبان المستخدمون . اجيبوني يا ارباب البيوت واصحاب الحرف والصناعات المختلفة . بل مالنا ولهؤلاء اجيبوني ان استطعتم يا ارباب الاملاك الواسعة والعقارات الكثيرة وافتحوا صناديقكم لنرى مافيها من الذهب الوهاج . بالمزيد الاسف انها فارغة ليس فيها دينار واحد يستغنى عنه مدة . مالنا ولهؤلاء ايضاً هلموا بنا الى التجار والصيارف نستغيث بهم . يا تجارنا الكرام وصيارفنا الاغنياء افتحوا صناديقكم الحديدية لنرى ما فيها من الاموال الاحتياطية هل من احد منكم حاضر هنا يسمع كلامي ؟ اني اشك بذلك . لكن هب ان كان منكم احد الآن او كان غيره ممن هو عارف بحقيقة الحال فماذا يجيب ؟ ان البورصة ابتلعت من هذه الصناديق في السنين الاخيرة من مدينة بيروت فقط ما يزيد في الراجح على الخمسماية الف جنيه كان يمكن ان تستودع اساساً لمثل هذا المشروع وتزاد في المستقبل شيئاً فشيئاً فلم يبق ثمة الا ما يكاد يكفي

لحركة تجارتنا الاعتيادية البطيئة ·

يقول قائل اذن فلنستدن الاموال من الخارج من صيارفة اوربا و بيوت المال فيها واسفاه ان هذا ما يحاوله هؤلاء وهذا ما يسعون اليه جهدهم · وان تم لا سمح الله اصبحنا غرباء في البلاد واصبحت السهول والجبال لهؤلاء دوننا وخير لنا ان تبقى البلاد قرعاء جرداء وعلى شر مما هي عليه وهي لنا من ان تصير الى ما نحلم به وهي لأولئك الاقوام · وكفى عبرة بما وقع لغيرنا وببعض ما وقع لنا

قالت الضفدع قولاً فسرته الحكماء
في فمي ماء وهل ينـ ـطق من في فيه ماء

ايها السادة اني سمعت ما اكاد اظنه حلماً لا حقيقة وهو ان بعض اغنيائنا في مصر والشام قد عقدوا شركة مالية راس مالها منهم وفي نيتهم ان يستخدموا هذا المال في احياء الموات من الارضين في زراعة القطن = واستثماره على الاخص فان كان ما سمعته صحيحاً حقق الله الخبر = ففيه ما يحيي لنا شيئاً من الامل ونتوقع معه حسن العاقبة في المستقبل ·

ومع اننا على يقين ان الله اذا اراد امراً هيأ اسبابه فليس من الراي ان نسترسل الى مالم يتحقق بعد من الاماني ونترك ما في مكنتنا اتخاذه من الوسائل والاسباب التي تقضي بها علينا الحكمة والراي مما يكون ردفاً لهادي الشركة ودعامة تدعمها في حينه

يقول آخرون هذبوا فتياتنا وفتياتنا فان على تهذيبهم مدار النجاح والفلاح وفيه اساس لحسن الحال والمآل في العاجل وضمانة يتلافى بها ما يهددنا من الافلاس المستقبل · ونعم هذا القول قولاً ما اشوقه في الظاهر وارواه

واشده قبل التحقيق وامضاه وكان عليَّ من حيث اني اعلم ان اختم على صحته من غير تردد فيه واهول به على رؤوس الملا من غير تجريح له . ولكن ان كان يقصد بالتهذيب مجرد التعليم على ما جرينا عليه الى الآن فما اكثر الاقوال الشائقة لكن على غير جدوى واروى الآراء المموهة لكن من غير محصل فائدة هذه مدارسنا قد ملئت المدن والقرى ومنذ ثلثين سنة الى الآن وعددها يتزايد وعدد الطالبين والطالبات يتكاثر فماذا نفع البلاد تعدد المدارس او ماذا اجدى عليها تكاثر عدد الطلبة ان عندنا الآن من المدارس الكلية والعالية ما لو نسبناه الى عدد الانفس لأربى على ما عند الانكليز او الفرنسويين ومع ذلك فالبلاد اليوم اقرب الى الافلاس مما كانت منذ عشرين او ثلاثين سنة وستكون بعد عشر سنين اقل راس مال مما هي عليه الآن ان لم نتدارك امرنا . قولوا لي ماذا نفع البلاد كثرة التلامذه وما هي الزيادة التي زادوها الى راس مالها . بل كيف ينفعون البلاد وهم يهاجرونها الواحد بعد الآخر حتى بلغ فلهم اطراف المعمور من اميركا الجنوبية الى بلاد الفلبين وقلب السودان و بلاد الترانسفال وراس الرجا الصالح ولعل بعضهم الآن في نواحي الصين في قلب بلاد اليابان والمتامل يرى ان المهاجرة كانت تتزايد على نسبة تزايد عدد المتعلمين والمتعلمات وليس لذلك من سبب الا ان التهذيب الذي نتهذبهُ يزيد من افلاس البلاد حتى اذا اتم الطالب ايامه المدرسية واخذ شهادته العلمية او الطبية او الصيدلية او التجارية لا يرى معهُ شيئاً من راس مال يستند اليه ولا هناك في البلاد راس مال يحمل علمهُ والنتيجة ظاهرة انه لا يجد بدًّا من المهاجرة فيهاجر

فان قيل ان المهاجرة طبيعية وقد تكون دليلاً على تقدم البلاد قلت

نعم لكن في غير الحالة التي نحن فيها اما في حالتنا نحن فلا لان سكان سورية لم يزد عددهم على ما تحمله البلاد بل هي تتحمل اضعاف الاهلين في الوقت الحاضر فالمهاجرة اذن غير طبيعية وهي دليل واضح على قلة راس المال بين ايدي الافراد المهاجرين وفي البلاد عموماً

ايها الطالب العزيز الذي تباهي في الاسراف وكثرة النفقات حتى تستنزف على عملك آخر غرش في جيب ابيك وتتركه في آخر سنيك المدرسية صفر اليدين لا مال صامتاً ولا ناطقاً لديه بل كثيراً ما تتركه وقد رهن بيت سكنه نفقة عليك وتحملاً لمطالب بذخك واسرافك . قل لي يا هذا ما ذا يبقى امامك عند نهاية ايامك المدرسية الا المهاجرة الى حيث ترى نفسك مضطراً ان تصرف معظم ما بقي من نشاطك وقوة شبابك لتفك مارهنهُ ابوك على تعليمك ثم بعد ذلك تنفق نفسك وقواك في اعداد معدات لبيتك حتى اذا صرت صاحب بيت وتوجهت خواطرك لاعالة فتيانك وفتياتك رأيت انك لم تذخر شيئاً بعد ولا تستطيع ان تذخر و يعود الدور بين اولادك وبنيك على مثل ما كان بينك وبين ابيك . واذا كانت الحال على هذه الصورة فهيهات هيهات ان ترى بلادك الا على ما هي عليه الان وهيهات هيهات ان يكون في طوقك ان تزيد على حالتها الحاضرة ما تصبح معه على ما تحلم ان تصير اليه وكل امالك بل احلامك الان تموت عندما تستيقظ في ايام كهولتك لانك لا ترى بين يديك راس مال تستغني عنه يستخدم في ترقية شؤونها وزيادة قوتها وفلاحها و بالاجمال فالتهذيب الحالي لم يبلغ ولا يبلغ من المقصود ولا هو مما يركن اليه في تلافي امرنا وتدارك سوء مغبة ما نحن صائرون اليه من الافلاس والخراب فكيف اذاً نتلافى امرنا

ايها السادة اذا اردنا ازالة الداء فلا بد من معالجة اسبابه الرئيسية وازالتها اولاً وليست هذه الاسباب الجهل على ما ارى ولا قلة الشبان المتهذبين على ما بينا ولا هي ايضاً كسل الاهالي وتراخي ايديهم عن العمل لان المتأمل الخبير يعلم ان صانعنا اليوم انشط من صانعنا بالامس واكثر منه اكباباً ومثابرة على العمل وكذلك فاعلنا ومزارعنا وبستانينا ومستخدمنا وتاجرنا وكاتبنا ومحاسبنا ومعلمنا فان جميع هؤلاء يشتغلون ويجتهدون في العمل فوق ما كانوا عليه في الماضي

وكذلك ليس السبب ايضاً عدم وجود الشركات العمومية لان عدم وجود هذه ليس سبباً للافلاس او تسارع افراد الامة اليه بل هو نتيجة عنه . فان من الحقيقة التي لا تنكر عند ذوي البصيرة ان عدم وجود الشركات العمومية مسبب عن عدم وجود راس المال اللازم لها بين ايدي الافراد . لا سبب لنقص رؤوس الاموال هذه . نعم لو وجدت هذه لزاد بها راس المال ولكنها لاتوجد اولاً الا بعد ان يوجد راس مال بين ايدي الافراد عند راس المال الذي لابد لهم منه لادارة حركة اعمالهم الاعتيادية . وازيد ايضاً من غير ان انسب الى الاطراء والتملق الهيئة الحاكمة ان السبب فيما يهددنا من التسارع الى الافلاس ليس هو عدم الامن ولا هو من اختلال ادارة الاحكام واعمال العمال الذين تقصر اجراءاتهم عن ان تأتي مطابقة للدستور لان الامن الان هو فوق ما كان عليه بكثير منذ خمس وعشرين سنة ودليله اتساع دائرة الزراعة والصناعة والتجارة فقد زاد المزروع في البلاد وزادت حاصلاتها وتجارتها وصناعتها الى ضعف ما كانت عليه قبلا ان لم يكن الى اكثر من ذلك . ويستحيل ان

تكون هذه الزيادة مالم يكن الامن قد زاد ايضاً واما تقصير العمال فاراه يكاد يكون مسبباً عن نقص راس المال في البلاد لا سبباً له . نعم ولا انكر انهُ كان خيراً للبلاد لو لم يوجد مثل هذا التقصير وانهُ سبب ايضاً في قلة راس المال لكنهُ ليس سبباً اولياً بل سبب ثانوياً ويمكن ان يزول شيئاً فشيئاً مع زوال السبب الاولي وفقاً لما تقتضيه ضرورة الوجود

والخلاصة ان كثيراً مما يذكر انهُ سبب لتاخرنا وتسارعنا الى الافلاس اما ان لا يكون سبباً اصلاً او يكون سبباً ثانوياً لا اولياً وما لم نعلم السبب الاوليّ ونسعى في ازالته فلا يرجى لنا نجاة مما نحن صائرون اليه . وعندي ان السبب الاولي انما هو اسرافنا وتبذيرنا اولاً من حيث نحن افراد وثانياً من حيث نحن امة واليكم بيان ذلك ولو بمراجعة ما المعنا اليه سابقاً ولنبدأ باسرافنا من حيث نحن افراد

راينا الحاجة الى العلم فكثر عدد المدارس عندنا ولكننا اسرفنا في النفقات على تعليم اولادنا لاننا لم نبقِ لهم راس مال يستعينون به بعد خروجهم من المدرسة بل لم نبقِ لنا اعني الآباء راس مال نستعين به على تحصيل مقتضيات العيش لا مالاً في الجيوب ولا املاكاً تستثمر حتى باع البعض في سبيل ذلك او رهنوا بيوت سكنهم واي اسراف فوق هذا الاسراف كثرت اجور صناعنا فصارت ضعف ما كانت اولاً ولكن لم يجد علينا ذلك لان صناعنا اسرفوا في نفقاتهم على طعامهم وشرابهم وكسوتهم حتى اصبحت هذه اما تعادل اجورهم او تزيد عليها فترى الشاب منهم ينفق جزافاً على طعامه ولباسه ودخانه وشم هوائه كانما هو من اصحاب الاموال الكبيرة فيأتي آخر الشهر او آخر السنة فاذا هو لم يدخر في كل سنته شيئاً راس مال يستعين به على

تحسين حاله بل كثيرون منهم يبقون عليهم ديوناً يماطلون بها

وليس الشاب المستخدم بارق حالاً من الشاب الصانع لانك ترى احد هوءلاء في لباسه ونفقات طعامه وجيبه وترى مخدومه فلا يظهر لك من نفقاتهما ايهما الخادم وايهما المخدوم بل قد تظن الخادم مخدوماً احياناً واذا حادثت هوءلاء فذكر لك ماينفق على طعامه وشرابه وكسوته ونوع الدخان الذي يدخنهُ ومقدار ما يدخنهُ في اليوم او ذكر لك ما انفق على شم هوائه مع اصحابه (وقد لا يكون مبالغاً) ظننتهُ ياخذ من الاجرة ثلاث مرات او اربع مرات ما ياخذه حقيقة وما هي نتيجة كل ذلك ؟ انهُ يقضي ايام شبابه مفلساً وربما يموت كذلك واما ابناء المدارس واسرافهم في النفقات على لباسهم وجيوبهم فامره اشهر من ان يذكر ولقد اصبحوا مضرب مثل في الاسراف والتبذير وهم لا يفطنون

وعلى ذكر الطلبة اراني مضطراً الى ذكر المعلمين اي خدمة العلم ومربي العقول ومهذبي الاخلاق ومثال الحكمة والروية ولكن كيف نجد هوءلاء الافاضل أقل اسرافاً هم من الطلبة ؟ انا لا استطيع ان اجيب بالايجاب بل اقول بكل اسف انهم = وان كنت لا تجد في المئة منهم عشرة ينام احدهم مطمئناً في انهُ اذا توقف عن العمل شهراً واحداً لا يحتاج الى مساعدة الآخرين = هم مع ذلك مسرفون يتطلعون الى التأنق في الملابس والمآكل والمظاهرات الخارجية كأن احدهم رب الالوف من الجنيهات وتظهر امرأته واولاده في مثل مظهره ان لم يزيدوا عليه وندر ان يموت احدهم غير فقير ويترك اولاده غير عالة

دعونا من المعلمين والطلبة واصحاب الحرف والمستخدمين بل دعونا من

الطبقة الوسطى من اهل الصون والستر عن اخرها · مساكين جميع هؤلاء فانهم يبدأون بالحياة ولا راس مال معهم ويموتون واكثرهم لا يتركون شيئاً الا الدَين وان كان جزئياً ==واولاداً في الغالب عالة على ذوي قرباهم · ولنأتي الى اصحاب الاملاك والعقارات فان هؤلاء زادت املاكهم وعقاراتهم وزادت مداخيلهم ايضاً ولكن ماذا انتفعت البلاد من تلك الزيادة وهم في نهاية شوطهم تراهم اصبحوا وقد اثقلتهم الديون حتى كادت تستغرق كل املاكهم ومقتنياتهم وما لذلك من سبب الا الاسراف في النفقات والخروج عن خطة الفطرة الى التقليد في كل شيء تقريباً ومباراة اصحاب الملايين في اوربا واميركا

بقي علينا التجار والصيارف وهم من المتسرب اليهم اخيراً فضلات اموال البلاد او ما بقي من هذه الفضلات التي انفقها اهلها جزافا على كل شي اجنبي · ماذا صار لهذه الاموال التي هي عمدة نجاح البلاد وعلى نسبة الموجود منها يكون حالها من القوة والضعف والتقدم والتاخر ؟ اباقية هي على ما كان ينبغي ان تكون ؟ وا اسفاه ان ما سلم من اسراف المتوسطين واصحاب الاملاك والعقارات لم يسلم من اسراف التاجر والصيارفة الذين استغوتهم البورصة فاضاعوا فيها اغلب ما كان ينبغي ان يذخر في البلاد ويستخدم في انماء الزراعة والصناعة هذا هو داؤنا اي الاسراف وهو السبب الاصلي في مسارعتنا من حيث نحن افراد الى الافلاس والخراب

ولو نظرتم الينا من حيث انا مجتمع وامة لرأيتم الاسراف قد بلغ فينا مبالغه لاننا كأمة قدماتت نفوسنا واعتبارنا لنفوسنا فاصبحنا نحتقر كل ماهو وطني وننصرف عنهُ ونعظم كل ماهو اجنبي ونقبل عليه وقد اسرفنا في الامرين

كل الاسراف حتى امتنا صناعة البلاد والجأنا الصانع اما الى المهاجرة واما الى الخمول والموت فقرًا وشاهدي قريب فذي اسالكم رجالاً ونساءً اتلبسون ايها الرجال من منسوجات الشام وحمص وحماه والزوق ام تلبسن ايها السيدات من حرائر البلاد المنسوجة على انوال بيروت والشام وطرابلس والاستانة ؟ ماظن احدًا منا يجيب بالايجاب بل بدأ كثيرون من متأنقينا على ما المعنا ان يأمروا فتخاط احذيتهم واثوابهم في باريس ولندن وغيرهما من المدن الغربية استكبارًا لصناعة اولئك واحتقارًا لصناعتنا مع ان الفرق هنا مما لا يعتد به بين الصناعتين وهذا منتهى الاسراف ومنتهى الصغار ايضاً وضعف النفس في الامة

ايها السادة والسيدات داؤنا الاسراف والتقليد الفارغ وهما السبب الاولي في تسارعنا الى الافلاس والخراب ولا يوقفنا عما نحن مسرعون اليه الا الاقتصاد وترك التشبه والتقليد فان لم تقتصد ايها الطالب في نفقاتك بقدر ما تستطيع افنيت راس مال ابيك وتركتهُ لا يستطيع ان يأتي بعمل بعد ذلك للقيام بنفقاته ونفقات بقية افراد عائلته وتركت نفسك بالضرورة ايضاً ولا خيرة لك الا المهاجرة والاغتراب حيث تصرف قوى عقلك ونشاط شبابك في غير بلادك وتخدم غير نفسك واهلك وانت لا تدري

ان لم تقتصد ايها المستخدم والصانع في لباسك وطعامك ونفقات جيبك ليتأتى لك ان تدخر في كل سنة شيئًا تعده راس مال لمستقبلك بقيت طول عمرك مستخدمًا وصانعًا واورثت بنيك الفاقة والمذلة او اضطررت الى الاغتراب والمهاجرة وهيهات ان تكون هناك اكثر من خادم او صانع تخدم غير ذويك وتستصنع لغير بلادك واهلك

ان لم تقتصدوا يا اصحاب البيوت في نفقاتكم من صغيرها الى كبيرها بقيتم على ما انتم عليه تعللون النفس بالأماني والاحلام الفارغة او تشكون الدهر وانتم تزجون العيش تزجية واذا افضى احدكم لا سمح الله الى المذلة والفقر فلا تلومنّ الا انفسنا على سوء تدبيرنا وعدم اقتصادنا

ان لم تقتصدوا يا اصحاب الاملاك والعقارات الكبيرة فلا تأمنوا مغبة الدَين وان تنتقل املاكـكم وعقاراتكم الى ايدٍ غير ايديكم او غير ايدي بنيكم ولا تكون مع الايام الا يداً اجنبية اقدر منكم على ادارة الاملاك واعرف بسبل الاقتصاد والارض لله يرثها النشيطون المقتصدون

ان لم تقتصدوا يا تجارنا وصيارفنا ان لم تتوقوا اشراك البورصة وتهربوا منها هربكم من الافعى جررتم انفسكم الى الافلاس العاجل وجررتم البلاد باسرها معكم الى الخراب والدمار والخلاصة ان داءنا الاسراف ولا ينجينا من الافلاس والخراب المتسارعين اليه الا الاقتصاد وقد بذلت لكم نصحي وما انصح الا لنفسي واهلي والسلام

تهذيب النفس

لجرجس افندي هبام

أقبِلْ على النَّفسِ وَاستكملْ فَضائِلها فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجسمِ إنسَانُ

النفس لها بحكم المعلولية عن مبدعها العليّ خاصة الوَلوع بالمعرفة والتدرج فيها ترقيا الى الكمال لانها نسمة منهُ تعالى قد اسبغت على هـذا الجسم قيماً عليه ومدبراً له في تعميره وتسييره وتخييره . وهي لا تزال تهفو من وراء حجابه شوقاً الى التبسط في المعارف وتحنّ الى مبدئها وعلتها حنين الغريب الى الوطن

وشاهد ذلك ما نراه في نفوس الصغار فانها تشق عن ميلها هذا بما يزعجوننا به من الالحاح علينا بالمسائل مما نحسبهُ بوادي فضول وهو في الحقيقة هوادي تنبه = ثم اذا شبَّ اولئك الصبية واصبحوا رجالاً يملكون امور نفوسهم يشتد ارتياحهم الا استعلام احوال ما حولهم من الكوائن . ولا سيما اذا خلا ذرعهم من الهم والاهتمام بحاجاتهم البدنية فانك تراهم اذا ضمهم مجلس يتعدون طورهم فيناقش بعضهم بعضاً من مسائل علمية وفلكية حتى في مايتعلق بما وراء الطبيعة . وكلامهم لا يخرج في الغالب عن الحدس والرجم في الغيب . ولا يخفى مافي ذلك من لوامح الالتفات ولوامع الشوق من النفس رجوعاً الى اصلها وعملاً بالخاصة التي فطرت عليها

ومن هذا القبيل الوَلع الذي يأخذ كثيرًا من العلماء في التنقيب عن الحقائق او في السعي وراء مطلب من المطالب فيستولي على الرجل منهم طرف من الهوس فلا ينفك عن دراسة مطلبه والبحث فيه سنين لا ينثني عنهُ حتى يدرك الغاية منهُ فيكشف عن كنهه ويجلو غامضهُ ويسفر اجتهاده في الاعم الغالب عن اختراع صناعي او علميٍّ او عن تمهيد السبيل الى واحد منهما . وما ذلك الا هوًى بالنفس يولعها بالعمل ويبعثها على الامعان فيه تشوفاً الى استطلاع الحقائق

واغرب من هذا وذاك في ميل النفس مايحصل لها احياناً عند انسلاخها عن المدارك البدنية من ادراك الغيب ومطالعة ما تتشوف اليه مما وراء الطبيعة وهي قد يقع لها لمحة من ذلك على غير قصد عند ما تتخلس عن الحواس الظاهرة الى الحس الباطن وقت الرقاد . فاذا حصل لها ذلك بالمحاكاة والمثال كان ادراكها للغيب ضعيفاً يفتقر الى التعبير كالاحلام وقد يكون اقتباسها للواقعات

قوياً فيجيء خالصاً من المُثل والخيالات فلا يحتاج الى تفسير كالرؤى

فقد تبين مما قدمناه ان الولوع بالمعرفة والرغبة في تهذيب النفس التي تدفعها الى تحصيل تلك المعرفة هما عاطفتان كامنتان في المرء لا يتم ولا يحسن ظهورهما فيه الا اذا بلغ اشده واصبح عقله كاملاً هادياً الى سواء القصد وسبيل الرشد . وعند ذلك تكون قد انقضت ازمان الدرس فيغادر المدارس حراً في رأيه ويخرج الى العالم متصرفاً في شؤون نفسه يتذرع اليها ويتحكم فيها ويصلح ما اختل منها حرصاً على حفظ الذات وحسن المصلحة — على ان الدارسين لا تستوي انظارهم بعد المدارس في هذا المعنى . فمنهم من يرى زمن الجد والتحصيل قد انقضى فيتوقع ان يشرف من بعده على مغاني الحرية وترشف كؤوس اللهو والمسرات . ومنهم لا يصدق متى تخلى ربقة المدرسة عنهُ حتى يشتغل بالمتاجر ويصرف همهُ الى احراز النشب . ومنهم من يطمح ببصره الى الرتب والمقامات السامية . ومنهم من يحترف حرفةً مدنية على حسب ماتحدوهم اليه طباعهم حتى اذا انتظمت احوالهم واستقامت سبل الكسب لديهم اقعدتهم مصالحهم المعاشية والرضى بما حصلوه من العلم عن السعي في طلب المزيد

غير ان العاقل منهم يخرج الى العالم فلا يلبث ان يعتبره مسرحاً للافكار ومجالاً للبحث والاستبصار فيستأنف فيه الدرس ويتقصى البحث عن الحقائق ويشرف على الحكمة فيلقيها من وراء الدأب على العمل والصبر على مشاق المثابرة والتنقيب . ويرى انهُ كان بالامس يتخير اساتذة اختارهم له اولياؤه اما الآن فلا بد له ان يستخير اساتذة لنفسه بنفسه . كان بالامس يتجرع المعرفة غير مختار والزمان يبسم له تارة ويكلح اخرى والآن اصبح

رجلاً يفتكر افكار الرجال ويعمل اعمالهم فلا بد ان يصرف جانباً من وقته لاستصلاح نفسه وتوسيع مداركها فلا يقصر نظره على الجوامد الصامتة ونواميسها بل يصبو الى الوقوف على اخبار نوابغ الرجال يبحث عن الاخبار وعواطفهم والحكماء وحكمهم والابطال واعمالهم ليأتمّ بهم ويستن بسننهم ويتحدّى اعمالهم · وهو مع ذلك يظل قريباً من كوائن الطبيعة يناجيها وتناجيه لا تشغله حرفتهُ عن عمل الخير ولا عن العروج في سلم الكمال الانساني فينهض بنفسه وبوَطنه من مطارح الجهل والخسار الى ذُرى المعالي والفخار

ومعلوم ان للانسان وجودًا ماديًا هو هذا البدن الذي به يشارك سائر انواع الحيوان · ووجودًا مدنيًا ينشأ من اجتماعه مع ابناء نوعه للتعاون على القيام بحاجات المادي · ووجودًا معنويًا هو الحياة الانسانية الحقة التي تقوم بتغذية النفس بالمعارف وتحليتها بالفضائل · فالتهذيب بالعلوم هو هو غاية النفس واليه تنزع = وما احراها به لانها له خُلقت وبه تحيا وتتدرّج في معارج الكمال · ومقام المرء من المجد والعلى هو حيث يجعل نفسهُ من سلم العلم والتهذيب

كلٌّ له غَرَضٌ يَسْعَى ليدْرِكَهُ وَالشَّهْمُ يجعلُ إِدْرَاكَ ٱلْعُلَى غَرَضَهْ

ومن يترعرع ويشب ويستقل بامور نفسه فيقتصر من دنياه على ان يغدو صباحًا الى عمله الذي يرتزق منهُ ويعود مساءً قانعًا بما يكسبهُ من المال وليس له من وراء ذلك غاية يسعى اليها فانهُ يبخس نفسهُ حقها ويحط من قدرها فتذوي حياتهُ المعنوية ويكون مصداقًا لقول الشاعر

اذا المرءُ اعيتهُ المروءة يافعًا فمطلبها كهلاً عليه عسيرُ

اما العاقل فانهُ يتنبهُ الى منزلة نفسه فيغذوها بالمعارف قضاءً لحقوقها عليه وحرصا على منزلتها الرفيعة التي جعلها الله بها . بل العاقل الشهم من يجعل غرضهُ تهذيب نفسه يرقيها في العلم و يزينها بحميد الاخلاق لاطمعا في الشهرة بل شفاءً لغليلها من المعرفة ولا رغبة في توفير الاصدقاء بل ليكون هو نفسهُ صديقا لكل انسان

ذاتك احفظ وتفقهْ واعتدلْ واحيَ للناس ليحيـا الناس لك

العاقل الشهم من يغلي نفسهُ ولا يرخصها فيترفع بها عما يشينهُ من ضروب الملاهي والملاذ و يتجافى عنها تجافيهُ عن الألم . لأن اللذة والألم تقيدان النفس بالبدن فتسلبانها الحرية وتعيقان العقل عن العمل

فمن شاء ان يكون زينا في جسم الانسانية وعونا على ترقي الامة والوطن فلا بد له ان يعتقد فضل هذه الغاية وسموّ شأنها اعتقاداً صادقاً ثابتاً و يهيم بها هيام المحب بالمحبوب و يحرص عليها حرص الشحيح على الاصفر الصحيح و يفتن بها افتتان الشاعر بجمال المناظر

غير ان الترقي لايكون الا من سبيل الاجتهاد فينبغي ان نحشد له جيوش الهمم ونرهفَ غرار العزائم ثم نُقدِمَ على العمل لا نرهب خطراً ولا نُقدم حذراً . وتهذيب النفس وترويضها عمل يلوح في بادي، امره قليل الجدوى داعياً الى السآمة فان الشابّ يجدّ في سبيله زماناً ولا تحلو له ثماره ويدأب في المطالعة والبحث وهو لا يرى من وراء ذلك نجاحاً ولا فلاحاً . فلا بد له مع ذلك من مواصلة السعي والاعتصام بجميل الصبر فقد جعل الله سبحانهُ وتعالى ادراك الغاية من وراء عقاب المصاعب شأن كثير من المطالب

فالشاعر مثلاً لاتحصل له ملكة قرض الشعر الا بعد الهيام به والانكباب

عليه ومعاناة النظم زماناً . والرسام لا يفوز بالبراعة وخفة اليد في التصوير الا بالتمرس عليه سنين طوالاً . والعقل الطف مخلوقات الله فلا يطمعنّ احد منكم ايها الاعزاء ان يبلغ به مبلغاً عزيزاً من العلوم وجانباً وافراً من الكمال الا بعد طويل الممارسة والاجتهاد في التحصيل

وكثيراً ما يعرض للساعي في هذا السبيل مايضعف عزمهُ ويثبطهُ عن المسير كأن يخالجهُ الريب في وجه الحكمة من تهذيب النفس الذي يقتضي هذا العناء المتواصل . ويسوقهُ وهن العزيمة الى الكفر بغايتنا فيسأل نفسهُ منكراً = لما ذا افني الحياة في طلب ماليس من ورائه جاه ولا غنىً لماذا اترك الملاذّ الحاضرة واسعى وراء الخياليات = بل لماذا افارق السواد الاعظم في مساعيهم وغاياتهم . الى مثل ذلك مما ظاهره مغامز على غايتنا ولكنهُ في الحقيقة مغالطات ناجمة عن كلال الهمة والطمع في الباطل . ولو كان ادراك المعالي سهلاً لتوفرت بيننا كبار الفضلاء وتكاثرت الحكماء وازدحمت الابطال . على ان الطريق حرجة لا يطرقها الا كل مقدام ثبيت ولا يظفر بالغاية الا من وطن نفسهُ على الصبر وحبسها على الجد . ومثل المجتهد مثل الصديق الذي يحيا بين الناس حياة الفضيلة وقلبهُ مجذوب الى العلى يسمع الحق يناجيه فهو بين الناس وليس بينهم او كمثل المحبين المفترقين لا يحلم احدهما الا بلقاء الآخر

على ان الكد المتواصل في اعمال الفكر امر شاق فمن يتوفر على تهذيب نفسه حتى يصبح له ذلك شغلاً شاغلاً لابد ان يقتصد في انفاق قوته البدنية لان الافراط في ذلك يضعف الادراك ويذهب بنور البصيرة . ويسقم المشاعر وهي موارد المعرفة للنفس فتلتوي مداركها . ولذلك لا يستقيم امر

التهذيب ولا يتقوى العقل به الا اذا كان شاملاً لاحوال الانسان في بدنه ودينه وعقله لان العقل الصحيح في الجسم الصحيح . واذا المَّ بالبدن سقم او بالايمان ضعف جاء التهذيب ملتويا قليل الجدوى . فالاسترسال مع الشهوات البدنية آفة كبيرة للعقل وقد تشتد حتى تفلّ ثباتهُ وتطفي شعلة ذكائه

والعلماء الاعلام الذين تقدمونا في هذا السبيل فرفعوا شأن الامم الخوالي في الشرق قبلاً ومهدوا سبل التمدن والحضارة في الغرب هذه الايام لم ينتهجوا خطة واحدة ولا سنوا قوانين يأمن بها المجتهد ضياع اوقاته ومجاوزة الحد في عزمه بل كان كل منهم يشرع يبحث ويعمل من حيث يرى وينتهج لنفسه منهجا يسوقهُ اليه الطبع ويرشده اليه مقتضى الحال . ولكنهم جروا جميعا على النقصي في البحث والامعان في ادراك كنه ما يطلبونهُ . ولذلك كان كل منهم يقلب فكره في موضوع بحثه ويقابل ويتروى ويطالع ويكتب وكلما طال الزمان به على هذه الحال توله قلبهُ بمطلبه واشتد ميله الى الاغراق فيه

كان دكرت الفيلسوف الفرنسي يعتبر ذاتهُ كائنا مفكرًا وسعى سعيا متواصلاً في تهذيب نفسه وترويض قواه العاقلة بغية ان يجلو غامضا او يحرر مشكلاً او يحقق مظنونًا او يكشف عن نافع يعود على الناس بالخير . ولم يدر في خلده ان يعمل شيئًا رياءً ولا سمعةً ولذلك كان يتحاشى في اليسير الذي نشره من مصنفاته كل ما يؤدي الى نباهة الذكر والشهرة بين الناس . ونعم المبدأ الشريف مبدأه . فان محبة الحق امارة فارقة يمتاز بها من كان صادق العزم في تهذيب نفسه عمن سواه . ولذلك يستنكف من الدعوى انفةً واستكبارًا ويرى الابتهار عارًا . ينبذ القشور جانبا ويحرز لباب المعارف . يكره التلفيق والترميق في الاعمال ويميل الى الاجادة والاتقان لاطمعا في

في استحسان الناس ولا ابتغاء المكافأة ولكن استنانًا بسنته الذاتية التي اختطها لنفسه . فان الافكار الصحيحة كالمبادىء القويمة غايتها مقصورة على نفسها لا تتخطاها الى المثوبة ولا الى حسن الاحدوثة

ومن اخص الذرائع لارهاف عقل الدارس بعد المدارس ولتوسيع مداركه الملاحظة والمطالعة والكتابة . واريد بالملاحظة رعاية الشيء بعين البصيرة فان بين النظر الى المحسوس والنظر فيه علاقة وثيقة . لان المرء لا يقع بصره على شيء حتى يجيل فيه فكره ويتامله — والفتى اذا شاقتهُ الطبيعة فخرج الى الأرياض يرسل رائد الطرف بين الرياض . او انحدر من الانجاد فربض في بعض اهضام الوادوخرير الماء يحدو ايانق فكره بين انضادها واخاديدها يقارن بين عهودها ماضيها وآتيها ومشهودها — فان ما يستفيده من هذه المراقبة والملاحظة لأجدى من مطالعة الاسفار نفعًا وابهج في القلب وقعًا . فضلاً عما هنالك من اعتياده على التنبه الى ما يقع تحت نظره وجعله قيد بصيرته . ولذلك ترى اذكى الناس ابًا واصفاهم ذهنًا — في الغالب من ترعرع وربي قريبًا من الطبيعة في صرود الجبال وقد تمكن من مناجاتها ايام صباه على مثل ما قدمنا الالماع اليه

فالملاحظة هي المشرعة التي نستقي منها اوائل المعرفة . ولا تزال ركنًا مهمًا للعلوم في الاكتشاف والاختراع عند اهل البحث والتحقيق . فملاحظة نيوتون للتفاحة ساقطة تولد منها ناموس الجاذبية التي تربط دقائق الاجسام — في اسلاكها وكواكب السماء في افلاكها . وملاحظة المركيز الانكليزي لبخار الغلاية يدفع غطاءها ساقتهُ الى التنبه لقوة البخار ثم استظهر العلماء عليها فكان منها هذه المنافع الجليلة التي نتمتع بها . وملاحظة كلفان لأشلاء

الضفدع لتشنج كانت داعياً الى البحث ثم الى الفوز الباهر على القوة الكهربائية العجيبة

والحاصل ان الفطن اللبيب هو من يقارن بين الاشياء فيرسل عليها من ثاقب ذهنه نوراً يكشف له عن وجوه التشابه بين المختلفات ووجوه الاختلاف بين المتشابهات . بل الفطن اللبيب من يتنبه لملمح الترنوك الحقير كما يروعه مشهد الملك الكبير . وعندي ان من يرفع بصره الى القبة الزرقاء وهي حالية بنجوم الدجى ولم يتخذ فكره من حالك دجاها صبحاً نيراً . ومن تبوح له عيون الازاهر بسائر الجمال ولا يحوك في صدره لحاظها . ومن يجوب القفر ولا يتخذ من وحشته لنفسه انيساً ليس الا ضعيف الحس كليل البصيرة ان استجدى الاسفار فلا تجديه او استهدى الانوار فلا تهديه . ولكن الحصيف العقل اللطيف الادراك اذا جالس الكتب يقعد منها مقعد المسترشد يتحرى مختارها فيجعله له عتاداً يستمد منهُ ما يزيد لبهُ سناءً وحكمةً وفؤاده ثباتاً ونشاطاً . ويعلم ان ما يطالعهُ انما هو نسمات فم المؤلف تشفُ عن دقيق اغراضه ولطيف معانيه

واست اريد بالمطالعة هذه الحركة الظاهرة من قلقلة الشفاه وتتبع السطور بالاحداق والقلب بعيد والفكر شريد . ولا القراءة الاعتيادية للاقاصيص والروايات التي جلّ ما يتوخاه القاريء منها امااضاعة الوقت التي يسمونها بالتسلية واما حفظها والتحدث بها . ثم يغادرها بعد ان ينفق عليها الساعات وهو كما كان لم تزده فطنةً ولا راضت له لباً . وما احرزه منها انما هو معرفة تافهة لانهُ لم يمعن في الغوص على درر مغازيها ولا قارن شؤونهُ بها ليتخذ منها عبرة لنفسه او يستفيد حكمةً استصلاحاً لاحواله

وعندي ان المطالعة ينبغي ان تستيقظ فيها كل قوة من قوى العقل للعمل . فالقاريء المتأمل يتناول الصريح من المعاني والخفيّ الذي يجيء من عرض الكلام ثم يقابل ويستدل ويقايس ويحكم وبذلك تتمثل في ذهنه الاغراض التي يريدها الكاتب بأجلى بيان . يغوص القاريء المتأمل على دقيق افكار المصنف ويهيم معهُ في اودية تصوراته ويفرع شعاب احكامه ومناحيه ويطرب بما يجده من لطيف كناياته وروائع اساليبه . واذا كان ما يتصفحهُ تاريخاً يتخيل اليه انهُ قائم بين اولئك القوم يقتحم الاخطار مع الرجال ويصول صولة الابطال في مآزق القتال او يطيب نفساً بمشاركة من عاشوا على عهد الخليفة ابي جعفر مثلاً في الاستمتاع باسباب الترف والرفاهة وعناية الولاة في كف المظالم وحفظ الحقوق ويدهش مما يشاهده بعين الايمان من استفحال العمران ووفرة المصانع في المدائن فتأخذه لذلك عبرة مما كانوا عليه وما صاروا اليه

على ان الاسفار كالرجال اي صناديق مقفلة يعسر الوقوف على مكنوناتها من اول نظرة اليها . وقليل منها ما يحوي غذاء للنفس وهذا النزر اليسير الحافل بالفوائد لا يفتح ابوابهُ لمن يطرقها اتفاقاً غير عامد قاصد الى ذخائره . وكما انهُ لا يعرف قيمة السلاح الا بطل الصدام والكفاح كذلك لا يدرك تلك الاسفار الا اولو الالباب الذكية

واني لا انكر ان للعلوم الطبيعية فوائد عديدةً في تسهيل سبل المعاش وتوفير اسباب الرفاهة . ولا تزال معيناً تتدفق منهُ المنافع الجمة على الانسان في مصانعه ومزارعه وسائر احواله المعاشية . وقد استوفيتم ايها الطلبة الالباء حظاً جليلاً من اصولها واصول غيرها من العلوم العصرية فلا يجمل بكم

ان تقفوا عند الحدّ الذي انتهيتم اليه في هذا المعهد العلمي وانتم تعلمون ان لجهابذة البحث وابطال العلم في الاقطار الغربية كل يوم فتحاً جديداً ونصراً مجيداً . وقد وفقتم بحوله تعالى فحصلتم على مسكة حسنة ترجعون اليها في اللسان العربي والفرنسي وكلاهما حافل بالمجلات العلمية التي ينشر فيها مايستنبط من الاصول الجديدة ويستحدث من الفروع المزيدة وذلك لا مندوحة لكم عنهُ مهما كانت مناحيكم من وجوه المعاش توسيعاً للمدارك ومجاراةً لاهل العلم . ويقاس على ذلك الاسفار والمجلات التي تتعلق بالصنائع والاعمال التي هي من ضروريات العمران فلا بد للطبيب مثلاً من ادمان البحث وتكرار المراجعة للوقوف على احدث الآراء في المعالجة واصدق الاقوال في مفاعيل العقاقير الى غير ذلك مما يلابس مأخذه . وكذلك المهندس والمدرس والتاجر والصانع فان كلاً منهم لا يفلح ولا يمتاز بفنه الذي اصطفاه وجهة لكسبه وذريعةً لمعاشه مالم يكن راسخ القدم فيه عاكفاً على التوسع والاحاطة باطرافه

ولست انكر ايضاً انهُ لا يخلو سفر من فائدة وان في كل راس حكمةً ولكن مالادعوكم اليه واحضكم عليه هو امر اسمى من تحصيل المعارف والتوسع في العلوم انما هو تهذيب النفس بانارتها بنور الحق وتزيينها بجمال الادب وترويضها على عمل الخير فيعيش المهذب لا لنفسه فقط بل لجنسه ويكون في حياته الجنسية مجيداً وفي حياته الشخصية سعيداً . والاسفار التي اشرت اليها هي ماتسمو بمطالعها فتكسبهُ هذه المنزلة السامية فيجني من ثمار اوراقها مايزيده وجداً في مجالي الحقّ وهياماً في جمال محيا الطبيعة

وافضل الاسفار التي توقظ الهمة وتشحذ غرار العزيمة ماشتمل على سير كبار الرجال وتاريخ الامم الراقية في العمران . لأن التاريخ يرفع المطالع

الى حضرة هولاء الافاضل فيشاهد ما بلغوا اليه من العز ورفعة الشأن · يسمع خطباءهم الذين سحروا الالباب ويتجلى له من تضاعيف سطوره دهاء اهل السياسة ويرافق القوّاد الى معامع الحروب · وبهذا الاحتكاك المتواصل لا يلبث ان تطير شرارة كهربائيتهم الى جنانه فتوقد بها جمرة ذكائه وتضرم نار حميته فيبصر بنورها نبالة مقاصدهم وينحو نحوهم في الاقدام ويتحدامم في خدمة الوطن ويتحلى بفضائلهم من محبة المجد وصدق النية في ايثار المصلحة الوطنية

ومن الاسفار المعروفة بهذه المزية كتاب سر النجاح للعالم صموئيل الانكليزي · وقد ترجم الى اللسان الطلياني فاقبل عليه الشبان والكهول وطالعهُ الصانع والزارع والعالم والفقيه فانعش قواهم واحيا آمالهم · وقد شهد احد وزرائهم ان الكتاب المذكور نهض ببلاده نهضةً من دونها غر ببلد بطلهم ومحررهم الشهير · ومنها كتاب سرّ تقدم الانكليز لأدمون ديمولان الفرنسي قارن فيه هذا العالم بين احوال امته العظيمة واحوال الانكليز فحكم على امته بالتخلف عنهم واثبت ذلك وابان اسباب التأخر ثم استنفرهم الى ملافاة الامر فنفروا معهُ ونهضوا نهضةً واحدةً الى الاصلاح · وكلاهما منقول الى اللغة العربية ومفرغ في قالب صريح صحيح · الاول منهما مطبوع في مطبعة المبشرين الاميركان الافاضل في بيروت · والثاني في القطر المصري

ومن اعون الذرائع لتهذيب النفس الكتابة · قال الفاضل باكون الانكليزي ابو الفلسفة الحديثة ادنى فوائدها لمن يعانيها صحة الفكر والبيان في التعبير · وقال الصدّيق اوغسطين افادتني الكتابة اموراً جمة لم اكن استفيدها من سواها · وهي فوق ذلك تكسب الكاتب الصبر والثبات وذلك

بما يتعوده من اطالة البحث في ما يتوخى الكتابة فيه ومن اعادة الكرة بعد الكرة للنظر في تنقيح ما كتبهُ تنزيهاً له عن شوائب الركاكة في تركيب اللفظ والسخافة في تحرير المعنى

واذا عمد احدكم فاشرع سنان اليراع في ميدان الكتابة فقد تضيق في وجهه مذاهب الكلام في اول الامر وتخونهُ الذاكرة فلا يجد ما يدونهُ . او اذا جرى شوطاً في التعريب لا يبلغ شأواً بعيداً حتى يأخذه البهر فيقف يائساً مدهوشاً من جمود قريحته وعجزه عن تمثيل صور المعاني وافراغها في القوالب التي تليق بها . وربما عاود الكرة فيلقي ما لاقاه اول مرَّة . فلا يبتئس عند ذلك ولا يثني عزمهُ عن موضوعه بل ينبغي ان يبالغ في التشمير له ولا ينفك عنهُ حتى يستظهر عليه . تلخيصاً كان ما يكتبهُ ام تعريباً ام تصنيفاً . واذا تمَّ له الظفر مرَّتين او ثلاثاً فلا يلبث ان تتسع لديه مذاهب البيان وتمهد امامهُ سبل التعبير ويصبح له دربة حسنة تستحكم فيه حتى تصير ملكة راسخة بطول المزاولة ويعود اثرها على نفسه بالحذق وشدة العارضة

نقبوا وبالغوا اذاً عن اخبار كبار الرجال في بطون التاريخ = عن البلغاء الذين اوتوا الحكمة وفصل الخطاب = عن الابطال الذين جاهدوا في سبيل العلم والفضل ورفعوا عماد العدل = عن اهل الاستنباط والتحقيق الذين انقادت لهم قوات الطبيعة صاغرةً = عن كبار المتمولين الذين تأثلوا العقار وحشدوا الدينار وانفقوا الكثير مما احرزوه في سبيل الخير والعلم والاحسان = عن ذوي الاتقان والاحكام من الصناع والزراع الذين بفضل اجتهادهم ترقت الصناعة والزراعة = واذا وجد احدكم في نفسه ميلاً الى خطة من هذه الخطط ورأى الزمان مواتياً فليقدم عليها بكل عزمه ويصرف

اليها همهُ و ينهج مناهج الذين تقدموه ونبغوا بها . فان ابواب الترقي والاستنباط والاكتشاف لا تزال مفتوحةً لكل عامل نشيط ولا سيما في بلادنا هذه الايام

الا وانكم في ايام امل فتنشطوا . والزمان يبسم لكم عن مجيد المستقبل فتقدموا ولا ترهبوا . ورثتم عزة النفس عن اجدادكم فلا تردوها الى القليل ولا تذلوا . وقد اكملتم مدة التحصيل في العلم واخذتم للعمل عدتهُ فاطلقوا اعنة هممكم لتأثيل مجدكم ولا تثنوها او تظفروا باكليل النصر وحميد الذكر الذي يبقى مدى الدهر

وقلَّ من جدَّ في امر يحاوله واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

آلهة السوريين

لجرجي بك ديمتري سرسق

عرّبها عن لوسيان احد متأخري فلاسفة اليونان وقد افتتحها بترجمة هذا الفيلسوف فقال

ولد لوسيان في مدينة سموسطة[1] نحو سنة ١٢٠ للميلاد وكان ابوه فقيرًا فاعتنى خاله بتعليمه صناعة النحت ثم عدل عنها الى وكالة الدعاوي في محكمة

(١) هي المسماة الآن سمسياط قرية على ضفة الفرات من نواحي قضاء حصن منصور في متصرفية ملطية من ولاية معمورة العزيز سكانها ٨٠٠ نفس

انطاكية وبعد حين تركها وتجوّل في آسيا واليونان وغاليا وايطاليا وكان يلقي خطباً في تلك الامصار ولما بلغ الاربعين من عمره عكف على العلوم الفلسفية واشتغل بانتقاد مساوي معاصريه وفي سنة ١٨٠ فوض اليه مرقس اوريلوس ولاية قسم من مصر وتوفي سنة ٢٠٠ وقد بلغ الثمانين وترك كتابات عديدة لم يزل اكثرها محفوظاً حتى الآن وقد احببت ان اتحف قراء العربية ببعض فوائدها فابتدي بتلخيص رسالة له سماها آلهة السوريين وهي عبارة عن قصة رحلةٍ له في سوريا قال

من مدن سوريا بلدة ليست بعيدة عن الفرات تدعى هيرابوليس اي المدينة المقدسة لانها مخصصة بعبادة الآلهة يونون الاشورية وانا اصف هذه المدينة وما كانت عليه من الفخامة والعظمة وابسط الكلام في العبادات والاحتفالات الدينية وتقديم الذبايح نقلاً عما تلقنتهُ من الكهنة مع ما شاهدتهُ عياناً

نحن نعلم ان المصريين هم اول من شاد الهياكل للآلهة وبنى حولها الاسوار وعني بالاحتفالات الدينية وفرض الصلاة وعنهم اخذ الاشوريون والى الآن لم يزل في سوريا هياكل تضاهي هياكل المصريين في قدمها وقد شاهدت اكثرها منها هيكل هرقل في صور وهو غير هرقل الاغريقي فهو اقدم منهُ ويسمى هرقل الصوري . ومنها هيكل عظيم للصيداويين قيل انهُ مخصص بعبادة عشتروت[1] واخبرني احد كهنة هذا الهيكل انهُ مخصص

(١) الاهة الفينيقيين السوريين وهي رمز الى السماء والكواكب وقد ذكرت في التوراة وهي عند اليونان الزهرة

بعبادة اوربا[1] اخت قدموس[2] ابنة ملك اجنور[3] قال انها كانت بارعة في الجمال فهام بها جوبيتير فاختطفها بعد ان استحال الى ثور وذهب بها الى اكريت ولذلك كان الصيداويون ينقشون على دراهمهم صورة اوربا ممتطية ثوراً هو جوبتير . وقد رأيت في بيبلوس[4] هيكلاً عظيماً على اسم فينوس الجبيلية يحتفلون فيه باعياد يكثر فيها شرب الخمر والانهماك بالملذات اكراماً لادونيس او تموز ويزعم اهل جبيل ان ادونيس انما جرحه الخنزير البري في بلادهم لذلك يحتفلون كل سنة باعياد يقرعون فيها صدورهم ويذرفون الدموع ويحلقون رؤوسهم كما يفعل المصريون يوم موت ابيس[5] ويتجولون من مكان الى آخر لابسين الحداد ثم يقدمون هدايا المأتم الى معبودهم كانهُ ميت وفي اليوم التالي يزعمون انهُ قام من الموت وصعد الى السماء

ويخرج من جبل لبنان نهر اسمهُ ادونيس يصب في البحر يستحيل ماؤه في كل سنة دماً يصبغ قسماً عظيماً من مياه البحر وحينئذٍ يلبس اهالي جبيل اثواب الحداد لاعتقادهم ان ادونيس جرح في لبنان في مثل هذا اليوم ولذلك سمي النهر باسمه . هذا هو الاعتقاد الشائع عندهم الا ان احد الاهالي ذكر لي تعليلاً آخر لهذه الحادثة الغريبة اقرب الى الصواب قال ان نهر ادونيس

(١) ورد في المتيولوجية (خرافات اليونان) انها ابنة ملك الفينيقيين احبها جوبيتير فاختطفها وذهب بها الى البلاد التي دعيت باسمها « اوربا »

(٢) قيل انه ابن ملك فينيقيا ارسله ابوه ليبحث اخته اوربا فلم يجدها فبقي في بلاد اليونان وبنى مدينة ثيبة نحو سنة ١٥٨٠ ق م ويظن انه هو الذي ادخل الحروف الفينيقية الى اليونان

(٣) ملك فينيقيا نحو سنة ١٥٦٠ ق م

(٤) جبل

(٥) من اكبر آلهة المصريين كانوا يعبدونه على شكل ثور سموه ابيس

ينبع من سفح لبنان المشرف على البقاع ويخترق هضابه بين صخور وتربة زنجفرية تنسفها الريح التي تعصف في ايام معلومة وتلقيها في الماء فيتغير لونهُ وعليه لا يكون الدم سبب هذه المعجزة كما يزعمون بل التراب واذا صح قوله فلا بد ان يكون سبب هبوب الريح في ايام معلومة من فعل الآلهة · وعلى بعد يوم من جبيل هيكل قديم العهد موقعهُ عند منبع ادونيس شيده سينيزاس[1] المزهرة

واعظم هياكل سوريا واضخمها بناءً واجملها شكلاً هيكل هيارابوليس المقدم ذكرها وفيه من المصنوعات النفيسة والهدايا القديمة العهد والتماثيل البديعة الصنع مالا يفي الكلام بوصفه منها تماثيل الآلهة التي ترشح ابدانها بالعرق وتتحرك وتنبيء بالغيب ويسمع لها في الغالب صوت والهيكل مغلق · وهذا الهيكل اغنى جميع الهياكل التي شاهدتها لان النذور ترد اليه دائماً من بلاد العرب وفينيقيا وبابل وكبادوكيا وكيليكيا واشور · والذي اتصل بي من من اخبار هذا الهيكل وقدمه اقوال متناقضة اشهرها ان مؤسس هذا الهيكل هو دكاليون السكيتي الذي حدث الطوفان العظيم على عهده · ويروي الاغريق عنهُ ماخلاصته ان نوع الانسان الاول افسد في الارض وكثرت شروره فاقتضت الآلهة منهُ بالطوفان ولم يسلم الا دكاليون وعنهُ نشأ نوع الانسان الحالي وكان دكاليون صالحاً صنع فلكاً عظيماً وادخل اليه امرأته واولاده ووضع فيه من الحيوانات اثنين اثنين وكفتها القدرة الآلهة عن ان يضر بعضها ببعض · وسكان هيارابوليس يوافقون على ذلك ويزيدون

(١) وردفي الميثولوجية انه كان ملكا على قبرس تزوج بابنته وهو لا يعرف انها ابنته فحملت منه وولدت ولدا هو ادونيس

عليه ان الماء نضب بان انفتحت في بلادهم هوة عظيمة غاضت فيها المياه التي غمرت وجه الارض فخرج دكاليون من الفلك وبنى فوق هذه الهوة هيكلاً على اسم الالآهة يونون وقد شاهدت تلك الهوة فاذا هي صغيرة ولست ادري لعلها كانت من قبل كبيرة . واهالي هيارابوليس لا يزالون الى الآن يحتفلون بتذكار هذه الحادثة مرتين في السنة فيذهب الكهنة والسوريون والعرب حتى الشعوب الساكنة في عبر الفرات الى الشطوط البحرية فيأخذون من ماء البحر ما استطاعوا حمله وياتون به الى الهيكل ثم يصبونهُ فيه فيجري الى الهوة

على ان الهيكل الاصلي قد تهدم بكرور الزمان والهيكل القائم الآن هو من بناء استراتونيكا ملكة الاشوريين هو مبني على اكمة في وسط البلد يحيط بها سوران احدهما قديم والثاني حديث والى شمالي الهيكل اروقة مسقوفة فيها التماثيل التي نصبها الاله باخوس علوها ٤٨ مترًا و٦٠ سنتيمترًا يصعد الى قمة احدها رجل مرتين في السنة فيبقى ٧ ايام عاكفاً على الابتهال الى الآلهة لتفيض بركاتها على بلاد سوريا ويزعم بعضهم ان ذلك يجري تذكارًا لهرب الناس من الطوفان الى قمم الجبال وعبادة لدكاليون . وداخل الهيكل سور يصعد اليه على سلم والدخول اليه غير محظور على احد اما المقدس فلا يدخل اليه الا الكهنة المقربون المنوطة بهم الخدمة المقدسة وهناك تمثالا يونون وجوبتير وهما من الذهب مثلت في احدهما يونون جالسة على الاسود وفي احدى يداها صولجان وفي الثانية مغزل وراسها محاط باشعة وعليه تاج فيه حجر ثمين يسمونه النبراس لانه يضيء في الظلام حتى يخيل ان الهيكل منار بالمشاعل ولا يرى من ذلك في النهار الا تألق ضعيف . ومما في هذا

التمثال من العجائب انك تراه ينظر اليك انى تحوَّلت فاذا وليت عنه تبعك بنظره واذا نظر اليه شخصان رأى كل منهما ما يراه الآخر . اما تمثال جوبتير فيمثله جالساً على الثيران وهو لا يختلف عن تمثاله في غير هذا الهيكل . وبين هذين التمثالين تمثال اخر من الذهب قيل انه تمثال سميراميس بدليل ان على رأسه تمثال حمامة من ذهب وهذا التمثال كانوا ياخذونه مرتين في السنة عند ذهابهم لاغتراف الماء من البحر كما تقدم

واجتزيء عن الكلام على سائر التماثيل المصنوعة بوصف ما هو اغرب واعجب اي الوحي فهو في اليونان ومصر وليبيا واسيا لا يقع الا للكهنة والعرافين واذا بدأ ابولون السوري بالوحي اضطرب على عرشه وتحرك من تلقاء نفسه فاذا لم ترفعه الكهنة حالاً تندى بالعرق وزاد اضطرابه فيحملونه على اكتافهم ويطوفون به حتى يحضر الكاهن الاعظم فيلقي عليه مسائل مختلفة فان لم يستحسنها الاله ارتد الكاهن على اعقابه وان استحسنها اذن للكهنة حامليه ان ان يتقدموا به وبذلك يحصلون على الوحي بما يترتب عليهم عمله في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر احوالهم الشخصية والدينية وما يكون في مستقبل سنتهم من الحوادث

وكهنة الهيكل كثيرون بعضهم يذبحون الذبائح واخرون يسكبون الخمر واخرون يحملون المشاعل وقد رأيت نحواً من ٣٠٠ كاهن آتين الذبيحة بثياب بيض وعلى رؤوسهم اللبود ورئيسهم ينتخب منهم في كل سنة وهم يسمونه حبر الاحبار وهو وحده يلبس الارجوان ويضع على راسه تاجاً من الذهب ويوجد كثيرون من العازفين بالقيثارة والمزمرين والخصيان والنساء العابدات وربما احتفلوا بالذبيحة مرتين في اليوم . اما الذبيحة التي تقدم لجوبتير

فلا يصحبها غناء ولا عزف خلافاً للذبيحة التي تقدم ليونون فانها تكثر فيها الجلبة والضوضاء وترتفع اصوات الغناء والمزمار وغير ذلك من الات السماع ولم اقف على علة هذا الاختلاف

ويترتب على الرجال الذين يذهبون الى هيارابوليس لحضور الاحتفالات ان يحلقوا شعر رؤوسهم وحواجبهم وان يذبح كل منهم نعجة يا كل لحمها ثم ياخذ جلدها ويبسطه على الارض ويجثو عليه بعد ان يضع على راسه راس الذبيحة وقوائمها ويصلي وبعد ذلك يضع على راسه اكليلاً ويخرج من بيته ويسير في طريقه لا يشرب الا ماء بارداً ولا ينام الا على التراب حتى يؤدي فريضة الحج

ومن عوائدهم انهم يكللون الضحايا بالزهور ويلقونها حية من اعالي الرواق الى الارض فتموت وربما القى بعضهم اولادهم على هذه الطريقة ضحية للالهة. ومنها انهم يستعملون الوشم على ايديهم واعناقهم فرضاً دينياً . ومنها ان الشبان ينذرون شعر لحاهم للالهة وكذلك ينذر الوالدان شعر اولادهما فمتى طال يحملانهم الى الهيكل حيث يجزّانه ويضعانه في انية فضية او ذهبية يكتبون عليها اسم صاحب الشعر . ويعلقونها في مكان من الهيكل . ولا يزال اسمي مكتوباً على اناء وضعت فيه من شعري وعلقته في الهيكل

سوء التفاهم اصل التخاصم

« لجرجي افندي نقولا باز »

تتنازع الاهواء الناس وتتقسمهم كيف تشاء وتضلهم عن سبل الحق وتلقيهم في بوادي المغالطات والسفسطات وتوردهم موارد البؤس والشقاء

لاسيما حيث لا ادب وافر يكبح جماح النفس و يدمث الخلق ولا علم صحيح يرقي العقل و يوسع المدارك . ولا شبهة في ان الوهم لم يزل رائد معظم الافكار والاغترار قائد اكثر الاعمال وجلّ بني الناس يعمهون في دياجي الفساد والضلال . على ان اصوات المفتكرين والباحثين والمصلحين قد بحت لكثرة ماتشكوا من تكرار السفسطات وبرهنوا على فسادها وانذروا بسوء معادها ونادوا بنبذها حتى انهُ لم يبق اعذار واضحة للمتشبثين بالاهواء والاوهام بعد ان تشرق عليهم شموس الحقائق وتستنير بها منهم الاذهان . وقد ازداد في الكون العاملون على خدمة البشر وتعزيز الانسانية وازدادت وسائل الراحة و بواعث الهناء ولكن سوء التفاهم ما برح رفيع العماد بورث الخلق مخاصمات اقل ما يقال فيها انها تحزن الارواح وتذيب الاجساد

حقيقة لا ريب فيها ان كل ما ساء تفاهم الناس تخاصموا وكلما تخاصموا ازدادوا شقاء . وكانه لا يكفيهم ما يترصدهم من العناصر والامراض ويتعرضون له من المخاطر والنوائب ويعانونهُ من الاتعاب في جهاد الحياة حتى يوجدوا بعضهم لبعض اسباب منازعات كثيرًا ما تتصل بهم الى ما لاتحمد عقباه فيجعلون من الحبة قبة ومن الكلمة كتابًا ويدّعون بحقوق وهمية وحجج اوهى من خيوط العنكبوت ويعملون على تأييد ما يتوهمونهُ حقًا جميع الوسائل التي منها ما يورث اضرارًا جمة فيؤججون نيران المخاصمات ويبعثون العداء ولا يجنون غير العناء والشقاء . وما هو الا قليل من سوء التفاهم يوري الزناد و يبث جرثومة الفساد

تبدو من شخص ما حركة غير مقصودة فيخالها الآخر موجهة اليه فيبني على اقتضاها العلالي والقصور و يجسمها في مخيلته و يعظمها حتى تتراى له

حقيقة لا ريب عنده فيها فيعمل على مقابلته بالمثل ويكيل له الكيل كيلين وذاك يتوهم ما توهمهُ هذا ويعمل عمله فتستعر بينهما نيران البغضاء وتنمو جراثيم الحقد ويتصلان الى المنازعات والمشاجرات وكل يستميل اليه حزباً من آله واصدقائه ومعارفه ولا تسل اذ ذاك عما تأول اليه حالة الحزبين من الشرور والاضرار . كل يعد على الاخر انفاسه ويترصد كل حركة تبدو منهُ مهما كانت صغيرة وبلا قصد معهود ويؤول كل ما يسمعهُ عنهُ ويراه منهُ خابطاً في دياجي الاهواء والغايات خبط عشواء ايغاراً للصدور واثارة للشحناء سعياً وراء الارتواء من ينابيع الانتقام اشباعاً لمطامع النفس وحيوانيتها اللذاعة الفتاكة الهائلة

على هذا النمط يجرى في الكون حوادث مكدرة لاتحصى تثير الاشجان وتشقي الانسان يخالها السامع لاول وهلة من نتائج التناقض في الاراء والمذاهب وثمار التنازع في المصالح والمارب وما هي عند الباحث المحقق غير صدى ثوران العواطف اثر سوء التفاهم ليس الا . فجدير بمن يتوهم البغض في احد ويخاله عدواً له ان يبحث مدققاً عن مسببات ما يتراى له منهُ واسبابه ولا يتسرع في حكمه عليه علّ ان يكون لسوء التفاهم اصبعاً في الامر كما يكون غالباً فيهون عليه استطلاع باطن الحقيقة ويتنصل من تبعة سوء الظن ولا يدع مجالاً للنزاع . وحريّ بالمتولين فض المشاكل وحسم المنازعات وتنظيف القلوب من ادران البغض والحقد ان يوجهوا انظارهم في البدء الى استئصال جراثيم سوء التفاهم وايضاح الحقائق للمتباغضين تسكيناً لثوران عواطفهم وصداً لتيارات انتقامهم وازالة لما التبس بينهم الحكم عليه والا فسدت عواقب مساعيهم ولم تجد نفعاً موعيداً

العجلة سبيل الندامة غالباً والحكم على مظاهر الناس غير مصيب في بعض الاحيان وليست جميع افعال البشر واعمالهم صادرة عن هدى وتعقل وقصد مخصوص بل معظمها ابن الخاطر يصدر بداهة دون تروّ وامعان وتعمد وارادة حرة . واختلاف الاهواء وتناقض الاميال وتباين الاخلاق والمآرب وتضارب الاراء فالمعتقدات والمذاهب كل ذلك يعد مجالاً فسيحاً للمغالطات والسفسطات ويمهد سبل المماحكات والمنازعات . وغير خاف ان الانسان اذا لم يستنر بضياء العقل السليم ويسترشد بارشاد نبراسه الوسيم في جميع حركاته واعماله الادبية والمادية او في معظمها على الاقل فخطاؤه اكثر من صوابه واقرب بما لا يقدَّر والعكس بالعكس

فبناء على هذا ينبغي التأني والحذر وحسن العناية في ابراز جميع مايخطر في البال الى حيز الوجود وموضع العمل اخصهُ ما يحتاج في الاذهان من المقاصد الخاصة اثر وقوع مايوهم غير ما يبطن تفادياً من حدوث مالا يرضي . اما اذا القي الكلام على عواهنه ونقلت الاخبار على علاتها ووقعت الحوادث دون استدراك فلسوء التفاهم اذ ذاك اوسع مجال ويعقبهُ التخاصم لامحال ولما كان بين الناس كثير ممن على شاكلة ما ذكرنا فلا يعرف بعد ذلك اين تستقر اقدام الخصام

ان الضعف الطبيعي المعهود بالانسان يجعله غير اهل لان يحاسب على هفوة ويصده عن بلوغ قمة الكمال بافكاره واقواله واعماله . فعبثاً يتطلب المرء الكمال من بني جنسه وعبثاً يناقشهم حساب كل ما يتوهمهُ موءذياً له وغير لائق به ما داموا على هذه الحال وطالما له من نفسه مالهم وعنده ما عندهم فلمَ ترقب حركاتهم والوقوف لهم بالمرصاد ؟ . ان الباحث المدقق في حاجات

الامم ولوازم هيئة الاجتماع ومقتضيات العمران يرى ان من اخص واجبات الهيئة التساهل والتسامح وغض الطرف عما يبدو بعض الاحيان من الصغائر وسد جميع ثغور سوء التفاهم والا امست الهيئة عبارة عن محشر نزاع ومستقر خصام

قال بعضهم * الاعمال بالنيات * ويصدق هذا القول خصوصاً على من لا يتدبر بالامعان نتائج اعماله من مقدماتها ويتبصر بالعواقب قبل الشروع فيها . ولكم ممن يقدمون ولا يستعدون ويفعلون ولا يفتكرون وينوون النفع بعمل ما ولا يلبث ان ينقلب نفع عملهم هذا الى ضرر محض وكم وكم ... وكم من رزايا يجلبها المرء على نفسه بافكاره واقواله واعماله دون ان يدري ويقصد

فاذا لم يعامل الناس بعضهم بعضاً بتساهل وتسامح وولاء واخاء ويرغبوا عن اساءة التفاهم والسفسطات ويتأنوا باعمالهم ويمعنوا الفكر قبل التكلم ساء مصيرهم وتعبوا وشقوا

وما الطف من اذا راى من اخيه غير ما يعهد به ان يتحمل له اكثر من عذر واحد القاء شر سوء التفاهم وضناً بالصداقة والسلام

« واعقل الناس اعذرهم للناس »

في التاريخ

لجرجي افندي يني

انهُ لغني عن البيان ان الانسان يميل طبعاً الى معرفة علل القضايا ليحسن سيرها ويصيب رايه فيها فلذلك وجب علينا الاشارة الى مبدأ عالمنا قبل الخوض في موضوع هذا الكتاب فنقول وبالله التوفيق

ان في كينونة هذا العالم وزمان ابداعه خلافاً بين العارفين فمنهم من يقول بصحة رواية الكتاب المقدس مطلقاً ومنهم من يتوسعون في ذلك فيوقفون بين الكتاب والآراء العلمية على ان ما ترجح عند قوم ان موسى النبي اخذ كتاباته عن اقوال اخرى سابقات زمانه ربما كان ادراجها بالوحي وان العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر التكوين ينبيء عن ابداع الكون بادىء بدء بيد ان العدد الثاني من الاصحاح المذكور يفصل زمان ايجاد الكون في المدة المتأخرة عن ذلك البدء وان زمن الابداع لم يكن من ستة آلاف سنة فقط لانهُ لايخفى ان تركيب الصخور المرجانية في البحار والادوار الجيولوجية المستطيلة الظاهرة اثارها في طبقات الارض ومبدأ وصول النور السديمي واكتشاف الانجم البعيدة كلها ادلة تؤيد ان ابداع الكون كان منذ الاف من السنين على ان وجود الانسان لم يعرف قبل الزمن المعهود اما ما يتعلق بواجب الوجود عز وجل فهو امر لايتخالهُ شك رغماً عما يتشدق به الجاحدون لان من المبادى الطبيعية وجود علة لكل معلول فالمادة الغازية التي يزعم بعضهم بسبق وجودها قبل الخليقة الصادرة عنها هي لاشك مخلوقة من الله تعالى ومعلولة منهُ ورواية وجودها وتعميم الكون من مادتها محكية في الكتاب بما يشابهها حيثما قيل ان الارض كانت خاوية خالية

وحسب الكفرة ضلالاً بقولهم ان ابداع المادة من ذاتها وليس من علتها الازل قول العلامة مونتسكيو الفرنساوى في هذا الصدد ما ترجمتهُ ان الذين يقولون ان صدفة محضة قد برأت كل المواد التي نراها في الكون انما هم في ضلال مبين لان اية ضلالة اعظم من الاعتقاد بابداع الصدفة المحضة مخلوقات عاقلة . (اه)

فلما غدت الارض مكونة بيد خالقها وقد اصبحت كرة تدور في عالم الفضاء على محورها محفوظة بعناية خالقها ومقيدة بسلاسل الجواذب لنامرها نواميس غير متغيرة امر باريها فكانت نظاماً لاتتخطاه وقد اعد فيها كل المواد الضرورية للانسان امر به فبريء بارًا بسيطًا على ما رواه نبي الله موسى

فلما خلق الله من ضلع ادم امرأة هي حواء اولد الزوجان البنين والبنات فكثر النسل وازداد العدد فانتشر الناس في البسيطة على ان سرعة الانتشار واختلاف الهيئات وغيرهما من الظواهر دعت البعض للاعتقاد بان البشر كانوا ابناء اكثر من اب واحد وانهم وجدوا متفرقين في انحاء العالم لكن هذا الاعتقاد مخالف لنص الكتاب وادلة اخرى لا محل لا يرادها. اما اختلاف الهيئة والجنس فليس الا نتيجة كرور الايام وتاثير المناخ والعادة والظروف الفاعلة . ولما خلق الله الانسان ونفخ فيه نسمة الحيوة حباه عقلاً ونطقاً فميزه بهما عن مطلق الحيوان على ان هذه الهبة الالهية موجودة في الانسان على اختلاف درجات سنه فهي صغيرة في الصغار و كبيرة في الكبار وقد يكون العقل كبيرًا فيهم وهو غير مجلى بجلاة التهذيب والادب واجمع الناس على ان المنطقة والظروف والاداب يدًا في اجلاء العقل وتثقيفه فاخذ الانسان بالتقدم تدريجًا على ان بديهية الادراك كشفت للبشر عن مجلاة العقول وبالنتيجة ظهرت للوجود اسرار المعقولات فرتع الانسان بالخير والعمران

ان كثيرين من البشر يميلون بصوالحهم الخصوصية عن محجة الصواب وبما ان العيال الاولى التي هاجرت ارض شنيعار بعد الطوفان كانت بالطبع لا تخلو من افراد لهم بعض تلك الصوالح افضى الامر الى قيام مدبر يترأس على الجماعة ومع ان الانسان ما ولد الا حرًا اقرت الطبيعة منذ الازل رئيس كل

عائلة ليتامرها على انهُ يحفظ بسلطته وسطوته فيها نظامها من الخلل ويصون لفيفها من الظلم لكن كرور الايام وازدياد العيال جعل اولئك الرؤساء انفسهم يطلبون حقوقاً ربما كان مصدر اكثرها الطمع فاقضى الامر بالانسان الى ان يقيد بشريعة تحفظ حقوقه وتردع سالبيها ولا بد لقيام تلك الشريعة من منفذين يقبضون باليمنى مهامها وباليسرى صوالجهم الخاصة على ان حرية الانسان المحضة قد اصبحت اسيرة العدل لان باجرائه راحة وحرية قامتا مقام تلك

وهكذا لما تمادى الانسان في شره وضره سن لنفسه شريعة تقيه الظلم فطرح عنهُ بذلك رداء الحرية الطبيعية واصبح قابضو ازمة الرياسة ومنفذو الشريعة بالتدريج وكرور الايام ملوكاً على اختلاف هيئات سلطتهم

فمنهم من كانت سنتهم عادلة حرة ومنهم عادلة غير حرة ومنهم ظالمة محضة غير ان الامم اقامت تحت لواء كل من الحالات الثلاث فكانت احوالها متباينة عن بعضها واذا نظرنا الى التاريخ نظرة مختبر وبحثنا عن اسباب نهوض الامم وسقوطها يتضح لنا حالة السلطات المختلفة التي حكمت الكون منذ عرف تاريخ الانسان واعظم الاسباب التي ترتفع بالامم الى قمم التقدم والنجاح وتنحدر بها الى حضيض التاخر والخراب محصورة بالاكثر في خمس حالات للصعود وثلاث للهبوط . اما حالات الصعود فهي . اولاً العصبة الدينية ومنشأها عن رغبة بانتشار الدين والتمسك الشديد بمباديه ومثال الاول دولة العرب في الاسلام فان مجيئهم بحمية وبسالة الى بلاد سوريا وهي يومئذٍ رومانية شرقية وفوزهم على الرومان كان اساساً لاتساع نطاق الدولة وثبات اقدامها فان تلك الرغبة رافقت اعلامهم حتى بلغوا اطراف فرنسا من

جهة اسبانيا التي اصبحت يومئذٍ عربية . ومثال الثاني دولة الاسرائيليين فان تمسكهم بعرى الدين والايمان بالمواعيد بددوا شمل جموع فلسطين وغيرهم واقاموا لانفسهم دولة ثابتة الدعائم طويلة الامد . ثانياً الفوز الحربي والنظام الاداري كفتح كورش مثلاً مملكة مادي وفارس واخذها ثم ادارتها الادارة الحسنى والاستسارة جيداً في المصالح العامة وترسيخ اقدام الدولة بالسيف والعدل والرهبة او كتخلف العجم بالحمية على بلاد فارس واخذها او بترسيخ اقدام المملكتين الاشوريتين ومثالها كثير. ثالثاً تشيد الملك بالسيف والعلم والحكمة كمصر واليونان والرومان . رابعاً بالعدل والحرية ومثال الاول دولة الاسلام فان عدل ولاتها وعلى الخصوص الراشدين من الخلفاء مما لم تزل تتحدث به الركبان كقول امير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب وهو على المنبر. ان من راى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومهُ . وكاستواء عليٍّ في المحاكمة مع رجل من عامة الاسرائيليين وكأمره بهدم الجامع في بصرى حوران وكان داراً للاسرائيليين جعلوه جامعاً وغير ذلك مما يفتخر العدل به

ومثال الثاني دولة الاسلام ايضاً وكفى بجواب واحد ممن سمع كلام الخليفة عمر وهو على المنبر شاهداً على عظم الحرية فان ذلك الرجل نهض من مكانه قائلاً لو راينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا فقال عمر اشكر الله الذي جعل من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

وكذلك دولة الولايات المتحدة الامركانية فان الحرية احيت في عروقها دم التمدن والعدل والانسانية فاصبحت في زمان يسير من اعظم الدول اقتداراً ورفعة وتمدناً

خامساً التجارة ومثالها دولة الفينيقيين الذي بلغت سعودهم درجة عليا

والتدمريين الذين اصبحوا بعد يسير من الزمن يطمعون بمشاركة الرومانيين في عظمة القيصرية

اما حالات الهبوط الثلث فهي · اولاً سوء الادارة وقلة الاحتراس وفساد الاخلاق كالرومان مثلاً في سوريا فان سوء ادارتهم افضت بهم الى فساد العمال الذين اضروا بدولتهم اكثر من سهام المحاربين واخطأوا باستخفافهم بالعدو ولم يحاذروه فعاد ذلك عليهم بالوبال والجلاء عن البلاد ولنا من مثال فساد الاخلاق دول وامم كثيرة تمادت بتنعمات الغنى والرخاء فكان مصيرها الى الاندثار · ثانياً الظلم والشقاق فان ممالك كثيرة كالرومانية واليونانية والعربية والفينيقية والمادية والفارسية وغيرهنّ كان خرابهنّ لما طرأ عليهنّ من الانشقاق والتجزؤ

ثالثاً تواتر الحروب وتعاقب الدول تنحدر بالبلاد الى دركات الوبال وحسبك في ذلك برهاناً سورية ومصر

لا جرم ان النسيان سليقة في الانسان على انهُ لو اقتدى البشر منذ الاعصر الاولى بمحسنات سلفائهم ونبذوا قبائحهم لامسى الانسان منذ الاف من السنين راتعاً برياض التمدن الصحيح بعيداً عن كل ما يشين الآداب غير ان الشر من طبع الانسان فلا تكاد ترى حسنة في رجل الا والشر في مئات وحكم الجماعة في هذا كحكم الافراد ولذلك لم نرَ امة اقتفت محسنات امة سلفت ونبذت شرورها بل ان امماً كثرت اخذت عن السلف كثيراً من الفضائل والرزائل معاً

اما العدل فهو روح الوجود وسياج الملك وقوام الامم وقد انبأ التاريخ برفعة الامم التي استظلت به وبانحطاط اللاتي خزلتهُ والعدل قسمان خاص

وعامّ . اما الخاص فنسبة كل انسان الى قريبه وحق كلا الطرفين في ذلك وهذا امر طبيعي لان الانسان مندوب سليقة لاحقاق الحق لقريبه ومعاملته كما يجب ان يعامل على ان شر الانسان وشدة حرصه وطمعه تأبى العدل الخاص فتتولد الخصومات الكثيرة

اما العدل العام فغوث من مضه العدل الخاص وعليه يتوقف نجاح الامم وتقدمهم وهو مودع بيد تعرف بالحكومة فقد تحسن تلك اليد استعمال وداعتها فتلقي بين المساسين بذار النجاح والتقدم والادب والتمدن وقد لا تحسنها فتعكس النتيجة ولقوام عدل الحكومة مبدأ وهو الشريعة وهذه اما تكون مقدسة كشرائع الانبياء الكرام او مشترعة من ذوات لهم اليد الطولى بمعرفة ظروف المساسين وسبرها على العدل الصحيح واكثر هذه الشرائع عادلة على ان منها ما اصبحت عادلة تبعاً للظروف والمشارب فبات اتباعها مظهراً للعدل غير ان لانفاذها يداً ان لم تكن غريزية العدل فيها فقطعها اولى وهذه اليد هي اهل الحل والعقد الذين يرتدون جلباب الحكم لاظهار العدل فمنهم من كان يحبه اما خيفة وعيد دينه ان ظلم لان اكثر الاديان المعروفة تحرم الظلم وتامر بالعدل . او لان الشعار الادبية تبعد الظلم ومن المذكورين قوم خلت ضمائرهم من كل صلاح فلا يعرفون الصالح العام حتى ولا اسمه على انهم يتخذون مراكزهم والحكم المودع بيدهم الات يتوصلون بها لصوالحهم الخصوصية بهضم حقوق العباد فيفتحون اكف الخيانة للرشوة المعيبة ويحولون سبل الحقيقة فيجرّون ذيول الويل والحرب على بيوت الارامل واليتامى ويدوسون حقوق الضعفاء فينحدرون بتلك الامة الى التاخر والخراب والعياذ بالله

الفراغ مفسدة

كلمة للشبان والشابات

« لجرجي افندي زيدان »

قال القدماء « الطبيعة تكره الفراغ » يريدون فراغ المكان من المادة لانهم راوا بالمشاهدة والاستقراء ان مايظهر للناس من الامكنة خالياً انما هو مملوء بالهواء لان الماء او غيره اذا صب في وعاء لا يدخله قبل خروج الهواء منهُ فعبروا عن ذلك بكره الطبيعة للفراغ . وهو رأي العلماء الطبيعيين الى اليوم وان اختلفوا في اسلوب التعبير . فالفراغ مستحيل في الطبيعة لاننا لانتصور مكاناً لاتشغله المادة — هذا مايقال في المحسوسات وهو يطلق على المعنويات فالعقل او الفكر لا يخلو من امر يشغله . ولو اراد احدنا ان يصرف ذهنهُ عن امر يهمهُ انتقل الفكر الى سواه اراد صاحبهُ او لم يرد . والانسان اذا تعددت عليه المهام اشتغل ذهنه باثقلها وطأة عليه او اشدها تأثيراً في نفسه . فاذا انفرجت هذه احتلت مكانها مهمة اخرى تليها في الشدة فاذا فرجت جاءت اخرى مكانها فاخرى . كأن المهام او المشاغل تترتب في الدماغ طبقات باعتبار اهميتها كما تترتب السوائل اذا تفاوتت اثقالها النوعية ولم تمتزج فتترتب طبقة فوق اخرى حسب تلك الاثقال فاذا انصرف اثقلها من اسفل الوعاء احتلَّ مكانهُ السائل الذي يليه في الثقل وهكذا على التعاقب وقس على ذلك سائر ما يبلغ اليه علمنا من المحسوسات والمعنويات في الافراد والجماعات . والحياة حركة دائمة اذا عارضتها من جهة لا تقف ولكنها تصرف الى جهة اخرى

فالفكر او العقل لا يقبل الفراغ اذا خلا من عمل اشتغل بسواه بمقتضى

المؤثرات على العقل او الوجدان فاذا لم تشغله الحسنات اشتغل بالسيئات . ولذلك قالوا « الراس الفارغ مغارة ابليس » فالعاقل من شغل عقله بالنافع خوفاً من اشتغاله بالضار . وشغل الفكر هو شغل الوقت فالحكيم من احسن استخدام اوقاته واستثمار افكاره . والوقت كالعقار وهو مباح لكل انسان ولا يستثمره الا من يهتم به . ومن فرغ ذهنهُ من العمل وجدت المفاسد الى قلبه سبيلاً وقد لوحظ ان الجنود تكثر الفتن بينهم اذا فرغوا من العمل ولذلك رايت الحكومة تشغل جنودها ايام السلم بامور اكثرها غير ضروري . ويقال نحو ذلك في رؤساء الاحزاب السياسية وكبار المتشرعين فانهم يشغلون اتباعهم ومريديهم بفروض وطقوس اكثر المراد بها صرف اذهانهم عن الفتن بينهم او التفكير بما يفسد قلوبهم على زعمائهم

وليس غرضنا النظر في ما ينبغي من الاعمال في كل ساعة من ساعات النهار او في دور من ادوار الحياة فان ذلك مما لايسعه المقام ولكل انسان عمل يتعاطاه للقيام باود الحياة وانما نريد النظر في ماينبغي عمله في « ساعات الفراغ » = وما ادراك ما ساعات الفراغ ؟ هي العقبة التي اذا تجاوزتها آمناً ادركت بها السعادة والا فانها ذاهبة بك الى الشقاء وقد قلنا ساعات الفراغ ولم نقل ساعات العمل لان هذه لاخطر منها على العامل وهو في شاغل عن عثرات القدم واللسان وفي مأمن من شراك الشيطان . اما اوقات الراحة فهي التي يجب الاحتراس منها لانها عقبة بل عقرب او هي بالحقيقة نحلة اما ان تجني لك عسلاً شهياً او تلسعك لسعاً قوياً . فكم من فتيان اغتنموا تلك الساعات واحسنوا استخدامها فكانت سبباً في رفع شانهم ومحوراً لسعادتهم واخرين اساؤا استعمالها فساءت حالهم وذلوا بعد العز وفسدوا بعد الصلاح .

فاحذر من يدك وعقلك ساعات الفراغ فانهما آلتان لا يرى الشيطان سبيلاً اليهما الا حين خلوهما من المشاغل

***

ما هي الراحة

لا يتوهمن القاريء اننا نحرم الراحة على رجال الاعمال لان الراحة لازمة للنجاح مثل لزوم العمل ولكن ما هي الراحة ؟ قد علمت مما تقدم ان الفراغ محال فاذا افرغ الانسان من عمله الذي يرتزق به انصرف الى ما يرتاح اليه من الالعاب واسباب اللهو اما للعب بالنرد او البلياردو او الداما او غيرها من الالعاب في القهوات العمومية او لمجالسة بعض الاصدقاء لسماع الحوادث الجارية او لمطالعة الجرائد او ان يتلاهى بالمعاقرة او المقامرة او غير ذلك من وسائل اللهو . ومهما يكن نوع اللعب او التسلية فالعقل لا يزال عاملاً في كل حال . فكيف يكون العمل العقلي سبب التعب و سبب الراحة معاً ؟ ان الراحة لا تقوم بالكف عن العمل بل هي تقوم بتحويله او تنويعه فالعامل الذي يقضي نهاره قاعداً و يداه تشتغلان انما يرتاح بالمشي وامساك يديه عن العمل والتاجر الذي يقضي يومهُ مفكرًا في تجارته يرتاح بتحويل افكاره من التجارة الى شيء آخر كالمطالعة او بعض الالعاب العقلية او البدنية . والمحامي يرتاح بانصراف ذهنه عن المواضيع القضائية الى غيرها من الادبيات او العلميات . والكاتب قد يتعب من الكتابة في موضوع رياضي فاذا انتقل الى بحث اجتماعي او سياسي كتب فيه كانهُ لم يتعب . وقس على ذلك سائر المهن . فالتعب عبارة عن كلل الاعضاء او مللها من العمل المستمر على وتيرة واحدة وانما اللذة في الانتقال . ولنفس هذا السبب يملّ الانسان اي

حال من الاحوال اذا طال مكثها ولو كانت من اسباب السعادة . فالفقير يشتهي الاطعمة اللحمية وسائر الطيبات ويحسد النائمين على الفراش الناعم والذين يكتسون الديباج والحرير ويعد السعادة كل السعادة في الحصول على ذلك فاذا حصل عليه وطال تمتعه به ملهُ والتمس سواه وقس عليه سائر الملاذ. فاللذة ليست بدرجة من درجات الغنى وانما هي بالانتقال مما يملُّهُ الانسان الى ما يشتهيه

فليست الراحة بابطال العمل وانما هي بتحويله من جهة الى اخرى او من موضوع الى اخر والناس يختلفون في طرق ذلك التحويل وهي النقطة الجوهرية التي نحوّل التفات شبابنا وشاباتنا اليها= اذا لم يكن بد من اشتغال فكرنا في ساعات الفراغ التماساً للذة والراحة فمالنا لانشغلهُ بما يلذ ويفيد ؟

***

خطر الفراغ

ليس عليك ايها الشاب خطرٌ من ساعات العمل وانما الخطر كل الخطر من ساعات الفراغ فاما ان تقضيها في اماكن اللهو والبطالة فتجر عليك الوبال او تعمل عملاً نافعاً لك ولذويك وقد تقول ماضر لوقضيتها في اماكن اللهو وليس هناك ما اخافهُ ولا انا آت ما اخشى عاقبتهُ . فاعلم ايها الشاب ان الذين تراهم الان وتهزأ بهم او تاسف لحالهم لما هم منغمسون فيه من اللهو وانواع المساوي، والمنكرات انما بدأوا بمثل ما انت بادي، به وقد اعتقدوا في انفسهم المقدرة على ملاصقة النار بغير ان يمسهم منها شرر فمالبثوا ان قادتهم العادة وغرهم سماسرة السوء فجعلوا ينحدرون درکة درکة من القهوة الى البار فالبيرا فالبيرالية فـ . . . فـ . . . وهكذا الى اسفل الدركات فساؤا مصيراً واصبحوا من زمرة الاشرار وهم

لا يعلمون على انهم لو ارادوا الرجوع عما هم فيه ما استطاعوا اليه سبيلاً فامسوا يعضون على نواجذ الندم ولات ساعة مندم

لا تعتقد الكمال في نفسك فالانسان ضعيف يخشى عليه من العادة اذا تسلطت وهي انما تتسلط بالتكرار عن غير قصد سيء = قد تذهب الى اماكن اللهو في بادىء الراي مسايرة لصديق او خوفاً من ان تتهم بالبخل. فتذهب وانت تعتقد فساد رأي الذاهبين وتزعم انك لن تحذو حذوهم وانما تريد (مسايرتهم) وقد فاتك انهم كانوا مثلك وقد بدأوا بمثل عملك فاصبحوا بما هم فيه وهم لا يشعرون

على انك لو تأملت حالهم لرايتهم انما يطلبون التعب لا الراحة واية راحة يرجونها من السهر الطويل في معاقرة الخمرة وانفاق المال فلا يمضي نصف الشهر حتى يمضي ما في الجيب وقد يكونون من ارباب الماهيات القليلة فينفقون رواتبهم على ابناء السبيل واولادهم يئنون جوعاً احسب ذلك راحة والاشغال الشاقة احسن منهُ عاقبةً

فربما كنت من اهل اليسار الذين افاض الله عليهم الخيرات ارثاً — اذ لا يمكن ان تكون ممن كسبوا المال طارفاً والمال لا ينالهُ الا المكدون على العمل والمنقطعون عن تلك الاماكن. فان كنت من اهل اليسار وهب انك تملك مال قارون فانهُ لا يلبث ان يذهب ضياعاً وانت لا تدري وقد يقودك غناك الى ارتكاب منكر هو اشر المنكرات بل هو آفة العمران الا وهو الميسر (المقامرة) وعند ذلك فلا تستعظم ثروتك ولا تفرح بكثرة الابنية وتعداد الفدادين واصغر مزارعيك احسن حالاً منك . وكم من اولاد الثروة وابناء البيوت الرفيعة العماد اصبحوا بعد برهة يستدينون اقواتهم من بعض خدمتهم وهم

لا يملكون شروى نقير ذلك لانهم غرهم غناهم فحسبوا العمل عاراً عليهم فسلموا زمام اشغالهم للغرباء واكبوا على ما ظنوه اليق باهل الثروة فقضوا ايامهم ولياليهم في الترف والبذخ واللهو فخسروا المال والصحة والشرف على حين ان الفقر لو ولدوا فيه لكان ستراً لهم ورادعاً لجميع تلك الشرور

فمن الحكمة والتعقل ان تجتنب استخدام ساعات الفراغ في ماتسوء مغبته من لعب او شرب في الحانات او القهوات او سيفي المنازل وقد اصبح بعض المنازل في مدننا الكبرى لسوء الحظ مقامراً يجتمع اليها الشبان والشابات يقضون معظم الليل والنهار في تقليب الورق وتداول النقود وانتقلت هذه العدوى الى عائلات من خيرة العائلات ادباً وفضلاً رجالاً ونساء وفيهم جماعة من اهل الذكاء والعلم يزعمون انهم يقتلون الوقت باللعب للتسلية لا للمقامرة — فاذا كانوا لا يخافون على انفسهم من التورط الا يرون في ذلك خطراً على اولادهم وسائر اهلهم . واما اعتذارهم باللعب للتسلية فمنقوض لان وسائل التسلية كثيرة وخصوصاً في المدن الكبرى وعلى الاخص بين المتعلمين والادباء واهل الذكاء كالاجتماعات الادبية والمباحثات في الحوادث الجارية من سياسية او اجتماعية وفي ذلك تثقيف ولذة وفائدة . فاذا مل من الحديث فهناك العاب كثيرة تعرف بالعاب المنازل على سبيل « الحزازير » ونحوها قد يشترك في اللعبة الواحدة عشرة او عشرون . وسيفي بعضها فضلاً عن التسلية فائدة لتوسيع العقل بدون تعب كالالعاب المبنية على الاسئلة التاريخية او الادبية او نحوها وكلها مشهورة بين العائلات . واذا وجد في الجلسة واحد يعرفها يكفي لقضاء السهرة بها . ولا يستحسن اللعب بشيء من الالعاب التي تشبه آلات المقامرة ولو مهما كانت بسيطة لان لعب الورق البسيط او لعبة

شاكوش كومبانيا او نحوهما كثيرًا ما يكون سبيلاً الى المقامرة وفخًا للاعبين او لاولادهم على الاقل . فالاحسن البعد عن ادوات اللعب والفرار منها والاقتصار على ما تقدم من الالعاب المنزلية وهي كثيرة او المباحثات او المطارحات او المذاكرات على قدر استعداد الحاضرين . ونعرف شبانًا في القاهرة والاسكندرية انفوا من سهرات الكسل او الرخاء التي تذهب بالوقت سدى فالفوا جمعيات بعضها ادبية و بعضها علمية . ومنها جمعيات تمثيلية اشبه شيء بالاجواق فبعضهم يؤلف الرواية والبعض الاخر يمثلها و كثيرًا ماعادت هذه الاعمال بالنفع المادي على الاعضاء فضلاً عن النفع الادبي . فما يمنع ان يشترك السيدات ايضًا في مثل هذه الجمعيات او ينشئن جمعيات لانفسهن يشتغلن فيها بما ينفعهن وينفع الناس و يكفي ان يصرفن اذهانهن عن تلك الالعاب الجهنميه

***

فائدة الفراغ

على اننا لا نرضى منك وانت من شبان القرن العشرين ان تكتفي بتجنب شر الفراغ وانما وانت مسئول عن ضياعه عبثًا — ان ساعات الفراغ ذخر ثمين لمن يحسن استثماره ولو تدبرت سير رجال الاعمال والمخترعين لرأيت ما اتوه من اختراع او اكتشاف او مشروع عظيم انما هو من ثمار اشتغالهم في ساعات الفراغ . الم يمكن رتشرد كرايت مخترع آلة الغزل وموسس معامل القطن حلاقًا و كذلك كان تتردن قاضي القضاة وترنر المصور الشهير . فهل بلغوا ما بلغوه بغير استخدام ساعات الفراغ ان معظم العظماء نبغوا من اكواخ الفقراء بالجد والنشاط وما هما الا « العمل في ساعات الفراغ » فمن استخدم

ساعات الفراغ في ما ينفعه فهو النشيط المقدام الذي يرجى خيره . ولا يحتقرن احد نفسه مهما يكن فقيراً وانما الفقير الكسول ضعيف العزيمة ساقط الهمة . فقد نبغ من بين الفعلة غير واحد من المهندسين والشعراء ونبغ من بين البنائين بن جنسن لانه كان يقضي نهاره وملعقة البناء في يده والكتاب في جيبه يغتنم ساعات الراحة للقراءة فيه . وقام من بين البنائين ايضاً ادوردس وتلفرد المهندسان وهيوملر الجيولوجي والان كننهام المؤلف النقاش . ومن بين النجارين انيغوجونس وهريسن صانع الخرونومتر ويوحنا هنتر الفزيولوجي ورمني واوبى المصوران والاستاذ لي البارع في اللغات الشرقية ويوحنا جبسن النقاش * ومن بين الحاكة سمسن الرياضي وباكن النقاش وفستر المؤلف وولسن العارف بالطيور والدكتور لفنستن الرحالة الافريقي وناهل الشاعر * ومن بين الاساكفة السر كلودسلي شوفل امير البحر العظيم وسترجون الكهربائي وصموئيل درو المؤلف وجيفرد محرر جريدة كورترلي رفيو وبلمفيد الشاعر ووليم كاري وموريسن المبشران وموريسن لم يكن سكافاً بل صانع قوالب للاساكفة

وقام من بين الاساكفة توما ادوردس وقد درس جميع العلوم الطبيعية وهو يشتغل بالسكافة حتى اكتشف نوعاً من المتحجرات سمي باسمه * ونبغ من الخياطين يوحنا ستو المؤرخ وجكسن المصور واندروجسن رئيس الولايات المتحدة * وكان الكردينال ولسي العظيم قصاباً ويوحنا بنيان تنكارياً وهلكرفت المؤلف سائساً وهرشل الفلكي الشهير كان يلعب على المزمار — فهؤلاء وغيرهم كثيرون نهضوا من الفقر الى الغنى ومن الجهل الى العلم باستخدام ساعات الفراغ في ما ينفعهم * فما اجدر شبابنا ان يقتدوا بامثال اولئك

العظماء فيشغلوا فراغ اوقاتهم باكتساب ماينفعهم من صنعة اوادب او علم على ان يجعلوه لهوًا في ساعات الفراغ بدلاً من لعب النرد او البلياردو او الداما او الورق او غيرها * وكم بيننا من ارباب الصنائع الدنيئة هل يخطر لاحدهم اغتنام فرصة الفراغ لدرس علم او مهنة تغنيه عن صناعته * وقد يشق ذلك عليهم لاول مرة فاذا حملوا انفسهم عليه مرارًا اصبح ملكة يلتذون بها فلا يرتاحون الا اليها وانما السر في الخطوة الاولى فالحازم ان لم يكن فيه ميل للدرس عوَّد نفسه عليه فما هو الا ان يحمل نفسه على ممارسته مرارًا فيألفهُ ويصير ملكة فيه

كم بين ظهرانينا من شبان وفيهم التاجر والكاتب والصانع والفلاح والمستخدم في الحكومة وفي غيرها وكلهم يطلبون الرقيَّ ويلتمسون زيادة الكسب ولكن الساعين في ذلك من طريقه الحقيقي قليلون وكم ترى من الناقمين على الدهر العاتبين على الزمان يندبون سوء الحظ يزعمون انهم مع ما خصتهم به الطبيعة من سمو المدارك والمهارة في العمل لا ينالون حظًا من حقوقهم واذا جالستهم اوماشيتهم لقيتهم يقضون ساعاتهم (وكلها ساعات فراغ) ينتقلون من قهوة الى اخرى ومن بار الى آخر لا يعملون عملاً كانما يريدون ان تهبط عليهم الثروة هبوط الوحي او تنزل عليهم الاشغال نزول المن والسلوى * واذا حادثتهم ملأوا اذنيك طعنًا بالناس وامتهانًا لذوي اليسار بانهم اوتوا الثروة عفوًا عن غير استحقاق على حين اننا لم نسمع بفقير اغتنى بغير كد وسهر ومثابرة بنسبة نوع عمله وما اختص به من المواهب * ومن منا لايضمن لهم النجح اذا شغلوا اوقاتهم بالعمل والكد وهجروا اماكن اللهو وطائفة المستخدمين في المصالح الاميرية مطمح انظارهم الارتقاء في

الوظائف وقليلون الذين يؤهلون انفسهم للارتقاء بدرس اللغات او العلوم اللازمة لتقدمهم * وقد يعتذرون عن تقاعدهم بضيق الوقت يعنون بضيقه انهم لا يملكون من فراغه الا ساعات قليلة في اليوم لا بد من صرفها في الراحة وقد قدمنا ان الراحة ليست بالكف عن العمل بل بتنويعه ومع ذلك فالدقائق القليلة مع التكرار تعمل عملاً عظيماً وانما يعوزنا المواظبة لان الساعات مؤلفة من الدقائق والايام من الساعات · ان هذه الجبال الشامخة انما هي من بناء حيونات صغيرة لا ترى الا بالمكرسكوب واهل المواظبة يستخدمون فضلات الوقت لعمل نافع غير مهنتهم فينفعون وينتفعون وقد يفعلون ذلك في اوقات لا تقدر لها قيمة = فان الدكتور مازون كود ترجم لكريتوس في اثناء تجواله بين مرضاه والدكتور دارون الف اكثر كتبه على هذه الطريقة والدكتور برني تعلم الفرنساوية والايطالية في اثناء انتقاله بين بيوت تلامذته ليعلمهم الموسيقى وكرك هوايت تعلم اليونانية في الطريق بين مكتبه ومجلس القضاء ودغسو احد مبشري فرنسا الف كتاباً ضخماً في الفترات على المائدة بين لون من الطعام ولون آخر ومدام دي جنلي الفت بعض كتبها في الدقائق القليلة التي كانت تقضيها في انتظار الاميرة التي كانت تعلمها · واليهوبرث كان حداداً وتعلم في ساعات الفراغ من عمله ٣٨ لغة منها ٢٠ لغة حديثة و ١٨ قديمة

فالاعتذار بضيق الوقت لا يعتد به لان المواظبة تعوض عنهُ · وانما نحن في حاجة الى الارادة والعزم اكثر من حاجتنا الى الذكاء والفهم ـ اياك والتأجيل فانهُ آفة المشارقة وكم من اذكياء نبهاء قضوا زهرة اعمارهم في التسويف والاهمال وترك الامور للتقادير والاكتفاء بالشكوى والعتاب ·

فالمستخدم في قلم عربي مثلاً ويريد الارتقاء الى اعلى منهُ عليه ان يتعلم الانكليزية او الفرنساوية او يتعلم الحساب او الانشاء او غيرهما من العلوم التي تفتقر اليها المصالح الكبرى . وكذلك العامل في مخزن او ادارة او بنك او زراعة او صحافة او محاماة فلينظر الى مايعوزه للارتقاء ويدرسه في ساعات الفراغ فيغني نفسه عن مضار الملاهي وعواقبها ويحتفظ براتبه من الضياع فيها ويتعلم ما يفيده ويفيد وطنهُ

ويسرنا ان نرى بعض مستخدمي الحكومة سائرين على هذا النحو وبعضهم بعد ان قضوا عقداً من العمر في خدمة الحكومة لما علموا بما يهدد المستخدمين من الرفت كل ساعة خوفاً من ان يفاجئهم ذلك وهم في غفلة فلقصر ايديهم عن القيام باود حياتهم تراهم يقضون ساعات الفراغ في درس علم او فن يصح الاعتماد عليه في الارتزاق كالمحاماة او الطب او الصيدلية اوصناعة من الصنائع الجميلة كالحفر والرسم والتصوير والموسيقى مما يركن اليه عند الحاجة واذا لم يطرأ عليهم رفت فانهم لا يخسرون شيئاً بل يقتصدون ما كان لا بد لهم من انفاقه لو قضوا تلك الساعات في اماكن اللهو فضلاً عما يؤانسونهُ في مطالعة تلك العلوم او ممارسة تلك الصنائع من اللذة التي لا تقاس بما يتوقعه اللاعب بالنرد او الشطرنج او غيرهما

على ان بعضاً من هؤلاء وهم من اصدقائنا قد خرجوا بذلك من القوة الى الفعل ومنهم من لم ينتظر رفت الحكومة فاستقال من منصبه وعمل بالعلم او الصناعة التي تعلمها وعول عليها فاكتسب اضعاف راتبه الاصلي فتعاطى احدهم المحاماة وآخر فن الرسم او التصوير الشمسي وآخر صناعة الحفر وآخر غير ذلك وقد اشتهر كل منهم بصناعته وهم الآن

يتعاطون تلك الاعمال وقد مهروا بها واستغنوا عن الخدمة بما اكتسبوه ساعات الفراغ

***

الشابات والفراغ

هذا ما يقال في الشبان اما الشابات فالفراغ يضر فيهن اكثر مما يضر بالشبان ولا سيما اللواتي قام في اذهانهن انهن انما خلقن للتبرج والتزين وتبديل الازياء غير مباليات بما يجره ذلك عليهن وعلى ذويهن من الشر والفساد ونخص منهن بنات الاغنياء اللواتي يربين في رغد وعز فيستنكفن من اقل الاعمال فلا تمس ايديهن ادات من ادوات البيت لان ذلك في زعمهنّ حطة بشأن السيدات وقد خلقن للزينة لا يهمهن امر ازواجهن او والديهن وما يقاسونهُ في تحصيل الدرهم وهن لا يعرفن من امر النقود الا ما يدفعهُ الى المودستا او بائع الاقمشة وقد لا يمسسن الدراهم بايديهن وانما يقصصن و يخطن والحساب على رجالهن

واغرب من ذلك ان بعض ذوي اليسار يبالغون في ترفيه بناتهم وتأنيقهن حتى يقيموا لكل واحدة منهن خادمة بل خادمات هذه تحضر لها القهوة وتلك تقدم لها الطعام وهذه تشعل لها السكارة وقس عليه . فمن كانت هذه حالها وليس لديها عمل تعمله تشغل به عقلها او جسدها فما الذي ترجوه منها اذا شبت وقد نمت فيها الشعائر ونضجت العواطف وهذه لا تبقى بلا عمل فاذا كانت الفتاة في ابان شبابها ولا عمل لها تعمله او تتلاهي به افلا يكون في ذلك خطر على سيرتها ولو مهما بالغ اهلها في حجابها

وما قولك بمن تقضي اعواماً طوالاً لا تشعر بما يدخل بيتها او يخرج منه من لوازم الطعام واللباس تاركة امره للخدم والجوارى فاذا جاء الخادم آخر الشهر بجريدة النفقات وفيها انهُ انفق في اثناء ذلك الشهر خمسة قناطير من السمن مثلاً فلا تدرك حضرتها ان مثل ذلك القدر لا يمكن انفاقهُ على بيتها في خمسة اشهر ولو اتخذوا السمن للاغتسال وليس للطعام

ومنهن من اذا رأت جارتها تخيط رداء حريرياً على زي جديد لتقم على زوجها اذا لم يجئها بمثله ولو ان دخله في الشهر كله لا يساوي ثمن ذلك الرداء . واذا بحثت عن سبب ذلك الشر رايتهُ ناتجاً عن تقاعدها عن العمل لانها لما لم يكن لديها ما يشغلها ساعات النهار انقطعت الى الاهتمام بامر نفسها وصبغ وجهها وتحسين خلقتها بانواع التبرج تقضي سحابة يومها في التزين تنتقل من امام المرآة الى الشرفة (البلكون) ثم تعود الى غرفة اللباس (التوالت) فتبدل ثيابها وتعود الى الشرفة واذا حضرت حفلة انصرف فكرها الى ما تراه هنالك من الازياء الجديدة والتفنن بانواع الخلاعة وقد تكون تلك الزيارة سبباً لتنغيص عيشها وعيش زوجها ولا سيما اذا رأت بين تلك الازياء زياً جديداً ليس لها مثله

فلو كانت ممن ربين على العمل وعرفن قيمة الدرهم وتعودن الاهتمام بامور بيتهن واولادهن فان همهن ينصرف الى الفضيلة القائمة بتدبير المنزل والاقتصاد بنفقاته وبدلاً من الافتخار بغلاء ثوبها تفتخر بتدبير بيتها وتربية اولادها على الحشمة والنظافة ومطالعة الكتب المفيدة فتكون سعادة لزوجها وزينة لمنزلها وربما زينت ذلك المنزل بشغل يديها وليس في ذلك عار وانما العار اذا انفقت مال رجلها على البذخ في ملابسها وتركت بيتها وقد غشيته

القذارة فتكون كالقبور المكلسة بيضاء من الظاهر وفي داخلها جيف نتنة

ولو اقتصر شرّها على ذلك لكان خيرًا ولكنها تكون قدوة سيئة لاولادها فيشبون على ما تعودوه من الكسل والبطالة والاهمال ما لا تنزعه تربية المدارس ولا يقلعهُ تعليم المعلمين واكبر شر يرثونهُ منها سوء استعمال ساعات الفراغ التي تقدم انها عقبة شديدة الخطر اما اذا تجاوزناها بسلام فنصل الى بحبوحة السعادة

احكام الترجمة

لجرجي افندي عطية

قد يظن البعض من المشتغلين بالآداب ان الترجمة ليست بالشيء الكبير اذ ليس للمجيد فيها فضيلة ابداع ولا مزية اختراع وانها مما يقوى عليه كل من عرف شيئًا من لغات الاجانب وطالع جانبًا من قواعد لغته واصولها. وليس لهذا القول حظ من الصواب ولا يقوله الا من ياخذ الامور بظواهرها ولا يتدبر الفرق بين جيد الاشياء وقبيحها بل ان من تبصر في مترجمات فحول المعربين وفي غيرها مما يجيء به المتطفلون على هذه الصناعة ثم قابل كل فرع منها باصله ونظر مقام الفروع من الاصول عرف ان المسألة ذات بال وفهم ان التأليف لهو اسهل مركبًا وادنى مطلبًا في كثير من المواضع من التعريب الذي يلتزم معانيه ان يجيء بكلامه مطابقًا للاصل في اللغة المنقول عنها وموافقًا لذوق اهل اللغة المنقول اليها فان لكل قوم مذاهب في القول واذواقًا في الانشاء يختلفون بها عن سواهم

ومن هنا يتبين البعد بين الامرين لان المؤلف اذا زل فزللهُ له وعليه واما المعرب فزللهُ يلطح بالجريرة من هو بريء منها ·

وقد كثر المشتغلون بالترجمة في هذا العصر لشدة حاجتنا اليها ولكن المجيدين منهم نفر قليل وليس هذا الامر بغريب اذا اعتبرنا ان اكثر المترجمين قد تكون بضاعتهم من العربية وآدابها مزجاة · ومما يزيد في الطين بلةً تسرعهم وعدم تدقيقهم في كثير من الاحيان · ونحن الآن مفتقرون كل الافتقار الى ان ناخذ عن الاجانب علومهم وادابهم ونترجم عن لغاتهم ما ينقص عنهُ لغتنا وليس في ذلك عار علينا بل العار كل العار اذا وقفنا عند ما نحن عليه الآن واستغنينا وما نحن في غنى ولكني رأيت كثيرين يشكون من اغلب الكتب المترجمة قائلين ان في بعضها من التعابير ما لا يفهم له معنى قطعياً وان كثيراً منها ركيك يفسد ملكة القاريء · وعلى ذلك فما الفائدة من نقل الشيء بعد اضاعة رونقه وتشويهه واين هذا من شروط الامانة التي تقضي بالمحافظة على المنقول وانزاله بمثل المنزلة التي له عند اهله · وللترجمة احكام ينبغي مراعاتها والجري عليها وعلى المشتغل بهـا ان يكون مطلعاً على قواعد اللغة بارعاً في الانشاء والا فيكون مثله مثل القرد الذي اراد ان يري البهائم الفانوس السحري فاتى بالصور وكل ما يلزم من الادوات ولكنهُ نسي اهم شيء وهو انارة فانوسه

وقد ذهب كثيرون وفي جملتهم سعيد بن بطريق وهو البطريرك الاسكندري افيتشيوس الى ان الترجمة يجب ان تكون بالحرف ورأى غيرهم وجوب التقديم والتأخير فيها والتصرف بحسب ما يقتضيه المقام · والاحسن ان لا يبيح الناقل لنفسه التصرف بثمرات افكار غيره لانه ليس بمقام المؤلف

ولا ان يقيد نفسهُ بالاصل بمعنى انهُ يبقي التعابير على ما هي اولاً بل عليه ان يحافظ على الافكار المقصودة و يبرزها في قوالب عربية وذلك بان يقرأ العبارة الاجنبية و يفهم معناها ثم ياخذ المعنى و يكتبه بعبارة فصيحة من عنده وعلى هذه الطريقة ياتي الكلام وليس عليه اثر للعجمة . وقد جمعت عدة ملاحظات تفيد مراعاتها في الترجمة واني اسردها هنا حباً بالفائدة

١ً ان كثيراً من التشابيه والاستعارات والكنايات في اللغة الاجنبية مما يكون في لغته بليغاً اذا عربتهُ بلفظه جاء بارداً مستهجناً فعليك ان تبدله بغيره من تشبيه او استعارة او كناية ينوب منابه في تأدية المغزى المراد

٢ً ان الاجانب لقلة المترادفات عندهم يضطرون الى اعادة الكلمة الواحدة مراراً كثيرة فتجنب متابعتهم في هذا الطريق وعلى الخصوص لان استعمال الضمائر مباح عندنا اكثر مما هو مباح عندهم لان عندنا للكلمة الواحدة من المترادفات ما لا نراه في لغة اخرى

٣ً استعمل القيود في مواضعها وان خلت من مثلها اللغات الاجنبية فانهم يقولون مثلاً مجلس ممتلي، وكاس ممتلئة وطرف ممتليء الخ ونحن نقول مجلس غاص وكاس دهاق وطرف مغر ورق بتخصيص كلمة لكل باب

٤ً اذا كنت في مقام قصص وسرد وقائع واستنسبت حذف بعض الجمل او تقديم بعضها وتاخير الآخر فلا باس من ذلك على شرط الا يختل المعنى بل قد يمكن لك ايراد القصة بقالب غير قالبها الاصلي اذا رأيت في ذلك ما يكون اشد وقعاً في النفس

٥ً ان كثيراً من العبارات تكون خاصة بلغة من اللغات اي انها تكون مما جرى فيها مثلاً او مما يؤخذ بمعنى المجاز ومثل هذه لا يمكن ترجمتها بالحرف

بل يذكر المعنى المقصود بها ضمنياً . وقد قرأت منذ مدة ترجمة قصة السنديانة والصفصافة المذكورة في كتاب مئة حكاية وحكاية وفيها ان الصفصافة اذعنت لقوة الريح فوضع المترجم بدلاً من هذه العبارة ان الصفصافة « لم تعط الريح قبضاً عليها » وهي الترجمة الحرفية للعبارة الفرنسية في الاصل ولكنها لا يفهم منها المراد قطعياً بل انها لا يستخرج منها معنىً . ويقرب من هذا مانشاهده غالباً في بعض الجرائد مع انهُ يمكن المترجم اجتنابه بالتروي ومراجعة المعجم

٦ً قد يكون لبعض الكلمات معان كثيرة تختلف باختلاف المواضع فاحذر ان تضع المعنى الواحد منها مكان الآخر . فكثيرًا ما يترجم الكتاب كلمة بمرادف لا يصلح لها في ذلك المقام فيختل المعنى وتضطرب سلسلة الانشاء . وقد قرأت منذ مدة غير بعيدة في احدى الجرائد تلغرافاً من شنغاي هذا هو بنصه : (يزداد سكان الولايات الجنوبية بغضاً للاجانب . . . ويتنبأون هنا بحدوث انفجار عظيم في آخر الشهر) اه . ولا معنى للانفجار هنا وان هو الا لغز من الالغاز وطلسم من الطلاسم . على ان الكلمة التي ترجمت بالانفجار تفيد « الثورة والهياج » فلو وضعت احدى هاتين الكلمتين لاستقام المعنى وصحت الترجمة

هذا قليل مما يمكن ايراده من الملاحظات في هذا الموضوع وبقي علينا انه لما كان المعنى الواحد يمكن ابرازه بصور وهيئات متعددة بعضها اوضح من بعض تعين على الكاتب ان يختار من تلك الصور ما كان ابلغها وقعاً واسدها تركيباً فانك كثيرًا ما تقرأ فصلاً معربا فتنفر منهُ نفسك لما تراه في عبارته من الركاكة ثم تراجعهُ في اصله فتجد الفرق بين النسختين كالفرق بين

الثريا والثرى . والافكار السامية اذا ابرزت بتعابير ركيكة ناقصة المدلول تفقد قيمتها وتضيع فائدتها وتكون كامير يظهر باثواب رثة وهيئة زرية فتزول عنهُ دلائل رتبته ويصير مجلبة لاحتقار الناظرين اليه وهذا شأن كثير من الكتب الجليلة التي عربت تعريباً سخيفاً فاعرض عنها الناس وربما نسبوا عيبها الى موءلفها بزعمهم ان المترجم نقلها كما هي وما كان عليه ان يصححها ويكسبها رونقاً من عنده . واغرب من هذا ان جماعةً من المشتغلين بالترجمة يدعون ان ما يلفقونهُ من التراكيب غير العربية لهو من محاسن الانشاء الافرنجي التي نفتقر اليها لغتنا ومن ثم صاروا يتزنمون بها كلما كتبوا جملة وخاضوا في موضوع وفاتهم ان اللغة فيها من اساليب التعبير ووجوه الكلام ما تضيق به على سعتها عن قبول ما يدخلهُ فيها امثال هوءلاء « النيولوجيين » وان الفائدة انما تقوم بنقل علوم القوم وآدابهم الى لغتنا لا بتشويه محاسنها ببعض عبارات سخيفة نريد ان نكمل بها نقص افصح اللغات ولا يخفى ان اكثر الكتب المتداولة بين ايدي الناس في هذه الايام هي مما يعرب عن الافرنج ناهيك عن الجرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية التي اكثر ما فيها منقول عنهم وفي بعضها من التراكيب البعيدة عن مواطن الفصاحة ما يأباه الذوق بل هو مما يفسد ملكة القرآء ويكون مزلةً لهم ورب قرارة تسفهت قراراً . فاذا لم ينتبه كتابنا الى هذا الامر فشا الخطاء وعمَّ الخلل وصار اصلاحه متعذراً

وننتقل هنا الى قسم آخر من هذا البحث لا يتم الموضوع بدونه وهو الترجمة الشعرية فنقول : لا يخفى ان الشعر عند كل امة هو المرآة التي تنطبع عليها صور عواطفها واخلاقها وآدابها واذواقها ولكل امة فيه طرائق مختصة بها في التعبير ومناحي غير مألوفة عند غيرها في البيان والتصوير بل هو

مستودع ما عندها من حقيقة ومجاز واطناب وايجاز وتشبيهات واستعارات وتوريات وكنايات الى غير ذلك مما قد يكون الحسن منهُ عند قوم قبيحاً عند اخرين والمستملح عند هوءلاء مستهجناً عند اولئك . فعلى هذا قد يمكن ان ما يراه العربي اية في البلاغة يعده الافرنجي غاية في الركاكة وما يرتاح اليه الافرنجي ويهتز له اي اهتزاز ينفر منهُ العربي ويشمئز منهُ واي اشمئزاز وقس على ذلك . فضلاً عن ان لكل عصر منوالاً ينسج عليه اهلهُ ويختلف به عن سائر العصور بقدر ما تختلف ابناؤه عن ابناءها مشرباً ومدنية . فما كان يميل اليه الناس في عصر هوميروس مثلاً لا يميلون اليه في عصر فيكتور هيكو وما كانوا يالفونهُ في عيشتهم البدوية بين القفار والسباسب والخيام والمضارب والنوق والجمال والرسوم والاطلال هو غير ما يلذون به في هذا العصر الحافل بايات المدنية ومظاهر الحضارة الذي بسطت فيه اجنحة البخار ونشرت راية الكهرباء وحوى من المخترعات كل عجيب

فالشعر يختلف باختلاف الازمنة كما يختلف باختلاف الالسنة ونقلهُ من لغة الى اخرى يقتضي باعاً طويلاً وتفنناً غريباً وقريحة سيالة على انهُ اذا ترجم الشعر شعراً ربما حفظ شيئاً من رونقه وبقيت عليه مسحة من جماله الاصلي ولكنهُ اذا نقل نثراً تحول بلاغتهُ الى ركاكة وليس هذا في الشعر المعرب وحده بل الشعر كلهُ على هذا القياس فما قولك في معلقة امري القيس مثلاً اذا حللتها نثراً هل ترى فيها من البلاغة ما تراه في مقالة بسيطة لاقل الكتاب براعة واسخفهم بضاعة . ومن هنا يتبين لك خطأ الذين حكموا على شعر الاوربيين من بعض قصائد عثروا عليها معربة نثراً مرسلاً دون ان يقفوا على اصلها وما دروا ان هذه وامثالها ليست مما يصلح ان يوءخذ

دليلاً او بنى عليه حكم لبعد مكانها عن الاصل واضياع رونقها بانتثار منظومها ولا اقول هذا ذهاباً ضدهم ولا ميلاً الى جانب خصومهم لانهُ ربما كان ما انتصروا له هو الصحيح ولكن تنبيهاً لهم الى ان ما استندوا عليه ليس بحجة

ومن المحقق ان الشعر لا تمكن ترجمته من احدى اللغات الى غيرها بجميع ما فيه ولا على جميع اوجهه بل فيه ما هو من خصائص احدى اللغات فلا تمكن ترجمته الى غيرها حتى لقد يتفق لك في قصيدة تريد تعريبها ان يمر عليك اكثر من موضع من هذا القبيل مما لو نقلتهُ الى العربية لما استقام له فيها معنىً . على ان هذا التفاوت بين لغات اخوات كالعربية والعبرانية مثلاً في اللغات السامية اقل من التفاوت الذي بين احداها و بين لغة قلطية او اوارية فتعريب قصيدة سريانية اسهل بكثير من تعريب قصيدة المانية لما بين السريانية والعربية من التقارب اللفظي والمعنوي . بيد انهُ مهما كان للمترجم من المهارة في اساليب النظم والمقدرة على التصرف بهيئات الكلام والتلاعب بالالفاظ ومهما بذل من الجهد وافرغ من الطاقة لا يمكنهُ ان يضاهي اصل القصيدة التي يعربها بلاغةً

على انهُ ليس على معرب النظم ان يتقيد باللفظ في ما ينقله بل له ان يأخذ المعنى و يسبكه مفرغاً اياه في القالب الذي يريده اذ المعنى هو الجوهر وما اللفظ الا غلافٌ له فما دام الجوهر سليماً فماذا يهم الغلاف وعلى هذا لا يكون له سبيل للعذر اذا جاء بتراكيب سخيفة محتجاً بانها هكذا وردت في الاصل اذ ليس ثم من داع للمطابقة اللفظية ولا هو ملتزم بها . ولما كان المعنى الواحد يمكن ابرازه على صور وهيئات مختلفة متفاوتة الدرجات بلاغةً وانسجاماً كان

عليه ان ينتقي اقربها الى الاصل وافصحها تعبيراً وافضلها صوغاً . ونحن نورد لك مثالاً على ذلك بيت (لافونتين) القصصي الافرنسي صاحب الامثال المشهورة الذي يقول فيه ما تعريبه : « على المرء في كل عمل يأتيه ان يفكر في عاقبته » فيمكننا ان نعربه شعراً بهذه الابيات :

«١» على المرء في كل اعماله بان يتبصر في العاقبه

«٢» لا تأت امراً يافتى مالم تفكر في العواقب

«٣» قبيل البدء في الاعمال فكر في نهايتها

«٤» عليك ان تنظر في العواقب قبل ركوب غارب المصاعب

وهلمَّ جرًا . على ان بعض هذه الابيات اقرب للاصل من البعض كما ترى واختيار افضلها مرجعهُ الى الذوق . وما قدمنا هذا المثل الا تقريباً للمقصود وحتى ترى ان باب التعريب الشعري ليس ضيقاً على الذي عنده مؤونة كافية واطلاع واسع وتصرف بالكلام لاسيما وان لغتنا العربية الشريفة فيها من الالفاظ المترادفة الكثيرة والاساليب المتعددة في التعبير عن المعنى الواحد ما ليس في لغة غيرها من لغات العالم وبهذه الواسطة يتيسر لشاعرها ان ينقل القصيدة الاجنبية برمتها من غير ان يضطر الى حذف معنى من معانيها

ومما يجب الانتباه اليه ان النقل الشعري لا يتيسر الا في مواضيع محدودة وشروط معينة وكثير من المنظومات لا يمكن نقلها من لغة الى أخرى لانها تفقد بالنقل اهم مميزاتها ومحسناتها . والترجمة سواء كانت شعرية او نثرية صعبة المراس تحتاج الى نظر وتدقيق كما قلنا آنفاً . فعسى ان يهتم ادباؤنا بامرها فيعمدوا الى انتقاد كل ما يجيء به المتحملون لها والمشتغلون فيه لانهُ بذلك ترتفع منزلتها

و تعود لا يجرأ على اقتحامها غير القابضين على زمامها والعارفين بأصولها واحكامها

***

« بين تضاعيف الحياة »

(لجرجس افندي خورى كرم)

يحلم الراعي في ضوء الهلال احلاما · و يسهر الكاتب ليله حين يكون الناس نياماً · فذلك له من مفاعيل الطبيعة ما يغويه · وهذا له من مفاعيلها ما يضنيه و يوهيه · فهل من تفاوت في اللذات · وهل من فرق بين تلك الحياة وهذه الحياة · او هل مصة الكاتب تساوي غصته · او يجوز ان يكون الشقاء بعد ذلك النصب حصته

جوابي على التفاوت · ان الانسان ما زال يطلب السعادة وهي بعيدة عنه فانهُ وهو بدوي اقرب الى اللذة منه وهو حضري · والسبب هو لما يجول في الحضري من تطلب الاسمى والتعلل في الكماليات التي تشغلهُ حباً وتذهب بكل ما هو لذيذ في طعمه وشمه تعزيات نفسانية لا يفقه لها راعي القطيع من معنى ولكل انسان موضع في هذا الوجود وحلة من الترف والشظف يرضى بها مجبوراً غير مختار لان غريزة نفسه تطلب دائماً اسمى من ذلك لكنهُ متى اعتاد امراً فقلما يتركه لغير اضطرار ولو راى بعينه الباصرة افضل منهُ · ولذة الراعي متكئاً على عصاه مديراً قطيعه هي لذة الحاكم يرأس المجالس و يضع القسط في شعبه والامر على ما اشاهد متماثل لان الموجود لدى الغني (وان كان شهياً الى قلب الفقير) هو شيء عادي لا يستأثر بانتباهه وحواسه واذا حصل على امر خطير تاقت اليه نفسه من قبل فلا يتجاوز اعجاب الراعي

باكلة عدس يشتهيها · واذا كانت اللذات تتبع العافية فان هنالك بوناً عظيما بين الاثنين لان ابن الطبيعة متحملا حرارة شمسها نائماً تحت سمائها غادياً مع طيرها ووعلها هو غير ابن المدينة حاملا المطهرات لمقاومة جراثيم الاوبئة المنتشرة ومغتسلا مرات لحفظ الحرارة معتدلة في دمه خيفة اشتدادها وهو ضعيف عن ان يتحمل · قلت والقصد هنا من اللذة ما يتبع الحياة بسيطة وما يتمتع به الضمير من الراحة والقلب من الرجاء · والفكر من الامل المحبوب

وجوابي عن الحياة الجوهرية هو ان تركيب النفس هو من قوى اسمى من ان تدرك · مصدر تلك القوى هو الله ومتى شعر الانسان من نفسه بالقوة يستمر اي انهُ لا يقف عند حد وهو يقدر ان يتجاوزه غير فئة تقنع بالقليل وتخالف مطاليب تلك القوى · والانسان يسير في النور هو غيره تائهاً في الظلمة ومعرفة الاشياء كيانها وقوامها ومعادها تعطي النفس تعزية · والمعرفة في الادميين واجبة وهي غيرها في الحيوان لان قوى اولئك غير قوة هذا · ومتى كانت النفس مثالاً فمطاليبها يجب ان تكون كمالية محضة · لكنه يصعب عليَّ في هذا العصر تمييز القبيح من الحسن والحسن من الاحسن ولا سيما والزي الجديد المتعارف والميل المطلق هو جمع المال وحصده لمنفعة او غير منفعة وان هذين الجمع والحصد يطلبان الدهاء والحيلة وبين الامرين تضيع النفسانية وتستتر او تتلاشى كمالياتها ويسدل عليها حجاب من الوهم يدفعها الى التصور بان ما تعمل هو الكمال · ان كنت تاجراً او لم اكن وان صرت غنياً او لم اصر فانا ممن يقفون بباب العلماء مباركا الانفس وقواها ومعظما مبدأ تلك القوى الموجودة بكل انسان والمتفاوتة بقدر الاستعداد العقلي والتربية · ابهت وايم الله واقف حيراناً عند تصوري حياة من يعيشون ويموتون ولا هم لهم غير افادة

الانسانية واغبط عظام من ماتوا في قيودهم واسجد لرفاتهم لانهم بكفرانهم بجسومهم سهلوا ما نراه سهلا فكأنهم ماتوا في سبيل اعطائي الحياة الهنية ومن كان سبباً لراحتي في حياتي فانا احنو له رأسي حباً وامجده ميتاً مطويا

ان المسيح انسانا كالمسيح الهاوحياته ارضية كحياته سماوية وموته مصلوبا كقيامته منصوراً لان في تلك الحياة وذلك الموت ايد مذهبا تبعه به ملايين واعجب به ملايين وفي ذلك الرجاء يجد تابعه راحته الداخلية وما احلى ذلك الرجاء

وعلى ذلك القياس يجب علىَّ تبعا تعظيم العظماء والعلماء والمخترعين ومقاومي الاوبئة ومصلحي الشعوب باعمالهم واقوالهم وما هم يكتبون . وذلك لانهم برهنوا عن قوى علوية ما انثنوا عن ممارستها ولا كانوا مثلها بما يجدونهُ امامهم لاهين

ان مبضع الجراح مستأصلا الدمل غيره قاطعا الوريد لكنه مبضع في الحالين وبين اعطاء الحياة وعدمها هو من بين الوجود والموت . والحياة بين الناس مقسومة منها مائتة ومنها نافعة وتسمى في الحالين حياة . ومتى سارت تبعا لمزاج القوى في النفس فهي الى الكمال اقرب منها الى النقص ومعاناة الشدة في سبيل العموم والقيام بامر نافع في لذة لا يعرفها غير مقاسيها . اما من النعمس من الحضريين في الترف وعمل على قتل نفسه وضميره بجشعه وطمعه فهو خليق بادعاء الحيوانية وحدها ولا يصح انتسابه لسواها

وجوابي عن الكاتب لا يحتمل تفصيلا الكتابة في زعمي تقسم الى اثنين . منها ما يكون دعوة وهي ما تظهر مملوءة بالافكار السامية مشبعة بالفاظها واوضاعها موافقة لمقتضي الحال مليحة السبك طيبة الكلام ومنها

ما تكون تقليدية وهي ما يستعان بها للتوصل بطريقة التزلف الى غاية فى النفس اما عن الاولى فجزاء الكاتب لا يحصر بزمان ومكان بل يتعدى الى العصور المقبلة وكلما زاد النور زادت الناس اعجاباً بدعوته وفنه وحسن نيتهُ ويبقى كابن رشد علم المتفلسفين وكابن خلدون هداية المؤرخين وكالمتنبي كعبة الناظمين ومن هم على نحوهم . والاغلب في هذا الصنف من الناس عدم اليسر غير فئة قليلة هبطت عليها الخيرات عن غير قصد وطلب فعاشت معيشة الفقر في حين السعة والسبب هو ان هذه الفئة قلما تطلب الترف في الظواهر بل همها اجابة نفسها الى مطاليبها والتقدم بصورة مستمرة الى الامام وكثيراً ماماتت افرادها في سبيل مبادئها فتركت ذكراً مكتوباً عليه (الى الابد) وبالنتيجة ان هذه « المصة » من الذكر تساوي اضعافاً تلك « الغصة » في الحياة والله في بواطن الامور اعلم . اما الفئة الثانية فهي كذلك الطفيلي الذي دخل على القوم في الوليمة فازدرد لحماً حاراً وكان حرق حلقه مدعاة للسخرية والهزء وكثير بيننا عدد هؤلاء . قلت ويمكن جناء التين من العوسج ولا يمكن لرجل ليس فيه دعوة الكاتب ان يكون كاتباً حقيقيا لان للغرايز شأنا اوليا فى هذا المطلب

وعندي ان الحياة مع اتمام الواجب ولو كانت فى اشد حالات الشقاء لا تحسب تعيسة . والبساطة هي بنت النفس فان عشت بين القطيع وان كنت فى وسط الدوي وتممت واجبي وعشت في حضن البساطة فانا الى الراحة الداخلية اقرب من غيري والله فوق كل ذي علم عليم

***

اسرار الكائنات

لجميل افندي بيهم

١ = الارتباط الكوني

الناظر الى الكائنات بعين الظاهر · والمتصور في بسيط الفكر تلك المظاهر · يحكم ان لا تعلق لها في بعضها البعض ولا نتيجة لاعمال السواد الاعظم منها غير فوائد تعود عليه وحده بالنفع بيد ان من اماط عن وجوه الحقائق حجاب البساطة ونظر بنور العلم العقلي الى صور المخلوقات نظر المتأمل المتفكر وامعن الفكر الثاقب في هيولي الموجودات باحثاً عن احوالها وخاصياتها بحث المتدبر المتبصر يعلم ان الباري لم يخلق شيئاً عبثاً ولم يوجد في الكون الا ما هو من الضروريات لتمامه ابدع المخلوقات وجعل بينها التعلق الكلي بحيث قدر على افرادها ان تكون خادمة لبعضهـا ولو عن غير تعقل وقصد لتنال بغيتها المقصودة في حركتها وتحصل على امنيتها المرادة في جهادها الدنيوي

خلق الله الخلق وربط بين اجزائه ربطاً محكماً في افتقارها لبعضهـا وقد جعل اذ ذلك حكمة منهُ حصول سد افتقار كل منها يأتي تبعاً لاعمال غيره فان الشجرة مثلاً تصلح الهواء للحيوان نهاراً بامتصاصها المواد الفاسدة بالنسبة له كالحامض الفحمي وهذا ليس مقصوداً في ذاته بل يأتي تبعاً لطلب الشجرة غذائها اذ ان المادة الفحمية تسد نحو نصف الوزن الذي تركبت منهُ والعلقة يضعها الانسان موضع الالم من جسمه فتستنزف منهُ الدم المحتقن وهي لا تريد بذلك اراحته بل ان آلة الحجامة التي بفمها هي المحببة لها القيام بهذا

العمل وميكروب التربة لا ينفك ليلاً نهاراً عن مواصلة الخدم المتنوعة للنباتات وهو لا يقصد بعمله الدائم منفعتها بل طلب قوته والتماس معاشه .

فكل من المخلوقات قائم هكذا في اعباء دور مهم من هذا الكون لاغنا عنهُ ولا يخلو واحدها من فوائد يسديها لغيره فان لم تكن مباشرة فتسبباً غير ان هاتيك الفوائد منها ما ظهر للبشر طرق حصولها ومنها وهو القسم الاعظم مالا يزال مجهولاً عندها بالنظر لكثرته وقلة تحصيلها من العلم وذلك مصداقاً لما جاء في القرآن الكريم خطاباً لافراد الانسان (وما اوتيتم من العلم الاقليلاً)

وان كثيراً من الناس لينكرون وجود منافع لما خفيت علينا طرق خدماته حاسبين ان لا سر لهذا في خلقه ولا حكمة في ايجاده فهذا غلط بين ووهم فادح لانهُ ليس كلما لم يتيسر علمه لابن آدم ولم يتمكن عقله من ادراكه يحكم عليه بانتفاء الوجود فلو لم ير الحسير الهلال فلا يلزم من ذلك عدم وجوده . واني وان كنت لا اعلم للاسد شيئاً من الحسنات بل بخلاف ذلك اعرف له كثيراً من السيئات فهو يتعدى على غيره وقد يؤذي كلما وصلت اليه يده والذئب وابن آوى لم يصلني من اخبارهما الا ما يسود صفحات سيرتهما فهما يتلصلصان لاختطاف ما نملكه من شاة ودجاجة وما شاكلها وكذا الفأرة فلا اراها الا تشرب من البئر وترمي به حجراً فهي تاكل ما كولاتنا وتمزق مفروشاتنا كما وكثير غيرها كلما زدت في البحث عن منافعها لا ازداد الا جهلاً بها وعلماً بخلافها فهل يلزمني بناء على ذلك ان احكم ان لا فائدة في وجودها ولا سر في ايجادها ؟ .... كلا كلا .... اذ من حيث انني اضطلع في كل حين على اكتشاف منافع لامثالها مما كنا لانعرف له فائدة كالضفدع وغيره فلقد حكمت قياساً على ذلك ان لا بد لهذه ايضاً

من فوائد لا زلنا نجهلها .

٢ = فوائد الضفدع

كنت في شهر حزيران من السنة الماضية استاء من نقنقة الضفادع الساكنة في حديقة بيتنا واتضايق من صراخها مضايقة جعلتني انظر الى افرادها نظرة مبغض لا يتمنى الا انقراضها وفنائها ولكن لم يمض على ذلك اكثر من عشرين يوماً حتى انقلب عندي الموضوع وصرت احب زيادة عددها راضياً بصراخها ونقنقتها

فما سبب ذلك ؟ . . . .

سببهُ انني عرفت بالاطلاع ان لهذا الحيوان خدمة تذكر فتشكر ومنافع للهيئة الاجتماعية كشفها العصر الحالي وعنها العلم اخبر وقد كانت مستورة من قبل تحت طي الجهالة فلا بدع ولا عجب اذا قلت ان صوته اصبح عندي يقارب نغم الموسيقى اذ صرت انظر اليه بعين الرضا بعد ان كنت عنهُ معرضاً

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

فبعد ان اتى على الضفدع حين من الدهر لم يكن شيئاً مسطوراً ومر عليه ردح من الزمن كان في خلاله ملوماً مدحوراً لقي في هذا العصر مع ما لقيه من القبول محاماة كلية وموافقة عن اذيته قوية فقام بعض الافرنسيين ومن جملتهم (م ماي) يتوسلون الى حكومتهم في اصدار امرها بمنع التقاطه ايام تبذيره من اول شباط الى آخر حزيران وعقوبة من يمد اليه يد الاذية ونهض رجال من الانكليز يشيرون على مواطنيهم في استجلاب كميات منهُ لحقولهم ومزارعهم حباً في استدرار خيراته والاستفادة بخدماته

يتسائل القاريء الكريم ولا بد عن طرق خدماته وكيفية حصول فوائده فاقول ان الضفدع كالعصفور يصطاد حشرات الارض وهوامها الضارة في المزروعات بل انه اغزر فائدة واكثر نفعاً من وجهين احدهما كونه اشد قوة على افتراس ما يستطيع ذلك الطائر اليه سبيلاً وثانيهما من حيث انه لا ينفك ليلاً نهاراً عن القيام بهذه الخدمة الجليلة بينما ان العصفور يقتصر على النهار في عمله

ومعلومة فوائد العصفور في التقاط الهوام والحشرات المؤذية الفوائد الجليلة التي منعت لاجلها الحكومات الراقية اصطياده في اوان حضانته ضنا به لان في تقليله تقليلاً للمحصولات وفي اذيته اذية لاولي الزرع اذ تحرمهم بعض الحيوانات من اثمار اتعابهم وتمنعهم من نتائج اشغالهم واليك على سبيل الاستئناس والفكاهة ما يذكرونه عن غليوم الاول ملك بروسيا وامبراطور المانيا من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٨ فاقد رووا ان هذا العاهل كان شديد الولع في الفريز حتى انه لا يصبر على اكله فزرع له في حديقة قصره شجرة منهُ واخذ في مداراتها ومعاملتها حتى اذا ما اثمرت واينعت تسلط عليها العصفور وصار يتردد اليها جريا على عادته مختطفا بعض اثمارها فحنق عليه الملك وامر في السنة التالية ان تحمى الشجرة منهُ ويمنع من الوصول اليها الا ان هذا التحوط لم يأته بالنتيجة التي كان يتوقعها بل بخلاف ذلك اعقبه الندم وكان موجبا لزيادة استيائه اذ ان الهوام التي كان يأكلها العصفور في ما مضى حرمتهُ في هذه السنة من محصول شجرته المحبوبة فرضي اخيراً بمشاركة العصفور شركة مضاربة يأكل من شجرته بمقابلة حمايتها .

فاذا كانت هذه هي فوائد العصفور فكيف تكون فوائد الضفدع وقد

ذكرنا لك انه اكثر نفعا ولا سيما غير الاخضر منه من حيث انه يسبق غيره في التبذير فيكون ذلك في شهري شباط واذار ويفوقه كثرة تحوله بعدئذ وهيامه في الاحراش مفتشا على الحشرات الارضية قريبا من المياه او بعيدًا عنها على حد سوى واما النوع الاخضر فانه لا يفارق المياه وما جاورها راضيا بما هنالك من الحيوانات المائية والبرية .

٣ = الحقيقة بنت البحث

هذه نبذه من فوائد الضفدع كشفها الباحثون واظهرها من طي الخفاء المدققون فعلمها الانسان بعد ان مضى عليه زمن وهو لا يرى لهذا الحيوان نفعا ولا يجد لخلقه سرًا واصبح بظهور سر ايجادها وايجاد امثالها حجة بالغة على تمام الترتيب الكوني ومحجة دامغة نتوصل بها الى الحكم بوجود فوائد لغيرها مما خفيت علينا طرق خدماته لانه لا يتأتى اختصاص البعض في ذلك دون البعض الآخر باعتبار ان كل من هذه المخلوقات متساو بكونه مخلوقه وهو لم يخلق عبثا . هذا وان الحكم على الشيء المجهول بانتفاء وجوده امر مخالف للعلم ومنافي للصواب سيما وان الانسان لم يحط علما بجميع اسرار الكائنات لينسب لهذا فائدة ويحرم غيره من امثالها فهو في الحقيقة لا يزال سابحا في غمرات الجهل تتقاذفه امواج الظن والتخمين ولا يمنعه عن عود الفرق في لجج ذاك البحر المظلم الا مبادىء معلومات التقطها مع تمادي الايام واوليات معارف اكتسبها في كرور الازمان يتقلب بها ذات اليمين وذات الشمال فلا يركن على راي ولا يقر على قرار

هذا ما لحظه افاضل العلماء وما اقر عليه رايهم اذ عرفوا مقدار ماخذهم من العلم فاستصغروه واحتقروه ولم يلههم اعجاب العالم بهم عن الاعتراف

بقلة بضاعتهم حتى في الاقرار بجهلهم شأن عالي الهمة الذي لا يسكره مدح المادحين ولا يسبط همتهُ قدح القادحين فاعتبر ذلك فيما فاه به اللورد كلفن من خطاب له القاه يوم يوبيلة في غلاسكو سنة ١٨٩٦ حيث قال « انني خدمت العلم عمراً طويلاً وانا ابحث واعلم واؤلف بثبات ونشاط ولكن وا اسفاه لا اعرف الى الآن عن حقيقة الكهربائية والمغنطيسية والنسبة بين الاثير والكهربائية او المادة والاتحاد الكيماوي اكثر مما كنت اعرفهُ يوم بدأت في تدريس تلامذتي الفلسفة منذ ٥٥ سنة واليك ماصرح به ايضاً احد فطاحل الاميركيين اذ قال اننا نمتاز عمن سلفنا في العلم بكوننا علمنا اننا جهلاء

٤ = مستقبل الانسان

مما قدمناه وما استشهدنا به من اعتراف بعض علماء العصر يتضح للقاري، اللبيب حقانية ما ذكرناه عن تاخر الانسان من الوجهة العلمية التاخر البين الذي سوف يتحققه اذا ما ارتقى لدرجة اعلا وتدرج لمنزلة اسما اذ من الفطرة البشرية ان لا يقتنع احد الناس بوجود النقص فيه الا بعد انتقاله عنهُ فان الصبي مثلاً يتوهم انهُ بالغ الغاية من الفطنة والفهم والكمال ولكنهُ لا يلبث ان يعرف غلطه اذا ما انتقل لسن الشبيبة حيث يستهجن قسما كبيراً من آرائه واعماله التي كان يستحسنها في ماسلف ويظن انها منتهى الكمال وغاية الصواب والشاب ايضاً لا يزال ظاناً انهُ نال في هذا الدور الحظ الاوفر من الادراك والنباهة حتى يرتقي لسن الكهولة فيتبين له نقص ما كان عليه وكذا الكهل فانهُ قد يغلب على فكره ان عقله صار في الدرجة القصوى وادراكه في المنصة العليا وهكذا كلما انتقل من دور الى آخر من ادوار الحياة وكبر عقله وازداد ادراكه تظهر له معايبه ومساويه ويتضح له ما كان عليه من

النقص والقصور .

فاذا داوم الانسان مسيره نحو الوجهة التي هو متجه اليهـا وحافظ على الطريقة التي هو سالك في حبها ولم يعترضه ما يحول اهتمامه لجهة اخرى او يوقف كده وجده فلسوف يبلغ من الترقي العرفاني درجة تجعله ينظر لمبلغه منهُ الحالي نظر الاحتقار والاستصغار درجة لم يحلم بهـا السلف ولم يتصورها الخلف لما فطره الله عليه من تمام القابلية ومزيد الاستعداد وما خصه به من التوصل لما يبذل اليه الجهد ولذلك قيل « همم الرجال تهد الجبال »

ولقد اخذ بعض ابناء العصر الحالي مع جدهم وكدهم لتحصيل العلوم وكشف المجهول يشيدون قصور الامل فيما سوف يصل اليه ابن جنسهم من الترقي والتقدم ويبنون صروح التوسم فيما سيبلغهُ من اعداد دواعي الراحة للهيئة الاجتماعية مقدرين ما ستصل اليه معلوماتهم ومعلومات ابنائهم من بعدهم ومخمنين ماستبلغ اليه اكتشافاتهم واختراعات مخلفيهم كما فعل الدكتور جلتيه بوازير والمجلة العلمية الافرنسية (شه سوا) فقد كتب الاول مقالة طبية خيالية مثل بها الطب والاطباء وما يؤمل ان تصل اليه الاحوال الاجتماعية في نحو مائة عام اي في سنة ٢٠٠٥ ورسمت الثانية ما بين دفتيها الحالة التي تظن ان الاستحمام البحري سوف يبلغها في سنة ١٩٥٠ فصورت الحمام على شكل مجمع لهوضام من آلات الطرب والسرور ودواعي الانس والحبور ما تلتذ به الانفس وتقر به الاعين .

فلا بدع ولا عجب اذا توصل الانسان لما يقدرونه له لان مانراه الآن من تسابق الامم في حلبة الترقي لهو على ذلك اعظم دليل واكبر برهان قياسا على ما قيل

واذا رأيت من الهلال نموه ايقنت ان سيصير بدرًا كاملا

اجل فلا غرابة لبلوغ الانسان ما يؤمله له من الرقي مادام على الخطة الحميدة التي كثيرًا ما رفعت لنا عن وجوه الحقائق سجف الاوهام و كشفت عن لطائف نور اسرار الكائنات ستور الظلام فظهرت لنا بفضلها حكم وفوائد كثير من المخلوقات كنا لا نعرف لها نفعًا ولا نعلم لايجادها سرًا وناهيك بما كنا نحسبه منها مضرًا بما يظهر لنا من سيئاته واضراره كدودة الارض وامثالها فتعبث به ايدي اللاعبين او يتلفه جهل الجاهلين

٥ = دودة الارض وفوائدها

اجيال متعددة مرت على العالم المتمدن وهو لا يعرف مزية حسنة لهذا الخادم الخدوم ولا يرى في حياته نفعًا ولا في خلقه سرًا فاخذ الحراثون يستفيدون به من غير الوجهة الطبيعية فكانوا ولا يزال اكثرهم يجمعونه وخصوصًا من ثلوم الارض بعد الحرث و يقدمونه طعامًا شهيًا لبعض الحيوانات الاهلية او يفلتون ما عندهم من الدجاج وما شاكله لالتقاطه من حقولهم فيربحون بذلك دريهمات قليلة لقاء ما يوفرونه من طعام حيواناتهم و يضيعون ما منحهم الله من الفوائد الجزيلة التي جعل حصولها على يد هذا المخلوق لى ان خط المتاخرون خطة الاكتشاف والاختبار فظهر لهم بفضل العلم وخدمته الدور المهم الذي تقوم به الدودة في هذا الكون والمنافع العظيمة التي تؤديها للهيئة الاجتماعيـة من اوجه متعددة من اهمها اصلاح التربة وتحسين المزروعات التي هي احدى اركان العمران

فان الدودة المذكورة تجدد تراب القشرة الارضية وتبدل منهُ ما نقصت فوائده وذهبت ذخائر نفعه بالاستعمال بآخر جديد تلتقطه من بطن الارض

ثم نلقيه على سطحها ناعما مهضوماً فتجدد التربة وتجعلها صالحة لاستئناف الزرع وقد قدروا ان الواحدة منها تنقل في السنة اكثر من ستماية غرام . وفي اثناء قيام الدودة بهذا العمل المفيد تدر خيرات لاتقل منفعتها عنه وهي انها تدره بواسطة مرها الذي تحفره على جملة امتار تحول الحقل الجيد الى مستنقع لايصلح للزرع بل يصير مبعثاً للروائح الكريهة وسبباً لتفشي الحميات الملارية وما شاكلها . وهي تمنع بواسطة مرها ايضاً ان تصبح الجنة الرطبة يبسة لان المسلك الذي قطره نحو خمس ملميترات لهو من اقرب الطرق لتسرب المياه لبطن الارض واعظم الوسائل لتهوية داخلها وايصال الاوكسيجين لاصول الاشجار التي قد تمتد امتداداً يمنع وصول الهواء اليها فلولا هذا المر الذي من جملة فوائده ايضاً حصول تماص الاسيد الكربونيكي الذي يفشي الارض بكثرة نظرا لثقله عن الهواء الجوي ولولا تداركها في الحرث ليبست تلك المزروعات اذ يحصل لها الفرق والاختناق او احدهما ولا سيما في التربة الخزفية .

ومن فوائد الدودة اتهامها المواد الآلية التي تعلو التربة كورق الاشجار وغيرها واشتغالها في خيم الاتربة العكرية والصاق اجزاء القشرة النباتية بعضها البعض فتامن خصب الارض . ولقد اهتم الاوروبيين اهتماماً كبيراً في البحث عن خصائصها ومنافعها ومنهم « م ربيو كور » الحائز على لقب دكتور في العلوم « م اندريا كمبولت » ليسانسية فانهما اخذا في درس خصائص هذا الحيوان والبحث المدقق عن احواله وما ينتج عن اعماله وقد جمعا زبدة ابحاثهما فكان من جملة تجاربهما ان وضعا كمية منهُ كبيرة في حقل ممحل تماماً يعلو عن سطح البحر الفا متر في جهة مور كن فاليه من فرنسا

وتركاها سنة رجعا بعد تمامها لذلك المكان فوجداه مغطى بقشرة ترابية رقيقة تدل على الخصب النباتي فلما رأيا اقتدار دودة الارض على تحويل المجدبة لمثلها صالحة للزرع اخذا يبحثان عما اذا كان لها التسلط على الحجارة الصلداء فجلبا قسماً منها من الجنس المدعو « هيلو دريلوس اكتروادس » *Helodrilus Octoedrus* الذي يعيش على منحدرات الجبال وضعاه على صخور عارية ليس للنبات بها اثر ثم تفقداه بعد سنة فلاحظا هناك اثار الدود المخاطية التي تتركها عند ما تمشي على سطح ملس وشاهدا قيام بعض النباتات الواطية التي تنبت على جدران الابنية العتيقة التي اخذ يتلوها فيما بعد الطحلب فالارقى درجة .

هذا وقد سبق العالم المتمدن شوطاً بعيداً في معرفة هذه الفوائد وامثالها لدودة الارض سكان اعالي النيل نهري النيل والكونغو اذ تراهم يرفضون العمل في الحقول التي لا تحوى على كمية كافية منها لما علموه في التجربة من ضياع الاتعاب وذهابها ادراج الرياح .

و بينما نرى اولئك الافريقيين البعيدين عن المدينة وعلومها يتمنون توفر وجود الدودة في مزارعهم نرى ان اكثر البلاد المدنية نفسها غير مكترسة بها فتبيعها رخيصة وتعمل على اتلافها وقطع دابرها . فحبذا حبذا لو تدع الزراعون هذا الخادم الخدوم قائماً بعمله بلا معكر لصفو حياته ولا معارض له عن سيره الطبيعي لنجني من ورائه الخير الجسيم والنفع العميم لان ما ينسبون له من الاذى فلا يعتد به قبالة ماله من الفوائد وما يشكونهُ من سيئاته القليلة فهو مغفور بالنسبة لما له من جزيل الحسنات وخالق الخلق يقول « ان الحسنات يذهبن السيئات »

يقولون وليس باطلاً ان في تجمع كمية مهمة من الدودة يخشى على المزروعات في اول نبتها اذ تلتف هذه على اصولها وهي لاتزال واهية وتاخذ في لدغها فتقصفها شطرين وينسبون لها جلب جراثيم الامراض المعلومة لمقطاعين حتى ولذوي الحراثة لترددها على اجساد المواشي الميتة من الفحم ولو مطموره في عمق بعيد بقصد التفتيش عن الميكروب المدعو بالبكتريدس الكربونيكي .

فهاتان الحالتان قليلتا الحصول ومع ذلك فقد يتوقى ضررهما و يدرء شر الثانية منهما بتغطية جثث الحيوانات الميتة بامراض معدية بغطاء من الكلس يمنع وصول الدود اليها فيتلافى بذلك الخطر .

اما ما يتهمونها به وخصوصاً في انكلترا من انها تتردد على موتى الانسان في اجداثها فهذا خال من الحقيقة لان تلك دودة اخرى تدعى في الاصطلاح العلمي اسكاري لومبريكوادس « *Ascaris Lumbricoides* »

٦ = عود على بدء

ظهرت هذه الفوائد للدودة والفضل راجع لما ذكرناه من تسابق الامم وافرادها في حلبة المعارف بغية التقدم واحراز قصب سبق الترقي ذلك بعد ان اصبح من المقرر الثابت ان العلم اس عمران البلاد ومقدمة نجاح العباد ومن كان في سبيل العلم الحقيقي مسلكه والرقي العرفاني همهُ و بغيته يؤمن راحته و يؤمل له مستقبل مجيد

وقد سلك الانسان في هذا السبيل واتبع كلا من خطة الاستطلاع والاكتشاف والبحث والاختبار فلا يبعد مع ما فطر عليه من الاستعداد ان تتجلى له الحقائق في اجلى مظاهرها وينكشف له كثير من اسرار الكائنات

فيعلم حكم الباري في المخلوقات ويأخذ في الاستفادة من الموجودات من الوجهة الطبيعية غير حارم النفس بيد الجهل مما يمكنهُ الانتفاع به واستخدامه لراحته و « كل من سار على الدرب وصل »

ولقد توسع بعض العلماء بتقدير ما يؤملون ان يصل اليه ابن جنسهم من التقدم ومنهم من اعتقد ان لا حد ولا نهاية لرقيه ومن عداد اولئك لا روس العالم الافرنسي الشهير فقد ذكر في دائرة معارفه من كلام له « ان من التهور المشين وضع حد لرقي الانسان » بيد ان الامر بالعكس اذ لا بد لرقي البشر من حد ينتهي اليه وموقف يقف عنده باعتبار كونها حادثة والحد والنهاية من لوازم الحدوث . واما ما ذكرته من الامل والتوسم بما سوف يبلغهُ الانسان فلا اقصد به ان بامكانه التوصل لمعرفة كنه حقائق الموجودات وتمام فوائدها لان هذا باعتقادي مستحيل بالنسبة له حتى ان احاطتهُ علما بسائر افراد الكائنات هو فوق قدرة امثاله واليك البيان والبرهان . . . . . .

٧ = برناردن دو سن بيير

في سنة ١٧٧٣ اخذ الكاتب الافرنسي الشهير برناردن دو سن بيير في تاليف كتاب يبحث به عن نظام الكائنات وما هيتها فذكر في مقدمته انهُ سيصنف تاريخاً عمومياً في الطبيعة يبحث فيه بحثاً مدققاً مقتفياً اثار اريسطو وبلين وشنسليه باكون وغيرهم من فطاحل العلماء القديمين والحديثين بيد انهُ لم يكد يخطو خطوة في هذا المشروع حتى احس بالعجز من نفسه فرجع الى الوراء معترفاً بتقصيره وقصر عمر الانسان عن النظر والبحث في عموم الخليقة واليك معنى ما قاله في بدء عمله .

في يوم من ايام الصيف اشرفت بنظري من نافذة البيت الى البستان

الذي حوله فاستلفتني جنس من الذباب رايتهُ على شجرة من الفريز اوقع في نفسي الميل الى اخذ صورته وتدوين هيئته عندي ·

وفي اليوم الثاني اعدت الكرة على نفس الشجرة فابصرت ما لم ابصره في الامس رايت عليها جنساً آخر مبايناً في الصورة واللون للأول فاخذت وصفه ايضاً وهكذا في اليوم الثالث والرابع الى ثلاثة اسابيع كنت انظر في كل يوم ذباباً جديداً لم اكن رايتهُ من قبل فاحصيت مجموع ما لاحظتهُ في تلك المدة فكان سبعة وثلاثين نوعاً مختلفي الهيئة ·

كنت متسلياً في مراقبتي هذه غير ان توارد الذباب اخيراً بكميات وافرة باجناس مختلفة الزمني ان اترك هذا الدرس لعدم سنوح الفرص بل في الحقيقة لاحساسي العجز من نفسي عن مداومة الوصف · فالذباب الذي كنت اراقبهُ كان متمايزاً في الاشكال والحركات فمنهُ الذهبي والفضي والازرق والاخضر والفاتح والمكفهر ومتقلب اللون ومنهُ ما كان ياتي للشجرة ليضع عليها بيضه ومنهُ ما كان يأتيها للتفيء بظل اوراقها من الشمس بيد انني كنت اجهل قصد السواد الاعظم من هذا الحيوان اذ بينما كنت ارى بعضهُ ذاهباً آتياً بحركة دائمة كنت ارى البعض الآخر منهُ مايحرك مؤخر جسمه ومنهُ ماهو ساكن متأمل ينظر الى غيره ملاحظاً حركاته كانه مشتغل مثلي في المراقبة ·

وفي اثناء ذلك تناول عالمنا المحكي عنهُ المكرسكوب بيده واخذ يتفرس فيما على الشجرة من المخلوقات الصغيرة فانبهر عقله عندما راى ان كل ورقة منها كعالم مستقل فيه لتزاوج وتوالد وتموت الانفس وحكم اخذاً في الظاهر ان لا بد من وجود حيوانات اصغر مما توصل للاضطلاع عليها ولكن النقص الذي لا يزال في المكرسكوب هو الذي حجزه عن رؤيتها ·

فلما تحقق ان لا يعلم جنود ربك الا هو ولا يحصى انواع الكائنات واجناسها الا الذي خلقها وسواها على قصوره وضعفه ورجع عن فكره وقصده معتقداً ان الدرس المدقق في صنف واحد من النباتات مع الكلام على تعلقاته مع العالم الحيواني يكفي جملة حكماء امثاله بل قد يفضل عنهم وشبه نفسه بالولد الذي حفر حفرة في الرمل واخذ ينقل اليها ماء البحر في صدفة بيده واليك ما كتبهُ بعد ذلك الى هنن احد اصحابه « ان تصوراتي وافكاري ليست هي الا خيالات من الطبيعة »

٨ = خلاصة القول وخاتمته

فخلاصة القول ان لكل من الكائنات سرًا في وجوده وحكمة في خلقه والانسان اقصر باعاً من ان يدرك نظامها بالتفصيل والتدقيق ويعلم خاصيات جميع افرادها بالتحقيق لكن ما لا يدرك كلهُ فلن يترك جله · وصواباً ما شبه به نفسه برناردن دو سن بيير وما اشار اليه من ان عقل الانسان كالحفرة التي حفرها الولد والحقائق كالبحر ومحال ان تحوى الحفرة ذاك البحر الهائل غير ان في اعتقادي ان هذه الحفرة لا تزال بما نقل اليها افرغ من فوآد ام موسى اذ كلما اكتسبه الانسان الى الآن ليس هو نقطة من بحر مما يمكنهُ تحصيلهُ ولا حبة من رمل مما يستطيع ادراكه والله اعلم في الصواب واليه المرجع والمآب

الحياة السعيدة

لداود افندي قربان

لقد تضاربت آراء العلماء والسادة اللاهوتيين في مسألة الحياة وتعددت اقوالهم من جهة منشاها ومصيرها حتى امست الشغل الشاغل لعقولهم واهم المباحث عندهم واسماها . ولست اقصد الان التعرض لاثبات آراء فريق منهم او دحضها لكني اتوخي الالماع الى الطرق التي تمكننا من جعل زمن حياتنا الحاضرة سعيداً

لقد انكر قوم امكان الحصول على السعادة في هذه الحياة وقالوا ان الحياة كلها تعب وشقاء وهم وعناء . وخالفهم آخرون وقالوا بامكان ذلك والصحيح ان الحياة تكون كما يريدها صاحبها فهي كمدية ان امسكها المرء بمقبضها قضى بها حاجته ولم تجرحه وان امسك بنصلها جرحتهُ والمتهُ

اذا دخلنا قصور العظماء واكواخ الصعاليك وتفحصنا احوال كل طبقة من الناس وجدنا ان الحياة السعيدة ضالتهم المنشودة . وانما اختلفت مذاهبهم في البلوغ اليها والحصول عليها . فمنهم من ظنوا ان السعادة تستتب لهم بحشد القناطير المقنطرة من المال فامتطوا صهوة الكد والاجتهاد وجابوا الاقطار وتجشموا الاخطار ولكنهم لم يفوزوا بالمرغوب ولا حازوا المطلوب . فكان نصيبهم الخيبة والاسى . ومنهم من احرزوا الاموال الطائلة فبنوا القصور الفخيمة والصروح الباذخة تحيط بها الجنات الفيحاء والخمائل الغبياء وابتاعوا الضياع والدساكر واقتنوا المركبات الجميلة تجرّها الجياد العتاق ولكنهم مع

ذلك كله لم يبلغوا السعادة التي سعوا وراءها لانهم لم يقنعوا بما حصلوا عليه بل ظلت انفسهم طامحة الى المزيد . وكان المال الذى جمعوه سبباً لحرمانهم هناء العيش ولذة المنام ولو كانوا في الفراش الوثيرة على اسرَّة ذهبية لقلق بالهم واضطراب افكارهم . فاذا تاخر احد المصارف المالية هلعت قلوبهم وذابوا كمدًا واذا سمعوا بان النار شبت في سوق من الاسواق اصطكت ركبهم وارتعدت فرائصهم فرقًا . واذا هبطت اسعار القراطيس الماليـة او حدث تغيير في التعريفات التجارية وجفت افئدتهم وربما عراهم من جراء ذلك داء السكتة اومنوا بالفالج وذهبوا ضحية حب المال . قيل ان جاى كولد المثرى الاميركي الشهير كان دخله السنوى يربي على مليون ليرة انكليزية فكان ينفق خمس هذه القيمة ويضم الباقي الى راس المال ولكنهُ كان كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال من القلق . ولشدة اهتمامه بادارة امواله لينال منها الارباح الفاحشة اصيب بداء عقام نغص عيشه واودى بحياته وهو في سن الكهولة .

ولا يجب ان ننسى ان الفريق الاكبر ممن يجعلون غايتهم العظمى من الحياة حشد الاموال لا يبلغون المرام ولا يفوزون بالرغائب فقد قدر الخبيرون انهُ لا ينجح اكثر من اثنين في المئة منهم نجاحًا يذكر

وليس قصدى ان احط من قدر الغني والاغنياء بل ان ابين انَّ مجرَّد الغنى لا ينيل السعادة . فالبدوى الذى ينام في العراء بين الاباعر والشياه اديم الارض وطاؤه والسماء غطاؤه انعم بالا واسعد حالاً من غني حشو مخدته الهموم وحليفهُ الارق وسميره السهاد . ولا انكر ان للمال قوة عظيمة ولكن لقوته حدًا معيناً . به يقدر الانسان ان يشتري ما يشتهي من ضروب

الاطعمة الفاخرة ولكنهُ لا يقدر ان يبتاع به شهية للتمتع بتلك الاطعمة . به يستطيع ان يبتاع القصور الجميلة ويزينها باجمل الأثاث وانفس الرياش ولكنهُ لا يستطيع ان يصد هجمات الادواء عنهُ وهو متمنع فيها . به يستطيع ان يلجم السنة الناس عن ثلم صيته ولكنهُ لا يقدر ان يسكت تقريع الضمير وتبكيتهُ الشديد

ومن الناس من يظنون ان السعادة تقوم بتحصيل الجاه الرفيع والرتب السنية فينفقون في سبيل نيلها ما عز لديهم وهان فاذا تحققت امانيهم وتبوأوا المناصب الخطيرة ونالوا مكانة سامية لا يلبث ان يقذف بهم من حالق المجد والسؤدد الى حضيض الخزي والهوان . فيجرعون من مرارة الخيبة ماينسيهم حلاوة الظفر . واذا والاهم الحظ وثبتوا في مركزهم الخطير ردحاً من الزمان كانوا في غضونه عرضةً للهموم والقلق من ثقل الواجبات ومخافة الوشاية بهم ممن يريد لهم الخسف والضيم . وهكذا تمرّ بهم الايام وهم في وجل دائم وهم مقيم . وتاريخ البشر اعدل الشهود على صحة ذلك . فمن جعل اهتمامه الوحيد البلوغ الى المراكز الخطيرة لمجرد ان يعده الناس عظيماً وليس لخير ينويه لبلاده او نفع بني جنسه لا يظفر بضالته المنشودة . هذا وكثيرون من طلاب المراتب وخطاب المناصب يصرفون قسماً عظيماً من حياتهم في طلب الرفعة وهي لاتزيد الا صداً ونفاراً فيقضون غابر حياتهم نادبين سوء حظهم آسفين على ذهاب مساعيهم سدًى نادمين على ما فات ولات ساعة مندم

ولاتستلب السعادة للمرء بالنانق في المآكل والملابس ولا بانتياب اماكن اللهو والطرب ولا برشف بنت الحان هادمة اركان الفضيلة والعمران قال احد الافاضل « اي طالبي السعادة انكم لا تجدونها في الترفه ولا في جميع

لذات الجسد ولا في المال ولا في الشهرة لان مصدرها القلب الطاهر » وها كم ما قاله بهذا الصدد سليمان الحكيم الذي كان له مغنون ومغنيات وجنات وفراديس وكل تنعمات بني البشر « الكل باطل وقبض الريح »

ورب قائل يقول ان كانت السعادة لا تقوم بماذكر فبماذا ؟ فاجيب انهُ يتعذر الحصول على السعادة المطلقة في هذه الحياة ولكن في الامكان الحصول على سعادة نسبية وهذه تتوقف على امور اذكر منها اربعة اجعلها اركاناً لها :

الاول الصحة : من الاقوال المأثورة ان الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى . فلو كان للانسان مال قارون ومقام سام وكل اسباب البهجة والسرور ولكنهُ كان سقيماً عليلاً لما عد ذاتهُ سعيداً ولا حسده من هم دونهُ مقاماً وثروة . بل كم من سيد عميد تمنى لشدة مرضه وكثرة اسقامه ان يكون في منزلة احد خدمه الصحيح البنية المجدول العضل

وكان كثيرٌ من القدماء يحسبون الجسد عدواً للنفس . فكان من اخص واجبات المتدينين منهم ان يضعفوا الجسد بكل الوسائط الممكنة كالاصوام الطويلة والسهر والتقشف ولبس المسوح والسكنى في العراء في حر الشمس وبرد الليل . ولم تكن امة من الامم القديمة تعتني بالجسد مدة الحياة وتحافظ عليه بعد الموت كالامة المصرية . وحذا اليونان الاقدمون حذو المصريين بان وجهوا عنايتهم الى تقوية الجسد بالرياضات المختلفة وحسبوا الصحة في عداد الالاهات وسموها هيجيا ومنها علم الهيجين . واما المسيحيون ولا سيما اهل القرون المتوسطة المعروفة بالمظلمة فقد ذهبوا مذهب البراهمة والبوذيين في تعذيب الجسد واضعافه فكان اعظم القديسين عندهم من اوى الى الكهوف وتبلغ بالقوت السخيف ولبس الاطمار البالية . ولكن قد انقشعت

سحب الاوهام عن الافهام او كادت وصار الناس يعدون الصحة بركة من اعظم البركات واساساً لكل تقدم سواء كان عقلياً ام ادبياً ام دينياً

نعم انهُ نبغ قوم من ذوي الاجسام الضئيلة واغنوا العلم والعالم بنتاج افكارهم وانما هذا نادر والقاعدة العامة هي «ان العقل السليم في الجسد السليم» وصحة الجسد تقوم بمراعاة شروط تتعلق بالطعام والشراب واللباس والرياضة والنظافة والنوم فكثيرون يهملون مراعاتها فيقعون في الامراض ولا يعودون قادرين على القيام باعمالهم والتمتع بخيرات الدنيا . يفرطون في الاكل كأنهم خلقوا ليأكلوا ويبالغون في رشف السائغة المترقرقة في كأس الهلاك وشعارهم «يضر ولا يفوت» . يتبعون الازياء الجديدة ولو اضرت بصحتهم ويهملون الرياضة في الهواء النقي ويتركون مفرزات الجلد تتلبد عليه وتسد مسامه والماء يغطي ثلاثة ارباع اليابسة . ويصرفون الليالي في سماع الغناء القيان ومعاقرة معتقة الدنان حارمين انفسهم لذة المنام . فمثل هؤلاء بشرهم بهم ناصب وعيش شاصب

ومما لا يجوز اغفال ذكره المحافظة على صحة العقل لان له تاثيراً مهماً في صحة الجسد فالافراط في تشغيل القوى العقلية والهم الشديد يوهيان قوى الجسد على حد قول الشاعر:

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ومما يجب مراعاته حفظاً للصحة الاداب والعوائد الحسنة مع الاقلاع عن السيئة التي تفضي الى المرض والضعف وتجعل الحياة عبئاً ثقيلاً يحاول الانسان التملص منه بالطرق المحرَّمة

فيا ايها الشبان الذين تضعون اليوم اساس الحياة المستقبلة لا تكتفوا

بان تعالجوا الجسد بالدواء حين الاعتلال بل قووه بالرياضة والنظافة والطعام المغذي غير متجاوزين حد الاعتدال كما يفعل البعض ممن جعلوا المهتم بطونهم لان الانسان انما يا كل ليعيش ولا يعيش ليأ كل . وروضوا عقولكم بالعلوم ومطالعة الكتب المفيدة والمجلات العلمية والجرائد الشريفة المباديء نابذين وراء ظهوركم الكتب والجرائد التي تفسد الاداب وتلقي في مهاوي العطب والفساد . فاذا راعيتم كل ذلك كان عمركم مديداً وزمان حياتكم سعيداً وتمتعتم بنعيم الحيوة وافراحها

الثاني البيت . واريد بالبيت تلك المملكة الصغيرة المعروفة بالعائلة التي يتولى ادارتها الوالدان . ولا يخفى ان بعض البيوت مربع السعادة والهناء وبعضها مرتع الشقاء والعناء فلابد هنا من سر مكنون نقضي الحال بالبحث عنهُ توصلاً الى حقيقة ذات شان

كل انسان يصبو ان يكون بيته مغنى الافراح ومباءة تفريج الكروب والاتراح لانه القلعة الحصينة التي يأوي اليها حينما تساوره ارزاء هذه الحياة وهمومها ولكن لا تتحقق له هذه الامنية في كل حال كانها نتيجة طبيعية فاذا رغب في تحقيقها ترتب عليه ان يسعى لها كما يسعى للحصول على كل ما هو عزيز وثمين

فاذا اراد الانسان ان ينشيء حديقة بذل جهده في انتقاء الاغراس اللذيذة الاثمار والنباتات الذكية الرائحة الجميلة الازهار وتعهدها بالركس والسقي والسماد وكل ذرائع الخصب والنماء . والعائلة اعظم شاناً وارفع مقاماً من كل الحدائق الغناء . فاذا رغب المرء في ان يكون سعيداً في بيته وجب ان يختار له ربة جيدة البنية حسنة الاخلاق نقية الاعراق طاهرة

السيرة والسريرة مهذبة لها الملم في تدبير المنزل ولو لم تكن ذات مال . واذا ارادت الفتاة ان تحيا حياة سعيدة فلا ترضَ بعلاً لها من كان ماجناً خليعاً سكيراً فظ الطباع بذي اللسان ولو كان على جانب عظيم من الثروة . اعرف فتاة حسناء ادبية تربت في حجر الدلال على اقوم مثال ولما بلغت اشدها خطبها الى ابيها كرام الاصهار فرفضهم لانهم لم يكونوا من ذوي اليسار . ولكن لما خطبها اليه احد المارقين من الدين وواسطة عقد السكيرين لم يتردد في القبول لانه كان غنياً . ولكن كيف كانت حالة تلك الحسناء في بيت اشقى الاشقياء . كانت حالتها اسوأ الحالات وما لبثت ان تبدلت نضارة صباها بالذبول والنحول فعادت الى بيت ابيها الذي جنى عليها تعض انامله ندماً ولات ساعة مندم . واعرف شاباً ادبياً غنياً اقترن بفتاة سمهرية القد متوردة الخد ذات ثروة ولكنها عارية من كل ما تتصف به المرأة الفاضلة فما عتم ان صار يرى جمالها قبيحاً . لان الجمال الحقيقي يقوم بكمال الاخلاق وحسن الآداب . وكان بيته في عينه جحيماً وقعيدته شيطاناً رجيماً . ولشدة ما كان يعاني من سوء تصرفها قضى وهو في ريعان العمر وغضارة الشباب فاذا لم تتفق المشارب والاخلاق بين الزوجين فلاهناء والمسئولية في توطيد اركان السعادة البيتية ليست على الرجل وحده وعلى المرأة وحدها بل كلاهما مسئول بذلك . فاذا تذكرا عهودهما المقدسة بان يعيشا بالمحبة والسلام وثبتا فيها كان عيشهما رغيداً ولو لم تتوفر لهما الثروة ولا الجاه اذ المحبة تتأنى وترفق ولا تطلب ما لنفسها ولا تظن السوء وتحتمل كل شيء . وحيثما دقت اطنابها وضربت قبابها رفرفت املاك السلام باجنحتها الذهبية وتصاعد بخور السعادة عن مذبح تلك المحبة الحقيقية . ومن اهم الامور للحصول على السعادة البيتية

الدين . ولست اعني بالدين نحلةً مخصوصة . فلبيت الذي الدين مناره والفضيلة شعاره تبقى السعادة سائدة فيه ولو خيمت في جوه الاحزان والمت بساكنيه طوارق الحدثان لانهم يجدون في مواعيد القدير تعزية في النوازل وفي عنايته الخصوصية سلواناً في الخطوب

والاولاد زينة البيوت وابهى حلاها ومجلبة للسعادة اذا نشئوا منذ نعومة اظفارهم على حب الفضيلة والتقى . سئل مؤخراً الجنرال كوروكي الياباني اثناء زيارته الى اميركا عن السعادة فقال « ان السعادة هي القناعة بالمعيشة العائلية والتمتع بزوجة كريمة الاخلاق شريفة المبادي، محبة واولاد حسني التربية . لان الهناء العائلي هو اساس السعادة في هذا العالم وهو وحده مصدر النعم والبركات ولا سعادة لانسان بدونه وهنالك ايضاً واجب آخر لا بد منهُ لتوفر السعادة الحقيقية اريد به علم الرجل انه قام بما يفرضه عليه ضميره من الواجبات » والاختبار اصدق دليل على صحة ما قيل

الثالث خدمة الانسانية . لاخفاء ان الجنس البشري عائلة واحدة ولو تباين افرادها في الهيئات والالوان وتفاوتت درجاتهم في التمدن والعمران ولهم بعضهم على بعض حقوق متبادلة لا يجوز في شرع الانصاف اهتضامها وديون لا يحل انكارها . وكلما ارتقت امة في مراقي الحضارة وامتد سؤددها ونمت ثروتها عظمت مسئوليتها نحو من هم دونها . والشعور بهذه المسئولية استفز الامم المتمدنة الى تلك النهضة الشريفة لالغاء النخاسة وتحرير الرقيق وحداهم الى تأليف اللجان الخيرية وارسال قوم من نصراء الانسانية الى البلدان التي لا تزال تتسكع في مفاوز الهمجية لتنوير اذهان سكانها واستئصال شأفة العادات الوحشية من بينهم ونقلهم من قفار التوحش الى رياض المدنية . ولم

ينحصر عمل تلك اللجان الشريفة بين متوحشي جزائر فيجي ونيوهبريديز بل امتد الى من اخنى عليهم الزمان من بني آدم فبنيت المدارس لتعليم العمي والصم والمستشفيات لمداواة ذوي الاسقام والمتصدقات ودور العجزة والميامم للذين لا ناصر لهم الا الله ومحبو الاحسان فلو استولت محبة الذات وعاش كل لذاته لعم البلاء وتفاقم الشقاء وهجرت السعادة كل ربع وكيف يستطيع ان يكون المرء سعيداً والبلاء عام والشقاء متفاقم بين مجاوريه ومواطنيه وبني جنسه فاذا اردنا ان نكون سعداء فلا نعش لذواتنا بل لنبذل ما في وسعنا لاسعاد غيرنا ممن يفتقر الى مساعدتنا . وليس من الضروري ان تكون المساعدة مالية فكثيرون لا يحتاجون الى المال فعيادة المريض وتعزية الحزين وهداية الضال واحياء ميت الاميال في الياس كلها خدمات شريفة تفعم قلب من يقوم بها سروراً وابتهاجاً . قيل ان جلالة الملكة فيكتوريا كانت تزور المستشفيات من وقت الى آخر وتطيب قلوب المرضى بكلامها وتخيط ثياباً وتوزعها على المعوزين فتجد في صنيعها هذا سروراً داخلياً لم ينلها مثله جلوسها على العرش البريطاني

وقد يتوهم البعض ان السعيد في الدنيا هو من توفرت لديه اسباب المسرات وكان له خدم واعوان وبيوت وخيول ومركبات او من كان سامي المواهب العقلية وبلغ من العلم شأواً بعيداً . ولكن قد يتوفر كل ذلك للمرء ولا يكون سعيداً . والمقياس الحقيقي للسعادة هو كيفية استعمالنا لما وهبهُ الباري لنا فاذا استعملناه لمجرد نفعنا الشخصي عشنا في دائرة ضيقة واما اذا استخدمناه للنفع العام عشنا في دائرة اوسع وكانت اسباب سعادتنا اوفر . قال احد الفضلاء ان اسعد الناس هو من حمل العالم على قلبه وغمره بمحبته وافاده بمواهب عقله .

الرابع القناعة والثقة بالله . قيل ان القناعة مال لاينفد وقال الشاعر:

هي القناعة فالزمها تعش ملكاً لو لم يكن منك الا راحة البدنِ
وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

مما يكدر صفو عيشنا ويسلبنا راحتنا في هذه الحياة عدم رضانا بالمركز الذي عينهُ لنا استعدادنا ومواهبنا التي خصنا بها الباري تعالى وطموحنا الى مركز غيرنا وهذا يذكي فينا نار الحسد ويورثنا الغم والكمد . قال بعض الافاضل انما خالف الله تعالى بين طبائع البشر ومواهبهم ليوفق بينهم في مصالحهم . ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والتجارة والسياسة وفي ذلك بطلان المصالح وذهب المعايش . فجعل الله الاختلاف سبباً للائتلاف . وكلما ارتقى الناس في سلم المدنية والعمران تباينوا في الاخلاق والاذواق والعادات والمهن فلو زرنا مدينة من المدائن العظمى في الدنيا كلندن او باريز او نيويورك لوجدنا اختلافاً بيناً في طبقات الناس ومهنهم بحسب تباين اذواقهم واستعدادهم اختلافاً لا نجده في البلدان العريقة في الهمجية حيث يغلب ان يكون لرجال القبيلة الواحدة عمل واحد كالصيد او الفلاحة . واما في تلك المدن فنرى الحاكم والسياسي والعالم والطبيب والمحامي والتاجر والواعظ والزارع الى غير ذلك فلو كان كل منهم يكب على عمله ويشحذ غرار القريحة ليبلغه حد الاتقان لجنى ثمار اتعابه وتمتع بها هنيئاً مريئاً . ولكن لو صرف التاجر فكره عن تجارته واخذ يحسد الحاكم الذي ينقد راتباً كبيراً وله مقام سام في المجتمع الانساني لاستولى عليه الغم وربما تاخرت تجارته . وهكذا لو اخذ الصانع يحسد الطبيب والمحامي متوهما ان الدراهم تنهال عليهما انهيالاً بلا تعب ولا نصب وهو يلتزم ان يكابد عرق القربة ليحصل على ما يقوم

بالحاجيات لعدم الراحة ومني باليأس . وبالاختصار لو كان للانسان مال كثير ومنصب خطير ولم يكن قنوعاً كان الهم جليسه والشقاء حليفه وانيسه. ولقد صدق من قال ان العادة هي التوازن بين القوى الداخلية والاحوال الخارجية فاذا لم يكن توازن فلا سعادة ولذلك نرى ارباب المطامع غير سعداء.

والسعادة الحقيقية التي لا يشوبها شائبة هي ما نشأت عن مدح الضمير الصالح والايقان بان وراء النواميس الطبيعية يداً خفية تدير شؤون هـذا الكون بالحكمة الفائقة ولا تصنع الا الخير وبان وراء هذه الحياة حياةً امجد وابقى لا يمازجها غم ولا حزن. وهذا اليقين كان سر سعادة الابطال والشهداء الذين احبوا الحق وانتصروا له في كل مكان وزمان وجاهدوا تحت لوائه بقلوب لم تروعها السجون ولم ترهبها النيران ولا المنون.

خطاب الى السوريين

في اميركا

(لداود افندي بركات)

يا ايها السوري الذي هجر ربى لبنان ورياضه وربوع سوريا ومراتعها الى بلد انزل الله عليه الخير والنعمة طلباً لتلك النعمة وذلك الخير . وعلى قلوب اهله النشاط والحرية والهمة والعلم والمدنية تطلباً لتلك الصفات الجميلة والخلال الحميدة . يحييك اليوم من هاجر هجرتك واغترب غربتك ويمـد اليك من فوق البحار يد الاخاء يحثهـا لمصافحتك توقان اليك هو توقان الى نفسه وغيرة عليك هي غيرة على ذاته. وشغف بك هو شغف بحاله . يرقب

في الرقي والنجاح خطواتك كما يرقب خطواته . ويسير في مصر الهوينا الى مرامي آماله الكبار ومنازع نفسه ليل نهار وعين منه الى طريق افلاحه واخرى الى منهج اخيه في العالم الجديد في سبيل نجاحه . فكأنهُ وكل بشرى يسمعها عنهُ يعدها لنفسه وكل هجر يقال له فيه اساءة له فيه شطر من روحه فاذا كنا على صلة ما وعلاقة بالتجارة والصناعة والجمعيات والحياة المشتركة فان لنا في تلك الارض التي هجرناها والبلاد التي انبتتنا فاحببناها عروة وثقى تربط متفرقنا وتجمع شملنا بل مرجعاً واحداً يجمع شتاتنا ويوحد امانينا . فاذا تداعى منا عضو في بلد من بلاد الله او في قطر من اقطار اليابسة تداعت له سائر الاعضاء . فعين تدمع في اطراف اميركا تدمع لها كل عين في سوريا ومصر بل في كل قارة ويبس من العالم حيث يقيم السوري او ينزل . وثغر يبسم في فيافي السودان تبسم له ثغور اخوانه في كل مكان . فاذا ما اتيح لنا ان نتناجى على صفحات الصحف وليس لنا وسيلة للمناجاة غيرها اطلقنا هذا القلم الضئيل يحدث اخواناً بما تكن الصدور وتسر النفوس وتخفي الضمائر

***

اخواننا المهاجرون . تركتم بلاداً انبتتكم الى بلاد اوتكم . فاذا كان للثانية فضل المضيف فان للاولى فضل المنبت الوالد والمربي المحب . ولقد كنتم بررة بتلك الام التي رضعتم افاويق اخلاقها وآدابها فنفحتموها بثمرة ايديكم وجنى نشاطكم واقدامكم فصارت سوريا على شيء من الثروة والغنى اذا لم تحسدها سائر الاقطار فانها هي ذاتها تغبط نفسها بينين جابت ارجلهم كل ارض تشرق عليها الشمس بل ان الشمس لاتشرق الان على ارض ليس فيها سوري حتى صار من حقوق سوريا اذا رات سحابة في الافق ان تقول

لها امطري حيث شئت فان لي من نتاج خيرك نصيباً بفضل ابنائي . لكن هذه الغبطة تشفق ان تكون في ذات يوم غصة اذ تضيع قوة بلادنا المهاجرة ارضنا وتنكرنا سلالة تلك القوة ان لم نعرفها ولم تعرفنا . ومن لا يعرف شيئاً كيف يحبه

اجل ان سوريا تشفق منذ الآن من ذلك اليوم العصيب الذي يصيبها فهل ترون يا ابناءها الذين تحبونها الآن حباً تحملون معهُ المتاعب والمشاق لتغذوها بنتاج ايديكم وعرق جباهكم ان تكفوها مؤونة ذلك اليوم الذي تقف فيه ناظرة الى مئات الالوف من خيرة ابنائها وقد هجروها بتاناً ونسوها نسياً تاماً ولم تعرفها سلالتهم »

الا ان لسوريا حقاً تطالبهم به منذ الآن . فاسمعوا صوتها الصارخ ولبوا نداءها العالي وثقوا انهُ لا يجتمع الآن سوريان حتى يتحادثا باخوانهما المهاجرين وما آلهم فاذا كانت الصحافة بينكم قد خلقت لكم جامعة وذكرتكم بايام الصبا ومراتعه وجمال لبنان وبهجة دمشق ورواء حلب وخصب حمص وكرم الاهل ومحبة الاوطان فهل يكون ابناؤكم مثلكم وهم لم يتعلموا لغتكم ولم يذوقوا لذة بلادكم ولم تطبع على قلوبهم والدتهم محبة ارضكم ؟؟ . سائلوا ايها الاخوان انفسكم معنا واحيروا الجواب الذي يرضينا ويرضيكم . احيروا هذا الجواب المرضي بانشاء المدارس التي تعلم ابناءكم لغتكم وتاريخ بلادكم واحفظوا لاولئك الابناء تلك الجنسية الثمينة لانها لا تضر بكم في دار هجرتكم وهي تنفعنا وتنفعكم لانها تحفظكم لنا وتحفظنا لكم ولان لبلادكم مستقبلاً زاهراً تطال اليه الاعناق منذ اليوم فانتم احق به من كل مهاجر لان السكك الحديدية بدأت بتقريب الابعاد وتقصير المسافات وتعمير الاراضي الخصبة التي لا نظير لها

في الخصب والجودة في سائر المعمور . فقد باتت حلب على مسافة يوم من بيروت وغداً تبيت الاناضول على مسيرة يوم منها وبعد غد تصير سهول العراق ومعادن تدمر ومنابع الزيت في ديار بكر على مقربة من اطراف سوريا بل ان سوريا ستكون غداً ما كانته قديماً طريق الشرق الى الغرب وطريق الغرب الى الشرق . وهذا الغد غير بعيد نود ان نراكم فيه معنا بما نعرفهُ فيكم من النشاط وبما عندكم من رؤوس الاموال فتعمرون ارضكم البائرة الجميلة حيث تجدون العزة التي لا تجدونها في الغربة مهما علا شانكم وكبرت ثروتكم لان الغريب كالغرسة تقلع من منبتها . نحن كلنا في ديار الغربة نشعر باننا اجانب ومهما كبر تلطف النازلين بينهم فاننا لا نستعيض به ما فقدنا

بطر يرفس وجائع يفترس

(آية هذا الاجتماع الفاسد)

لداود افندي مجاعص

جاءت فافترست = في سنة ١٩٠٦ نزل مدينة سان باولو في البرازيل عيلة اسبانية قوامها زوج وزوجة وابنتان والبرازيل عامة وسان باولو خاصة بلاد تعود اهلها الاسراف والبذخ وطيب العيشة وحيث فشت هذه العادات وجب ان ترتفع اسعار الاشياء جميعها فليس للفقير ان يعيش هنالك الاَّ بشق النفس

الاسباني وزجته وابنتاه اربعة في مدينة لا يستطيع الفرد ان يعيش فيها باقل من مايتي فرش في الشهر فاقل قيمة تستطيع هذه العيلة ان تعيش بها هي ثمانمئة فرش شهرياً

قد يكون الوالد يملك نفقات السفر الى البرازيل وقد يكون استدانها وقد تكون احسنت اليه بها جمعية خيرية والمهم هو انه بلغ البرازيل مع اسرته وقد خط الفقر على جيوبهم وعش خالياً

لاي سبب استسلم هذا الوالد الشقي الى الكسل ؟ يقول الناس انه خلق كسلاناً اما انا فلا اعرف مخلوقاً فيه هذا الخلق والطبيعة لا يوجد فيها شيء اسمه « كسل » وانما هو متولد عن غلط اجتماعي فصح يقال له « سوء استعمال القوى » او سوء استعمال المواهب فانك ترى في كل مخلوق ميلاً غريزياً الى عمل خاص تكون الطبيعة قد اهلته اليه من فطرته فخلق معه في تكوينه فاذا عمل به وجب ان يكون مجتهداً نظراً لدافع اللذة التي ترتاح اليها النفس بعمل ما يلائم طبيعتها وحتى اليوم لم يفهم البشر هذا السر كما يجب فتراهم يريدون ان يشغلوا النملة في جر الاثقال والفيل في التصوير وقد وضعوا امامهم قاعدة فاسدة هي « الانسان ابن تربيته لا ابن طبيعته » وبناء عليها يحاولون تحويل مجرى القوة الطبيعية عن اصله ويجربون ان يقاوموا الفطرة وهنا الغلطة العمرانية الفاحشة التي يتولد عنها الكسل

***

هذا الولد مخلوق ليكون موسيقياً فان راسه الصغير الجميل وعينيه اللامعتين التائهتين وانفه الدقيق ويديه الناعمتين واصابعه اللينة الجميلة واصغائه لموسيقى الطبيعة وانشاد العصافير وانجذابه للغناء وتحريك يديه ورجليه حركة موافقة للنغم كلها تدل على انه خلق ليكون موسيقياً

قليل في الناس من يفهم هذا السر العظيم الدقيق والذي يتوقف عليه الاجتهاد والاجتهاد شقيق الكسل ليس بخلق طبيعي في الناس ولكنه متولد

عن اللذة فالعامل الذي يعمل بما يوافق فطرته تراه مجتهداً فيه بل تراه مستغرقاً في بحر اللذة حتى اذا كلمته لم يسمعك

فاذا جاراه البشر في امياله وسمحوا له ان ينصرف اليها ويعمل بها نبغ فيها وكان مجتهداً غير انهم اذا شاءوا ان يحولوا هذا الموسيقي الى حداد فهم يحاولون ان يخلقوا رجلاً كسلاناً ذلك لان الحدادة لا تلذ له فاذا زاولها قد يتقنها ولكنه لا ينبغ فيها ولا يكون مجتهداً . قد ينسى فطرته ولا يعلم ما هو العمل الذي اعدته الطبيعة اليه ولكنه لا يستطيع ولا تستطيع قوة في العالم نزع امياله الفطرية منه فهو اذا طرق المطرقة على السندان او اذا نفخ الكير تراه يطبق وقع ضرباته على نغم موسيقي وهو عندئذٍ يكون ضارب موسيقي لا ضارب مطرقة ونافخ كير فاذا سمع نغماً موقعاً انجذبت نفسه اليه على الرغم منه و بقي مشتت الفكر حائراً لا يدري ماذا يصنع ومن هذه المادة ينحت الكسل

والمهم الان ان اولياء الاسباني الشقي لم يعرفوا كيف يجارونه في طبيعته فنشأ كسلاناً بل فقد قوة الارادة وكان كلما حاول الشغل اقعدته عنه موانع اصبحت غريزية فيه فاقتعد غارب القعود وارسل ابنتيه الى العمل

كارمن في السابعة عشرة من سنيها واليصابات في الثامنة عشرة خلع عليهما الصبا رداءه الجميل وصبغ وجنتيهما بحمرة الورد واجرى في عروقهما ماء الحياة والنضارة واعطتهما الزهرة جمال التكوين فكانتا تمثالين حيين لها على الارض

دخلت هاتان الزنبقتان الطاهرتان الى قبر من قبور الاحياء اسمه معمل داني السقف من الارض كثير الرطوبة فاسد الهواء بما يتجمع اليه من

انفاس العمال وقذارة المواد فلم تلتفتا الى شيء من كل هذا وكل ما كان يهمهما هو تحصيل ما يقوم باود العيلة ويكفيها ذل السؤال

مائتان وخمسون قرشاً فقط هذه القيمة الزهيدة كانت اجرهما في الشهر فبكل سهولة يستطيع القاري العزيز ان يتمثل حالها من البؤس والشقاء في بلاد كل شيء فيها عزيز غال

ابنتان في ريعان الصبا في شرخ الشباب في الزمن الذى يبسم لهما فيه كل ثغر وتحدق اليهما فيه كل عين فتقع على جمال رائع ولطف باهر تعيشان مع والديهما بمايتين وخمسين قرشا

***

ان داء الكلب الذي يصيب البؤساء المعدمين يصيب كثيرًا من الاغنياء البخلاء الذين يزيدون نتناً كلما ازدادوا مالاً فبهذا الدافع او بغيره اقدم صاحب المعمل الذي تعمل فيه الابنتان على خفض معاشهما وهذه خلة فاشية في اصحاب المعامل على الخصوص فاكثر اصحاب معامل الحرير عندنا يقدمون بكل دناءة على سلب عاملة فقيرة بعض اجرها فالواحد منهم يربح الوف الليرات وكل هذه لا تكفيه حتى يتناول من فم المسكينة الفقيرة آخر لقمة مغموسة بالدم فيتلذذ بها كالوحش الضاري

واحد يأكل زاد الف وكثيرون هم الافراد الذين يأكلون زاد الوف من اخوانهم ويتركونهم يقاسون الام الجوع المبرحة وهذه هي الطبقة التى لا شعور فيها تولد في النعمة وتتربى في النعمة وتشب عليها ولا تشعر بحر الشمس وقرس البرد وذلة الفقر ومضض الجوع فتظن ان كل ما في العالم من المخلوقات غني مثلها ولا يشعر المرء بمصائب الناس حتي تحل به المصائب

او حتى يسمع انين البؤساء المساكين الذين لفظتهم السماء ولعنتهم الارض وجد في اثرهم الشقاء فهم دائماً في تيار من المصائب والالام يضرب بهم جنادل شاطيء الاجتماع الصماء فلا يسمع غير تحطيم ضلوع وتمزيق احشاء

***

اقدم صاحب المعمل الكلب على تنقيص اجرة العاملتين الفقيرتين فاصبح مانتناولانه من الاجر لايقوم بنفقات القطار وثمن الاحذية وكانتا في المعمل على جمالهما وادبهما وانكسارهما موضوع هزء وسخرية للعملة وهما لاتبديان تذمراً ولاتمرمراً لشعورهما بالواجب العظيم الذي حتى هامتيهما لهذا العمل الشاق في هذا الزمان الذي يتطلب السرور والثروة والبذخ والتأنق زمان الصبوة الذى لا يقنع فيه الجمال بثوب رث وستار بالٍ الزمن الذى تلفح فيه نسمات الحب الحارة المحبيـة قلوب الفتيات كانت كارمن واليصابات على جمالهما وشبابهما الغض تقنعان بثوب بسيط من الشيت وبما حضر من المأكول وتأويان مع والديهما الى غرفة صغيرة في زقاق قذر

وكانت الوالدة ترى الضنك الذي سيحل بهم جميعاً وترى ان مانتناوله البنتان لا يفي بشيء من اكثر ضروريات الحياة فاعملت الفكرة جيداً في استنباط طريقة لزيادة الكسب استعانة على لوازم المعيشة فكانت كلما طرقت باباً وجدته موصداً بمقاليد البخل وكلما حاولت استفتاح نافذة فرج وقف لها الحظ النكد في السبيل

تركت البنتان المعمل لان صاحبه الوحشي كان يحاول افتراس كل نعجة هادئة في القطيع فكلما راى عاملاً صامتاً كئيباً علم من كابته انهُ معدم وانهُ في حاجة شديدة الى العمل فلا يتردد في ان ينقص من اجره

علماً منهُ بان هذا الجائع يتبع الكسرة كما يتبع الرغيف

فقر وعري وجوع وبؤس وسماء سوداء لا يخترقها نور الامل وبشر كاشرون عن انيابهم يزمجرون ويزأرون ويعتركون في سبيل اللقمة هذا هو الوسط الذي كانت فيه العيلة الاسبانية المسكينة فيا رعى الله زماناً لم تكن فيه قصور وابراج زماناً كانت الارض خصبة طيبة ايام لا غني مفترس ولا فريسة جائعة ايام لم تكن الارض مسورة بالشريط الشائك ايام كان كل مخلوق قادرًا على تناول قوته من كف الطبيعة السخي

***

السماء صافية الاديم في يوم احد من شهر حزيران الذي يتساقط فيه الندى بكثرة وتهب عليه الريح الباردة فتجمده ويحدث البرد القارس في اميركا الجنوبية

وعلى الطريق العمومية المؤدية الى الكنيسة الكبرى كانت كارمن واليصابات واقفتين ملتفتين باسمال بالية خفيفة لاتدفع البرد ولا ترد سهام الحر وكل من مر بهما وشاهد جمالهما الفتان تأخذه الشفقة على هذه الجسوم الغضة المرتجفة من البرد وكلما مر شاب من شبان النعمة ينظر اليهما نظرة معناها « بكم تبيع هتان الفتاتان طهارتهما ؟ » هذا السؤال القاسي كان اول ما يجول في خواطر الشبان المتمدنين ابناء الاسر الكبيرة التي ابطرتها الثروة فاصبحت ترفس الهواء

وكانت الوالدة واقفة تنظر من بعيد فعلمت ولم تك جاهلة ان جمال بنتيها فتان يجتذب القلوب فدنت منهما وفي تلك الساعة مرت عربة فاخرة يقودها جوادان مطهمان وفيها امرأتان عليهما من اللباس الفاخر والحلي

ما يأخذ بالابصار هذا وقد حسرتا عن سواعدهما وصدريهما المخضبة بجمال الحوانيت فالتفتت اليصابات الى كارمن وتنهدت فادركت الام ما جال في خاطر ابنتيها فالتفتت اليهما وقالت « اوتريدان يا ابنتيَّ العزيزتين ان تكونا مثل ركب هذه المركبة » فنظرت اليها الصغرى بعين شكرى بالدمع ولم تلبس ببنت شفة اما اليصابات فقالت ومن اين لنا هذا ونحن على ما تعلمين من قلة الناصر وذات اليد فاجابت الام ذلك اليّ فانصرفا الى البيت

وكان مساء ذلك الاحد والساعة تدق السابعة لما كانت الام الشقية تلج عتبة بيت جميل ملؤه رياش فاخرة واثاث ثمين وما كادت تطرق الباب حتى وافتها خادمة مسنة وسالتها عما تريد فقالت اريد مكالمة صاحبة البيت بامر ذي شان

وكانت ربة المنزل امرأة في الثلاثين من سنيها جميلة الطلعة ممتلئة الجسم بهية الشباب تاخذ بمجامع القلوب فدخلت عليها الاسبانية فرأتها جالسة على كرسي هزاز في وسط غرفة جميلة النقوش فاخرة الفرش مزينة زينة باهرة كانها غرفة عرس اميرة ولكن صاحبتها المستلقية على الكرسي كانت جامدة لا تتحرك وقد حدقت في الفضاء الواسع كان عينيها مسمرتان في محجريهما فلا تطرفان وقد بدت في وجهها الجميل دلائل القلق والاضطراب فتحرك شفتيها كانها تقول شيئاً ولا تنطق به ثم تدحرجت على وجنتها الغضة قطرات دمع سخينة فتناولت منديلها ومسحتها وعادت الى نفسها فرأت امرأة بالباب

بعد مكالمة نصف ساعة خرجت الاسبانية من بيت الشقاء وسددت خطواتها الى منزلها وعلى اسرتها سيماء العزم الاكيد كانها مقدمة على امر عظيم تحتاج فيه الى قوة الارادة وصحة العزيمة

وفي مساء اليوم الثاني كانت كارمن واليصابت مع امهما في بيت المرأة الجميلة ولم تكن الفتاتان قد شاهدتا مثل هذا المنزل في اتقانه وجمال سكانه وترفهم فخيل لهما ان السعادة ترف بجناحيها فوقهُ وان الغنى مدفون طي جدرانه فدخلتا مع والدتهما الى حجرة السيدة فشاهدتا تلك المرأة الجميلة الجذابة الطلعة فمالتا اليها تقبلان يديها اللتين تنتظران منهما السعادة ورغيد العيش

القتهما الوالدة بين يدي مومس وخرجت وكانت البغي تنظر اليهما وقد تمثلت لها سيرة حياتها جسماً كاملاً منذ عرفت الوجود الى ان ادركت الثلاثين واصبحت غنية ذات ثروة وخدم فرأت ذلك الجسم الباهي الذي كانت تلبسهُ نفسها الطاهرة في سني صبوتها وما عليه من الجمال الحقيقي جمال النفس النقية والادب الصحيح حتى ادركت العشرين فرأت ذلك الجسم الغض الجميل قد اصبح كزهرة نزعت عن امها فتناولتها الايدي فجعلتها ذابلة قذرة ثم رأت نفسها مع ما هي فيه من بسطة العيش والثراء محرومة ذلك الحق السامي الذي اعطتهُ الطبيعة لكل بنيها حق الحرية الشخصية المقدس الذي لا يباع بثمن ولا تعادله قيمة في العالم وقابلت بين حالها الحاضرة وهي العوبة بين ايدي حيوانات المدنية وبين ان تكون ربة عيلة شريفة يدرج حولها ملائكة صغار يجاذبونها اطراف ثوبها وينادونها يا امي فرأت البون عظيماً والفرق جسيماً فهي تخرج اليوم في مركبتها الفاخرة تجرها الجياد مجللة بالفضة ومع كل ما هي عليه من جمال الطلعة والغنى لا تستطيع ان تمنع ايدي الناظرين من الامتداد اليها والسنتهم من ان تقول هذه بغي هذه مومس فترى كل ما هي فيه من نعيم وثروة قد استحال الى تراب ويخيل لها ان تلك الايدي الممتدة اليها سهام تمزق احشاءها وان اسمها

المحتقرامنة ابدية عليها مع انها لو كانت ذات بعل لكانت القبعات ترتفع لها وكل اصدقائها يحيونها باحترام ويدعونها سيدة وهي في بيتها ملكة شعبها الصغير الذي هو اولادها وخدمها هذا فضلاً عن الشباب والجمال الذين هما اعز مافي وجود المرأة يمكن الاحتفاظ بهما وقتاً طويلاً في المعيشة العيلية لايتوفران لديها في حالها الحاضرة وهي كالسلعة المبتذلة لتنقل من يد تفركها الى يد توسخها فلايطول بها الاجل حتى تصبح مهرأة قذرة تقذى بها العيون وتتقزز منها النفوس فيعرض عنها اصحابها ويعافها طلابها وينقلبون الى غيرها ممن هن احدث منها عمراً واطرأ قشراً وتغدو وحدها تقاسي آلام الغيرة وثورة بركانها في ليل من الياس لا يومض به برق الرجاء ولا يطلع به نجم الامل واين الرجاء واين الامال متى ولى ربيع الشباب واقبل المشيب ينذر بثلوجه وصقيعه وبحق يكتب على قلب البغي المسكينة التي افظتها الانسانية الجائرة الى هاوية الشقاء ماخطهُ دانتي شاعر الايطاليان على ابواب الجحيم « ايها الداخلون اليها اطرحوا عنكم كل امل » وما اضيق العيش لولا فسحة الامل

كل هذه الافكار تدافعت الى راس البغي التي اعتبرت بنفسها واتعظت بغيها وجرحتها الايام جرحاً لا يندمل الى الدهر ولا يشفى الى الابد ورأت بعين عقلها عظم الذنب الهائل التي تقترفهُ بالبغي على شباب هاتين الشابتين والهاوية العميقة التي تطرحهما فيها فهالها الامر واكبرت الجريمة ووخزها ضميرها الذي كشفت عنهُ العبر والمصائب غطاءه الثقيل المتلبد طبقات بعضها فوق بعض وان النفوس الطيبة الفطرة الشريفة الخلق مهما توالت عليها الازمان ودنستها الاوزار والاثام لابد لها من صحوة يكون الاصل الزكي فيها عوناً على العود الى شعورها السامي وخلقها النبيل وهكذا كانت هذه البغي طيبة العنصر

كريمة الارومة قذفت بها عاديات الزمن الى هاوية الشقاء والقتها صروف الدهر بين مخالب الفقر وانياب الذل حتى سقطت من حالق مجد الطهارة والعفة فتلقتها ارض قحلة يابسة لا تشفق على قلب منكسر ولا تغفر جريمة مسيء ولا تؤاخذ نفسها باعمالها وهي في حاجة دائمة الى ضحايا جديدة تروي بها غلها فكانها اولئك القوم الاشقياء الذين اذا بدرت منهم جريمة وناداهم صوت الحق الحيّ في النفس بالمؤاخذة لم يعلموا كيف يكفرون عن جرائمهم فيحاولون خنق ضمائرهم بتثقيلها بجرائم جديدة ظناً منهم بان كثرة الجرائم تخنق الضمير وتثقل الشعور الحي الذي يقاص المذنب في نفسه باشد مما تقاصهُ كل القوانين والعقوبات البشرية فاستيقت هذه المسكينة كما تستاق كل بغي مكرهة مدفوعة بيد من حديد الى التهور في جحيم البغي فكانت تبيع شرفها وطهارتها وصحتها وجمالها في سبيل اللقمة

وكانت البنتان لاتدريان مايختلج به قلب المرأة التي حسبتاها احدى الاميرات فلبثتا صامتتين هيبةً ووقاراً لسيدتهما اماهي فما لبثت ان عزمت على تخليص نفسين بريئتين طاهرتين لا ذنب لهما غير وجودهما في وسط جائر قاس يتمطى بصلبه ويذيخ بكلكله على الضعيف الساقط فيجعله في سقوط مستمر لا يشعر بغير الضغط من سمائه والغرق من ارضه

وهكذا كان شعور المومس الشريف اسمى جداً من شعور الام الشقية بل من شعور الوسط الذي ربيت فيه البنتان فلم ينتشلهما من الهاوية ولا مدبداً لمعونتهما فعادت البغي الى البنتين وانهت اليهما خلاصة ما تقدمان عليه وما تسقطان فيه واي شقاء واي مستقبل اسحم مكفهر يسحب البؤس والنكد ينتظرهما فسقط الامر على الشابتين سقوط الصاعقة او اشد لانهما

لم تكونا تعلمان من جلية مصيرهما شيئاً فعادتا الى البيت تتعثران بالخجل وقد اندى الجبين وتستقبلان العري والجوع وقد مزق الاحشاء واسال العيون

وكما يعود النهار الى الظهور وكما يتعاقب النيران وكما تتجدد مطالب الحياة على كل حي هكذا تجددت مطالبها على العيلة الاسبانية المعدمة وعاودها الجوع والعري والطوى وعادت البنتان الى التنهد والياس وعادت الام الى مطامعها وشد ماحاولت ان تقنع ابنتيها بالرضى ببيع جمالهما في سوق الدعارة بغية الغنى فلم تفلح حتى نزلت مدى الجوع الى الاحشاء وعملت قوارس البرد في البدن وحتى وقفت الفتاتان على مثل حد السيف بين الانتحار وبين الموت جوعاً وبين الانغماس الى الهامة في حمأة الفجور ويالله من هذا الموقف الهائل الذي تخور فيه قوى اعظم الرجال الذين خبروا الدنيا وقلبوا الحوادث وعركهم الدهر فكيف بابنتين لم يشق سيف التجارب غشاوة البيت عن عيونهما

مسكين الضعيف الساقط واي مسكين تسد السماء اذنها دون صراخه وتعمى الارض نواظرها دون شقاوته فهو على حد ما قال فيكتور هيجو شاعر الفرنسيس « قد اصبح في غمرات المياه ولم يبق تحت قدميه غير الخور والغور وقد احاطتهُ بصورة رائعة امواج قطعتها الريح ومزقتها واخذ منهُ دوار الهاوية واضطربت حول راسه المياه وتفلت في وجهه رعاع الامواج وكادت تبتلعهُ فوهات لا تعرف ماهيتها وكلما غاص تراءت له وهاد ملوءها ظلمات وقبضت عليه نباتات رائعة مجهولة واوثقت رجليه وجذبتهُ اليها فشعر انهُ صار جزءً من الهاوية واصبح رشاشاً من الرغوة واخذت تتلقفهُ الامواج واحدة اثر اخرى وهو مع ذلك يجاهد يحاول البقاء ببذل الجهد ويسبح

هكذا هذه القوة الضعيفة الواهية تقاوم مالا يهي ولا يضعف ... رفع عينيه الى العلاء ولم يجد سوى الغيوم مكفهرة فبقي ينظر وهو في حالة النزاع الى مشهد جنون البحر ... وقد سمع اصواتاً غريبة خيل له انها آتية من عالم آخر من مكان آخر هائل خارج عن الارض . ان في الاعالي طيوراً ولكن ما تنفعهُ . فهي تطير وتغرد وتسبح في الفضاء وهو يقاسي النزع راى نفسهُ دفيناً بين اللانهايتين البحر والسماء . فذلك قبر وهذه كفن ... اتى وقت الليل وقد مضى عليه ساعات في الماء حتى خارت قواه . فالمركب تبتعد حتى توارت و بقي وحده في هاوية البحر والظلمة . تصلب واختبط شعر تحته بامواج الغير المنظور فنادى . ليس من بشر يسمع فاين الله (الكفر رفيق اليأس) نادى و كرر الرجاء مرات . لا شيء في الافق لا شيء في العلاء . فاستغاث بالاتساع والموج ونبات البحر وصخوره . كل هذا اصم لايسمع . استجار بالعاصفة . ولكن العاصفة لا تاثر ولا تطيع غير اللانهاية . فمن حواليه الظلام والوحشة والضجة وتجعد المياه المخيفة وفي داخله الرعب والوهن وتحته السقوط . وليس يجد ما يستند اليه . فتذكر حوادث مخيفة عن سقوط جثة في الظلام المتناهي . فشلت من البرد اعضاؤه وتقلصت يداه وانطبقتا فلم تقبضا على غير العدم . فلا الريح تنفع ولا السحب ولا العواصف ولا النجوم . ؟ اخذ منهُ اليأس ولم يجد مناصاً من الهلاك . فكف عن الدفاع وسلم نفسهُ فغاص الى الابد في اعماق الغمر المخيفة

فيا لله من سير المجتمعات البشرية لكم تهلك في طريقها من اناس ونفوس . بحر عظيم يسقط فيه كل ما تطرحه الشريعة . لا معين ولا نصير . فيا لله من هذا الموت الادبي

البحر هو الظلمات الاجتماعية التي يطرح فيها من قضي عليهم بالهلاك . البحر هو التعاسة التي لا حد لها »

واخيراً تغلب الجوع والضنك والفقر على البنتين وآلهما فقذفتا من جديد الى فوهة البركان الذي نجتا منهُ فيما مضى

قضي الامر وادخلت البنتان الى حيث لم تكن تلك المومس الشريفة الحية الشعور بل الى حيث كانت مومس اخرى ربها بطنها والهها كيسها فانزلتهما الى سوق الدلالة وطافت بالاعلانات على شبان النعمة تساومهم طهارة كل بنت بخمسين ديناراً وقبل ان يحل القضاء المبرم ونقض الصاعقة درت الحكومة بالامر وجاء الشحنة وبحثوا في المنزل عن البنتين واعادوهما الى بيت والدهما واستاقوا الام والمومس الى المحاكمة

***

وهنا جريمة الانسانية الهائلة يستاقون الجائع الى السجن ولا يستاقون الجوع يقاصون الشقي ويتركون الشقاء يخلق كل يوم شقياً جديداً وينتقمون من البائس ولكن البؤس كالاسد يزأر في منعطفات الاسواق وفي بيوت الفقراء وعلى سلالم المراسح والملاهي ولا يعترضهُ او يقف في سبيله احد

اسجنوا البؤس يا قوم وانتقموا للاشقياء من الشقاء واسجنوا الجوع ضمن جدران من الحديد

امحوا الجهل بل اقتلوا الوحش الضاري من نفوس ابناء النعمة والثراء بل اخنقوا جراثيم داء الكلب الذي يصحب اكثر الطبقة الغنية ومتى عملتم هذه كلها فحولوا سجونكم الى مراسح ومستشفياتكم الى متنزهات وحدائق . عندئذ تستغني الحكومة عن الشرطة وعن الجند ويسود السلام ولا يكون على

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
LIBRARY

الارض بطرسبرغ وجائع بفقرس

نفائس العربية

لجرجي بك ديتري سرسق

اسماء الكتب المطبوعة في مطابع اوربا تنشر اسماءها بالتتابع مبتدئين بمطبوعات البلاد الالمانية

مطبوعات مدينة لا يبسيك

	جلد	ثمنه بالتقريب غروش	سنة طبعه
كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق بن ابي يعقوب	٢	٢٥٠	١٨٧٢
كشف الظنون في اسما الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله جلبي حجي خلفا	٧	٧٧٠	١٨٥٨
المعلقات السبع وشرح عليها	١		١٨٥٠
ديوان علقمه الفحل الكراس الاول	٠	١٠	١٨٦٧
مفضليات الضبي وشروحها	١	٢٣	١٨٥٠
القصائد الحميرية في اخبار اليمن والتبابعة في الجاهلية لجمال الدين بن هشام	٢		١٨٦٧
شرح قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير	٢	٣٣	١٨٧١
معلقة الاعشى	١		١٨٧٥
خمس قصائد من ديوان عمر بن عبدالله بن عبدربه	١	١٦	١٨٩٣
معجم البلدان لياقوت الحموي	٦	١١٧٥	١٨٧٠
مجموعة عما كتبه العرب عن جزيرة صقلية وتاريخها وتراجم رجالها	٣	٨٠	١٨٨٧
اخبار ايام مكة لمحمد بن عبد الله اليمني الازرقي	١	٣٣	١٨٥٨
الغرابة وتاريخ الاشراف للامام ابي حسن البلاذري	١	٦٠	١٨٨٣
تاريخ بين ملوك الارض والانبياء لحمزة بن الحسن الاصفهاني	٢	١٠٠	١٨٤٨

	جلد	غروش	سنة طبعه
تاريخ الامم الشرقية لابي الريحان البيروني	٠	١٣٥	١٨٧٨
كامل التواريخ لابن الاثير الجزري عزالدين	١٤	١٣٥٠	١٨٧٦
تاريخ ابي الفداء	١	٢٧	١٨٣١
مجموعة اخبار مكة	٤	٢٠٠	١٨٧٤
انوار التنزيل واسرار التأويل الامام البيضاوي	٢	١٧٠	١٨٤٦
كتاب الجهاد من مختصر الفقه لابي الحسن احمد القدوري	١	٧	١٨٢٥
ام البراهين والعقائد السنوسية الصغري لمحمد بن يوسف السنوسي	١	٥	١٨٤٨
مجموعة فلسفة العرب في القرن التاسع والعاشر حكمة			
ارسطاطاليس ورسائل اخوان الصفا	١٦	٥٢٠	١٨٩٣
المتون التي تعين على جمع تاريخ بني مزيد	١		
كليات ارسطاطاليس لاسحق بن حنين			١٨٤٦
رسالة في التنجيم لابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي	١	١٠	١٨٧٥
خلاصة الوفا في اختصار رسائل اخوان الصفا			١٨٨٦
تعليم المعلم طريق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي			١٨٨٣
رسالة في التعريفات لمحيي الدين بن العربي الملقب بالشيخ الاكبر	١	٢٠	١٨٤٠
كتاب المواقف في اصول الدين والعقائد لعضد الدين الايجي	١	٣٥	١٨٤٨
التعريفات في مصطلح الفلسفة والعلوم لعلي بن محمد الجرجاني		٢٠	١٨٤٥
مقالتان في العقليات لابي الحسن بهمنجار بن المرزبان			١٨٥١
القانون المسعودي في الهيئة والنجوم والجغرافية للبيروني	١	١٢٦	١٨٧٨
رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة الهمذاني صاحب			
حلب للثعالبي	١	١١	١٨٤٧
مقامات الحريري	١	٥٤	١٨٧١
شرح المفصل لابن يعيش الحلبي	٣	٥٠٠	١٨٨٦
المقدمة الادبية معجم عربي وفارسي للزمخشري	٢	٦٥	١٨٥٠
الخلاصة الفية ابن مالك مع شرح بن عقيل لابن مالك		٦٠	١٨٥١
كتاب الفصيح لابي العباس احمد بن ثعلب	١	٢٧	١٨٧٥

	جلد	غروش	سنه طبعه
المعرب في الكلام الاعجمي لابي منصور الجواليقي	١	٢٧	١٨٦٧
الكامل في اللغة والادب للمبرد	٤	٤١٠	١٨٨٢
مطلوب كل طالب في كلام علي بن ابي طالب	١	١٤	١٨٣٧
تاج التراجم في طبقات الحنفية لقاسم بن عبد الله الحنفي	١	١٨	١٨٦٢
بعض اشعار لابي اسحق مع عدة منها لابي الفرج	١	٥	١٨٣٤
مجموعة الغاز	١	٢٧	١٨٩٧
ديوان مدح السلطان شمس الدين ابي المكارم لصفي الدين الحلي	١	١٣	١٨١٦
معلقة زهير ابن ابي سلمى المزني			١٧٩٢
ديوان حاتم الطائي	٠	٤٨	١٨٩٧
الانجيل الشريف	٠	٢١	١٨٦٤
السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام عن ابن اسحاق	٣	٢٠٠	١٩٠٠
قصيدة نظمت فيها قصة يوسف ماخوذة عن المكتبة الاسبانية		٢٥	١٨٨٣

مطبوعات بلدة غوتنغن

ديوان عروة ابن الورد	١	١٥	١٨٦٣
آثار البلاد واخبار العباد لزكريا القزويني	٢	٧٥	١٨٤٩
جغرافية مصر لابي الفداء	١	١٤	١٨٣٥
معجم ما استعجم لابي عبد الله البكري	٢	١٢٠	١٨٧٦
المشترك وضعاً والمفترق صقعاً لياقوت الحموي	١	٤٢	١٨٤٦
كتاب المعارف لابي محمد الدينوري	١	٦٥	١٨٥٠
اللباب في انساب العرب لابن الاثير عز الدين الجزري	١		١٨٢٥
تاريخ الاقباط لتقي الدين المقريزي	١	٢٥	١٨٤٥
البيان والاعراب بما في ارض مصر من الاعراب لتقي الدين المقريزي	٢	٧	١٨٤٧
السلوك في معرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي			١٨٤٥
تاريخ المماليك في مصر لابن عبد الحكيم			١٨٥٦

	جلد	غروش	سنة طبعه
رسالة في اسماء القبائل المتشابهة وغير المتشابهة لمحمد بن حبيب			١٨٥٠
سير مشاهير اوائل الاسلام لابي زكريا النووي		١١٥	١٨٤٧
كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان	٣	٥٥٠	٨٤٢
اشتقاق اسماء النسبة لابن دريد الازدي	١	٨٥	١٨٥٤
قصة الوزراء العشرة وما جرى لهم مع ابن الملك ازار بخت وحكايات مختلفة	١	٩	١٨٠٧
عشيرة الزبير وموت مصعب بن الزبير لابي عبد الله القرشي	١	٢٠	١٨٧٨
طبقات الحفاظ للذهبي	٣	٦٥	١٨٣٤

مطبوعات بلدة بون

معلقة طرفة بن العبد	١	١٧	١٨٢٧
معلقة الحارث بن عباد	١	١٧	١٨٢٧
ديوان الحماسة مع شرح التبريزي عليه	٣	٦٧٥	١٨٥١
شعر ابي الحارث غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة		٧	١٨٧٤
وصف فلسطين وسوريا لابي عبد الله الادريسي	١	٧	١٨٨٥
تاريخ ولاية اليمن في زمن حسن باشا	١	١٤	١٨٢٨
فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عربشاه	١	٢١	١٨٥٢
تاريخ ولاية سعد الدولة على حلب	١	١٤	١٨٢٠
الاحكام السلطانية والولايات الدينية لابي الحسن علي البصري الماوردي	١	٣٥	١٨٥٣
ارجوزه في المنطق لابن سينا			١٨٣٦
زيج اي جداول الرصود لمحمد بن جابر الرياضي الفلكي			١٨٤٣
مجموعة من امثال العرب لاحمد بن محمد الميداني النيسابوري	٣	١٣٥	١٨٤٣
بعض رسائل في الفلسفة لابي النصر محمد الفارابي			٨٣٦
امثال لقمان الحكيم	١	١٠	٨٢٣

مطبوعات برلين

	جلد	غروش	سنة طبعه
المعلقات السبع	٠	٩٥	١٨٩١
ديوان طرفة بن العبد بن سفيان البكري	١	١٤	١٨٩٥
منتخبات الاشعار العربية			١٨٩٠
رسالة ابى دلف عن سلك طريق اسيا لابن بطوطة			١٧٤٥
المغازي النبوية في المدينة لابى عبدالله محمد بن عمر الواقدي	١	٥٤	١٨٨٢
طبقات الصحابة لمحمد بن سعد الزهري	١	٠٠	١٨٩٠
خلاصة الحساب للشيخ بهاء الدين بن الحسين العاملي	١	٧	١٨٤٣
شرح ديوان المتنبي لاحمد بن عبدالصمد الجمفي العكبري		٢٠٥	١٨٦١
قصة طيب وجار كوخ ؟			١٨٩١
النوادر الاسيوية في العلوم والفنون والاخلاق	٢		١٨٥١
خلاصة الوفاء في اختصار رسائل اخوان الصفاء	١		١٨٨٦
امثال لقمان الحكيم	١		١٨٥٠
شرح على رسائل الشيخ عمران موسى بن ميمون بن يوسف	٠	١٧	١٨٨٧
تتمة ديوان الشعراء الهذليين المطبوع منه الجزء الاول في لوندره	١	٢٠٥	١٨٨٤
اصل الاديان في الشرق	١	١٤	١٨٧٧

مطبوعات غريفسوالد

ديوان طرفة بن العبد	١	٠٠	١٨٦٩
قصيدة تابط شرًا لامية العرب وشرحها	١	٠٠	١٨٥٩
تاريخ الملوك ورسل الله لمحمد جرير الطبري وترجمته باللاتيني	٢	٨٠	١٨٣١
قصيدة خلف الاحمر وترجمتها باللاتيني	١	٤٥	١٨٥٩
ديوان ابى نواس	١	١٢	١٨٦١
الاداب السلطانية والدول الاسلامية لفخر الدين بن الطقطقي	١	٣٨	١٨٦٠
فتوح البلدان للامام ابى الحسن احمد بن داود البغدادي البلاذري	١		١٨٧٣

ملاحظات

(١) بعض الكتب المذكورة مترجمة من اللاتينية او الالمانية وهذه الترجمات مجموعة مع الاصل العربي

(٢) قد ذكرنا الاسعار بوجه تقريبي وقد تختلف فيما اذا كان الكتاب المبتغى شراؤه جديداً او مستعملاً والعادة ان يترك الكتبي للمشتري خسماً من ال١٠٠ عشرة الى عشرين حسب الاتفاق

(٣) ان اهم باعة الكتب العربية في المانيا هما المذكوران ادناه فمن شاء مراسلتهما فليحرر عنوانهما هكذا

MR. OTTS HARRASSOROITZ

QUERSTRASSE 14

LEIPZIG

MR. SPIRGATIS MARIENSTRASSE 23

LEIPZIG

ستأتي اسماء بقية المطبوعات في الجزء الثاني

فهرس الجزء الاول

من

كتاب المختار

صحيفة

٢ مقدمة كتاب المختار

٥ الزهرة للشيخ ابراهيم اليازجي

صحيفه

١١ جمل ادبية لاحمد افندي فارس

١٥ بعض البلاء لاديب بك اسحاق

١٦ سفر الطبيعة لابراهيم افندي الحوراني

٢٥ الدنيا وما فيها لابراهيم افندي منذر

٣٨ خطاب للشيخ احمد اقندي عباس

٤٦ القبور بقلم الياس افندي طراد

٤٩ في المدنية لامين افندي الحداد

٦٢ غصن من الورد لامين افندى ريحان

٦٦ المصائب محك الرجال لانطون افندي جميل

٦٩ الزيجة خير من العزب للدكتور اسكندر بك البارودي

٨١ خطبة لامين بك ناصر الدين

٨٤ نظام العالم الفاسد لامين افندي الغريب

٨٧ العصبية لامين افندى رضا

٩٩ تأبين اليازجي للدكتور اسعد افندى عفش

١٠٢ لمحة اقتصادية لانطون بك شحيبر

١١٠ قيمة التربية لبولس افندى الخولي

١٢٠ البيان باللفظ للدكتور بشاره افندى زلزل

١٢٩ ما اضيق العيش لولا فسحة الامل لبشاره عبد الله الخورى

١٣٢ الخريف لجبران افندى خليل جبران

١٣٥ الى ما ذا نحن صائرون لجبران افندى ضومط

١٥٤ تهذيب النفس لجرجس افندى همام
١٦٧ آلهة السوريين لجرجي بك ديمترى سرسق
١٧٣ سوء التفاهم لجرجي افندى نقولا باز
١٧٧ في التاريخ لجرجي افندى يني
١٨٤ الفراغ مفسدة لجرجي افندى زيدان
١٩٧ احكام الترجمة لجرجي افندى عطيه
٢٠٥ بين تضاعيف الحياة لجرجس افندي خورى كرم
٢٠٩ اسرار الكائنات لجميل افندى بيهم
٢٢٣ الحياة السعيدة لداود افندى قربان
٢٣٣ خطاب السوريين في امريكا لداود افندى بركات
٢٣٦ بطريرفس لداود افندى مجاعص
٢٤٩ نفائس العربية لجرجي بك ديمتري سرسق

خاتمة الكتاب

تم بحوله تعالى طبع الجزء الاول من كتابنا المختار من عرائس الافكار وقد جهزنا اكثر مادة الجزء الثاني وسندفعها للطبع بتعريبها وترتيبها وعسى ان نلاقي من القرآء والادباء تنشيطاً ينشط بنا الى اتمام المشروع فنصدر الاجزاء التالية بين منظوم ومنثور فتكون مكتبة كاملة تجمع امثلة كتابية لاكثر كتاب العربية المتأخرين وتزدان به المكاتب ولا يستغني عنه متأدب

(اصلاح غلط)

وجه	سطر	خطا	صوابه
٦	١٢	ويسمحنها	ويستمنحنها
٦	١٩	كبير	كبير
٩	١٤	اثم	اتمّ
١٧	٢١	المفتكرين	المتفكرين
١٨	١٧	مكان	المكان
١٩	٦	الاعلام	الاعدام
١٩	٨	رواة	رمـاة
٢٠	٧	سواه	سوى
٢٠	١٥	درّة	ذرّة
٢١	١١	الملهى مسجدًا	الملهى له مسجدًا
٢٢	١٤	الاحد	احد
٢٢	١١	تفك	تنفك
٢٢	٥	عـا	عن
٢٣	٧	صقر	سقر
٢٣	١٠	نوفوا	نفوا
٢٤	١٠	الغنا	الغنى
٢٤	١٤	خلافـاً	حلفاء
٣٠	١	انه	أن
٧٢	٧	وتربيته	وتربية

وجه	سطر	خطا	صوابه
١٠٤	٧	وتجمنع	وتجتمع
١٣٥	١٨	شيء	شيئاً
١٣٦	٢١	حداً	صدى
١٣٨	٩	مدمننا	مدننا
١٣٨	١٢	نحو	نحوًا
١٣٩	٢١	الاجنبيَّة	البلاد الاجنبيَّة
١٤٠	١	بلاد	البلاد
١٤٢	٣	فيما	فيمَ
١٤٧	٢	تجريج	تجريح
١٥٢	٣	ولنأتي	ولنأتِ
٢٠٣	٨	عليك	بك
٢٢١	٢٠	للاضطلاع	للاطلاع
٢٢٤	١٧	الغني	الغنى
٢٢٥	٨	بهم من	بهم الدهر من
٢٢٩	٣	الثرة	الثروة
٢٢٩	١٢	قبيحاً	قبحًا
٢٢٩	١٦	وعلى المرأة	ولا على المرأة
٢٣٠	٧	زيارته الى اميركا	زيارته لاميركا
٢٣١	١٠	الياس	اليائس
٢٣٣	٣	العـادة	السعادة
٢٣٦	١٨	زجته	زوجته
٢٥٥	٨	ريحان	ريحاني
٢٥٥	١٤	عفش	عفيش
٢٥٥	٢١	جبران	حبر